عقيدة

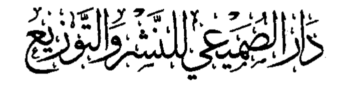
الحلول والتناسخ

عرضاً ونقضاً

إعداد

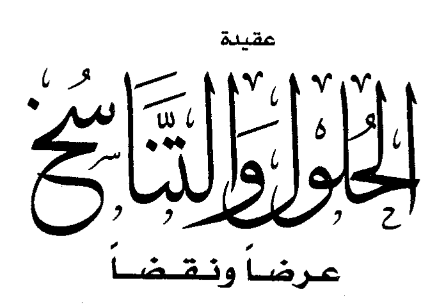
أ . د . محمد بن عبدالعزيز بن أحمد العلي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض



الطَّبعَة الأولىٰ
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار الصميعي للنشر والتوزيع
الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
هاتف ٤٢٥١٤٥٩/٤٢٦٢٩٤٥ فاكس ٤٢٤٥٣٤١


عقيدة
الحلول والتناسخ
عرضاً ونقضاً



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

وبعد :

فهذا الكتاب، يشتمل على ثلاثة بحوث، عناوينها :

١- عقيدة الحلول عرضاً ونقضاً.

٢- الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب الحلول، عرضها ونقض استدلالهم بها.

٣- الأدلة النقلية إلى استدل بها أصحاب التناسخ، عرضها ونقض استدلالهم بها [١] .

وقد وضعت هذه البحوث الثلاثة تحت عنوان واحد، هو « عقيدة الحلول والتناسخ عرضاً ونقضاً » .

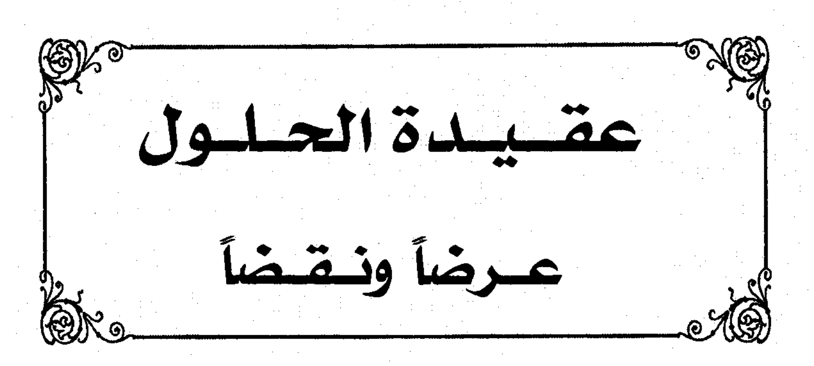
وجعلت كل واحد من هذه البحوث في وحدة علمية متكاملة، يشتمل على مقدمة وتمهيد، ومباحث، وخاتمة وفهارس.

أسأل الله التوفيق السداد في الأقوال والأعمال.

---

(١) البحث الأول والثالث، بحثان محكمان في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.





عقيدة الحلول

عرضاً ونقضاً

إعداد

أ. د. محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في

كلية أصول الدين بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، العلي العظيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن مما يتضمنه الركن الأول من أركان الإيمان، الإيمان بألوهية الله وربوبيته وأسمائه وصفاته، ومن ذلك الاعتقاد بأن الرب سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال، منزه عن جميع النقائص والمعايب، فلله الأسماء الحسنى والصفات العلا، والمصدر في بيان ما يجب لله نفياً وإثباتاً هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فما ثبت لله عز وجل من الصفات في الكتاب والسنة وجب إثباته، من غير تمثيل ولا تكييف، وما نفي عن الله تعالى، من صفات النقص، في الكتاب والسنة، وجب نفيه من غير تحريف ولا تعطيل، إذ أن أسماء الله وصفاته توقيفية على الكتاب والسنة، ولا مجال لآراء البشر فيها.

وما يجب لله تعالى، مما ثبت في الوحيين، أنه تعالى متصف بالعلو، بأنواعه الثلاثة، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، فهو سبحانه فوق سماواته مستو على عرشه، عال على خلقه.

وقد ضلت طوائف ممن ينتسبون إلى الإسلام، فنفوا علو الله جل وعلا، ثم تخبطوا، فمنهم من اعتقد عدم معرفته أين ربه، وفرق أخرى كثيرة، زعموا بأن الله تعالى حال بذاته في جميع الأمكنة، أو في بعض المخلوقات، أو في من يعظمونهم من الأشخاص، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وإنما انتحلوا هذه العقيدة حين لم يجعلوا الوحي مصدر دينهم، وتأثروا بالملل المنحرفة، والفلسفات العقلانية والوثنية.

والخطورة ازدادت في السنوات الأخيرة، حين عمد كثير ممن ينتسب إلى عقيدة الحلول والاتحاد، إلى بعث كتبهم وآرائهم، تأليفاً وتحقيقاً، فأحيوا عقيدة أسلافهم، وطبعوا كتبهم، ونشروها.

أضف إلى ذلك أن كثيراً من المصادر والمراجع التي يرجع إليها الباحثون، في الملل والنحل والفرق المختلفة، فيها عرض لأقوال وعقائد تلك الطوائف الحلولية، دون ذكر لنقضها وإبطالها، إلا أشتاتاً متفرقة لا تفي بالمطلوب.

ولذا فقد رأيت أن أعرّف القراء والباحثين بمفهوم العقيدة الحلولية، وأشهر القائلين بها ممن ينتسب إلى الإسلام، ثم أنقضها إجمالاً، مبيناً ما يجب لله تعالى من التعظيم والتنزيه، موضحاً بطلان ما قرره الحلوليون، معتمداً في ذلك بعد الله تعالى، على أقوال كبار أهل العلم والتحقيق.

وأحب أن أشير هنا إلى أن هذه الدراسة عرض مجمل لعقيدة الحلول، ثم نقضها، دون تعرض لذكر أدلة الحلولية وشبههم التي احتجوا بها على

عقيدتهم وذلك لكي لا يطول البحث، وفي البحث الثاني من هذا الكتاب تتبعت أدلتهم، ثم أعقبتها بنقض استدلالهم بكل دليل ذكروه أو شبهة احتجوا بها.

وقد بدأت هذا البحث بمقدمة ذكرت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره إجمالاً، والخطة المتبعة في إعداده، ثم كتبت تمهيداً ذكرت فيه القول الحق في علو الله تعالى واستوائه على عرشه، وأدلة ذلك.

ثم قسمت البحث إلى مبحثين، فيهما مطالب، وهي كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم الحلول وأشهر القائلين به، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحلول لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أشهر القائلين به ممن ينتسب إلى الإسلام.

المبحث الثاني: نقض عقيدة الحلول، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم القول بالحلول.

المطلب الثاني: الرد على عقيدة الحلول وبيان بطلانها.

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها خلاصته وأهم نتائجه.

أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل والاعتقاد.

* * *

التمهيد

القول الحق في علو الله تعالى واستوائه على عرشه

أجمع المسلمون على ما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، ودلت عليه العقول السليمة والفطر المستقيمة في أن الله تعالى مستو على عرشه، فوق سماواته، بائن من خلقه، وعلمه محيط بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يسمع ويرى، لا يعزب عنه عز وجل مثقال ذرة في السماوات والأرضين وما بينهن، فهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى، ترفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يعرفونها بالليل والنهار، فمن لم يعرف ربه بذلك، لم يعرف إلهه الذي يعبد(١).

هذا وقد « أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال »(٢).

---

(١) انظر الرد على الجهمية ص٢٢- ٢٣، والشريعة ص٢٨٨- ٢٩٠، ومختصر الصواعق ٢/ ٢١٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١١/ ٢٥٠، وانظر شرح العقيدة الواسطية ص٣٣١، ٣٣٢.

ومما يجب التنبيه عليه أن السلف عندما يقررون ما جاء في النصوص الشرعية من علو الله تعالى على خلقه، واستوائه على عرشه؛ فإن ذلك لا يعني أن هناك شيئاً يحويه، أو يكون ظرفاً له، فهو سبحانه فوق كل شيء، ومستغن عن كل شيء.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت٧٢٨هـ: « والسلف والأئمة وسائر علماء السنة إذا قالوا إنه فوق العرش، وإنه في السماء فوق كل شيء، لا يقولون إن هناك شيئاً يحويه، أو يحصره، أو يكون محلاً له، أو ظرفاً، أو وعاء، سبحانه وتعالى عن ذلك، بل هو فوق كل شيء، وهو مستغن عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إليه، وهو عال على كل شيء، وهو الحامل للعرش ولحملة العرش، بقوته وقدرته، وكل مخلوق مفتقر إليه، وهو غني عن العرش، وعن كل مخلوق »[١].

وقد وردت نصوص شرعية كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وتنوعت تلك الأدلة في إثبات علو الله تعالى بذاته على عرشه واستوائه عليه سبحانه وتعالى وفوقيته على عباده.

ومن تلك الأنواع ما يلي:

١- التصريح بعلو الله تعالى، بمعانيه الثلاثة: علو الذات، وعلو القدر،

---

(١) المصدر السابق ١٦/ ١٠٠-١٠١.

وعلو القهر، وذلك في آيات كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ (١)، وقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٣)؛ فهذه الآيات، وغيرها كثير في كتاب الله، تدل دلالة صريحة على علو الله تعالى على خلقه بذاته وقدره وقهره.

٢- التصريح باستوائه سبحانه وتعالى على العرش، مقروناً بأداة ﴿عَلَى﴾، ومختصاً بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (٤)، وقال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (٥)، وقال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ (٦)، فهذه الآيات وغيرها تدل على علو الله تعالى واستوائه على عرشه؛ فإن لفظ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ إذا عدي بعلى لا يفهم منه إلى العلو والارتفاع.

---

(١) سورة الأعلى، الآية ١.

(٢) سورة الرعد، الآية ٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

(٥) سورة طه، الآية ٥.

(٦) سورة الفرقان، الآية ٥٩.

٣- التصريح بعروج الأشياء إليه، وكذلك التصريح بصعود الأشياء وارتفاعها إليه، والعروج والصعود والارتفاع إنما يكون إلى من في العلو، قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [(١)]، وقال الله : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [(٢)]، ومن ذلك قصة المعراج، وفرض الصلاة، وتردده ﷺ بين موسى عليه السلام وربه، يسأله التخفيف، وفي كل مرة يصعد ثم يعود [(٣)].

٤- التصريح بالفوقية لله تعالى، وقرنت بأداة ﴿مِن﴾ في بعض المواضع، وهذا يدل على أن المراد فوقية الذات، قال الله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [(٤)]، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [(٥)].

٥- التصريح بنزوله سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، والنزول إنما يكون من الأعلى إلى أسفل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

---

(١) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٢) سورة المعارج، الأية ٤.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ح ٣٤٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ح١٦٢.

(٤) سورة النحل، الآية ٥٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٨.

ﷺ قال : « **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟** »[1].

٦- إخباره جل وعلا عن فرعون أنه طلب الصعود إلى السماء، ليطلع إلى إله موسى مما يدل على أن موسى عليه السلام أخبره بعلو الله تعالى، قال تعالى: مخبراً عن فرعون أنه قال الله تعالى: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ ﴾[2].

٧- إشارة الرسول ﷺ إلى العلو، عندما قال بأصبعه يرفعها إلى السماء، وينكبها إلى الناس: « **اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد** »، وذلك في الحج الأعظم في حجة الوداع[3].

٨- التصريح بالتنزيل منه سبحانه وتعالى، والتنزيل إنما يكون من أعلى،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ح ١١٤٥، ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ح٧٥٨.

(٢) سورة غافر، الآيتان ٣٦، ٣٧.

(٣) الحديث أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ح١٢١٨ وأبو داود في سننه، باب صفة حجة النبي ﷺ ح١٩٠٥.

قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[(١)]، وقال: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[(٢)]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

٩- التصريح بأن الله تعالى في السماء، قال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾[(٣)]، وقوله ﷺ: « **ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً** »[(٤)]، وحرف ﴿فِى﴾ في هذه النصوص بمعنى ﴿عَلَى﴾ إذا كان المراد بالسماء المبنية، أو يكون المراد بها العلو، لأن معنى (سما) أي: علا، فيكون معنى كونه تعالى ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي في العلو، وهو الأولى في تفسيرها[(٥)]، وله سبحانه وتعالى أعلى العلو وهو ما فوق العرش.

١٠- التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، قال تعالى:

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٢.

(٢) سورة الزمر، الآية ١.

(٣) سورة الملك، الآيتان ١٦، ١٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ح٤٣٥١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح١٠٦٤.

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٦/ ١٠١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ (١)، ونحوها من الآيات والأحاديث.

١١- السؤال عنه بأين، مما يدل على أنه تعالى ليس في كل مكان، فوجب أن يكون في العلو، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ سأل جارية قائلاً «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا**»، قالت: أنت رسول الله، فقال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**» (٢)، فالرسول سألها وأقرها على ما قالت.

هذه بعض الأدلة النقلية على علو الله تعالى واستوائه على عرشه، ومباينته لخلقه، ذكرتها إجمالاً، ولو فصلت القول في ذكرها وتعدادها لطال المقام، ولا يتحمله التمهيد، فإنها كثيرة جداً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهي مبسوطة في كتب أهل العلم (٣).

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته ح٥٣٧.

(٣) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٦، ١٣٧، والرد على الجهمية ص١٧،٢٢، والشريعة ص٢٨٨-٢٩٨ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٥-٧٠، ٢٥٦، ٢٦٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٥٠-٢٦٧، ومختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢١٤، وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ص١٠١-١٣٦.

الدليل العقلي على علو الله تعالى:

ذكر الإمام أحمد ت٢٤١هـ رحمه الله دليلاً عقلياً على علو الله تعالى، والرد على الجهمية وغيرهم من طوائف الحلولية الذين ينفون علو الله سبحانه بذاته على خلقه، وملخص ما ذكره أن الله تعالى حين خلق الخلق، فلا بد من ثلاثة أمور:

إما أن يكون الله تعالى خلقهم في نفسه، وهذا كفر؛ لأنه يعني أن الله خلق الجن والشياطين والأقذار في نفسه، وهذا محال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإما أن يكون خلقهم خارجاً عن نفسه ثم دخل فيهم، وهذا كفر أيضاً، لأنه يعني أن الله تعالى دخل في كل مكان وحش قذر رديء.

وإما أن يكون خلقهم خارجاً عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم، وهذا هو الحق الذي يجب اعتقاده، لأنه الذي يليق بالله تعالى[١].

ثم إذا قررنا أنه خلقهم خارج ذاته ولم يدخل فيهم، فلا بد أن يكون خلقهم، وهو تحتهم، أو عن أيمانهم، أو عن شمائلهم، أو فوقهم، وأكمل هذه الأمور وأعظمها وأشرفها الفوقية والعلو، والله تعالى متصف بصفات الكمال، فلا يليق به إلا كونه فوقهم وعال عليهم.

---

(١) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٨ - ١٤١.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ساق كلام الإمام أحمد السابق بنصه:

« فقد بين الإمام أحمد ما هو معلوم بصريح العقل وبديهته من أنه لا بد إذا خلق الخلق من أن يخلقه مبايناً له أو محايثاً له، ومع المحايثة: إما أن يكون هو في العالم، وإما أن يكون العالم فيه، لأنه سبحانه قائم بنفسه والقائم بنفسه إذا كان محايثاً لغيره فلا بد أن يكون أحدهما حالاً في الآخر، بخلاف ما لا يقوم بنفسه، كالصفات؛ فإنها تكون جميعاً قائمة بغيرها، فهذا القسم لم يحتج أن يذكره لظهور فساده، وأن أحداً لا يقول به، إذ من المعلوم لكل أحد أن الله تعالى قائم بنفسه، لا يجوز أن يكون من جنس الأعراض التي تفتقر إلى محل يقوم به.

وكذلك من هذا الجنس قول من يقول: لا هو مباين ولا محايث، لما كان معلوماً بصريح العقل بطلانه لم يدخله في التقسيم، إذ من المستقر في صريح العقل أن الموجود: إما مباين لغيره، وإما مداخل له، فانتفاء هذين القسمين يبطل قول من يجعله لا مبايناً ولا مداخلاً كالمعدوم، وقول من يجعله حالاً في العالم مفتقراً إلى المحل كالأعراض؛ إذ المفتقر إلى المحل لا يقوم بنفسه، ولا يكون غنياً عما سواه، فيمتنع أن يكون واجب الوجود بنفسه »[١].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٤٣، ١٤٤، وانظر ١٤٥ - ١٥٠.

وبصيغة أخرى يقال للمخالفين بأن علو الله سبحانه وتعالى ثابت بالعقل، من وجوه:

الأول منها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر، قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه، بائناً من الآخر.

الثاني: أن الله تعالى لما خلق العالم؛ فإما أن يكون خلقه في ذاته، أو خارجاً عن ذاته، فالأول باطل بالاتفاق، ولأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والثاني يقتضي أن يكون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة؛ لأن القول بأنه غير متصل بالعالم، وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه سبحانه وتعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده؛ بالكلية؛ لأنه غير معقول؛ فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه، والأول باطل، فتعين الثاني، فلزمت المباينة، ولزم أن يكون فوق خلقه وعال عليهم؛ لأنه وحده اللائق به سبحانه وتعالى[1].

دليل الفطرة على علو الله تعالى:

دلت الفطر السليمة على علو الله تعالى على خلقه، وذلك أن الخلق بطباعهم وفطرهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون العلو بقلوبهم عند اللجوء إلى الله والتضرع إليه.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٤٣ بتصرف يسير.

قال أبو الحسن الأشعري ت٣٢٤هـ: « ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله مستو على العرش، الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم »[١].

وقال ابن عبد البر ت٤٦٣هـ: « ومن الحجة أيضاً في أنه سبحانه وتعالى على العرش فوق السماوات السبع أن الموحدين أجمعين، من العجم والعرب إذا كربهم أمر، أو نزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء، ونصبوا أيديهم رافعين لها مشيرين بها إلى السماء، يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطراري لم يخالفهم فيه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم »[٢].

ولهذا فإن الداعي لا يلتفت يمنة ولا يسرة عند دعائه، ولم يقل (يا الله) إلا وجد في قلبه ضرورة التوجه بطلب العلو، ولا يمكن دفع هذه الضرورة عن القلوب[٣].

يُذكر أن أبا جعفر الهمذاني ت٥٣١هـ حضر مرة والأستاذ أبو المعالي الجويني ت٤٧٨هـ يتحدث ويقول: « كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان »، ونفى الاستواء، على ما عرف من قوله، وإن كان في آخر عمره رجع

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص٤٥.

(٢) التمهيد ٧/ ١٣٩، وانظر إثبات صفة العلو ص٣٣، واجتماع الجيوش الإسلامية ٢/ ١٤٨.

(٣) انظر لوامع الأنوار البهية ١/ ١٩٦، والرد على الجهمية ص٢٠، ٢١.

عن هذه العقيدة، فقال أبو جعفر الهمذاني: «يا أستاذ دعنا من ذكر العرش»، يعني لأن ذلك مما جاء في السمع، وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا: ما قال عارف قط: (يا الله) إلا وجد في قلبه معنى يطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا!! فصرخ أبو المعالي ووضع يده على رأسه وقال حيرني الهمذاني(١).

فأبو جعفر الهمذاني «تكلم بلسان جميع بني آدم، فأخبر أن العرش، والعلم باستواء الله عليه إنما أخذ من جهة الشرع، وخبر الكتاب والسنة، بخلاف الإقرار بعلو الله على الخلق؛ من غير تعيين عرش ولا استواء، فإن هذا أمر فطري ضروري، نجده في قلوبنا نحن، وجميع من يدعو الله تعالى، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا»(٢).

ويشهد لهذا خبر الجارية التي قال لها النبي ﷺ: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»(٣)، جارية أعجمية أخبرت عن الفطرة التي فطرها الله تعالى عليها، وإلا من فقهها وعلمها وأخبرها بما ذكرته، وقد أقرها النبي ﷺ على ذلك، وشهد لها بالإيمان(٤).

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٤٤، ٦١، وشرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٤٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٦١.

(٣) سبق تخريجه قبل قليل.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٦٢، وشرح العقيدة الواسطية ص٣٣١.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت٧٢٨هـ: « وأما كونه عالياً على مخلوقاته، بائناً منهم، فهذا أمر معلوم بالفطرة الضرورية، التي يشترك فيها جميع بني آدم، وكل من كان بالله أعرف، وله أعبد، ودعاؤه له أكثر، وقلبه له أذكر، كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمل، فالفطرة مكملة بالشريعة المنزلة؛ فإن الفطرة تعلم الأمر مجملاً، والشريعة تفصله وتبينه، وتشهد بما لا تستقل الفطرة به، فهذا هذا، والله أعلم....

فليتأمل العاقل ذلك يجده هادياً له على معرفة ربه، والإقرار به كما ينبغي، لا ما أحدثه المتعمقون والمتشدقون، ممن سوّل لهم الشيطان، وأملى لهم »[(١)].

وبعد أن ساق شيخ الإسلام ابن تيمية الأدلة على علو الله تعالى، واستوائه على عرشه، قال: « فهذا كتاب الله، من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ، من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة، مملوء بما هو إما نص، وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء »[(٢)]، ثم ساق أدلة أخرى من السنة، ومن أقوال بعض الصحابة، وبعدها قال: « إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث علماً يقيناً، من أبلغ العلوم

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٤٥، ٦٢.

(٢) المصدر السابق ٥/ ١٢.

الضرورية أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم، عربهم وعجمهم، في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته »[١]، يشير رحمه الله إلى حديث: « **خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم** »[٢].

ثم قال رحمه الله: « ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفا، ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك، لا نصاً ولا ظاهراً »[٣].

* * *

(١) المصدر نفسه ٥/ ١٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ح٢٨٦٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ١٥.

المبحث الأول

مفهوم الحلول وأشهر القائلين به

المطلب الأول

تعريف الحلول لغة واصطلاحاً

تعريفه لغة:

حَلَّ بالمكان يحلّ حلولاً و محلاً وحلاً وحللاً: نزول القوم بمحلّة، وهو نقيض الارتحال.

وحلّه واحتلّه واحتلّه: نزل به.

والحل: الحلول والنزول، يقال: حلّ بالقوم وحلّهم واحتل بهم، ورجل حال من قوم حُلُول وحُلاّل وحُلّل، وأحلّه المكان وأحلّه به وحلّله به وحلّ به: جعله يحلّ.

فيكون المَحَلُّ الموضع الذي يحُلّ فيه، ويكون مصدراً، وكلاهما بفتح الحاء، لأنهما من حَلّ يحُلُّ: أي نزل، وإذا قلت المَحِلّ، بكسر الحاء، فهو من حَلّ يحِلُّ: أي وجب يجب.

ويقال: روضة محِلال: إذا أكثر الناس الحلول بها[1].

ويذكر علي بن محمد الجرجاني ت٨١٦هـ أن الحلول نوعان:

---

(١) انظر لسان العرب ١/ ٧٠٢، ٧٠٣، والمعجم الوسيط ص١٩٤ .

أحدهما: الحلول السرياني، وهو عبارة عن اتحاد جسمين، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالاً والمسري محلاً.

والثاني: الحلول الجواري، وهو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز[١].

تعريفه اصطلاحاً:

الحلول هو الاعتقاد بحلول ذات الخالق – جل وعلا– في كل مكان، أو في بعض الأمكنة، أو حلوله في بعض الأشخاص، أو حلول جزء من ذاته في بعضهم، على قدر استعداد مزاج الشخص ورياضته وتقبله لذلك، على حد زعمهم[٢].

فهو عندهم حلول الإله بذاته، أو روحه، جزءاً أو كلاً، في البشر، أو بعضهم، من الأنبياء والأئمة والأولياء، ونحوهم، فأصبح هؤلاء آلهة بذلك[٣].

يقول عبد القاهر البغدادي ت٤٢٩هـ: « الحلولية الذين زعموا أن الإله

---

(١) انظر التعريفات ص١٠٥، ١٠٦، والموسوعة العربية الميسرة ١/ ٥٣٤.

(٢) انظر الملل والنحل ٢/ ٥٤، وحقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود ص٤، ٥، ومعجم الفرق الإسلامية ص١٠٢.

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٥/ ٤٢٣، ٤٢٤، والتبصير في الدين ص١٠٨، ودراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة ص٤٩.

يدخل في الصورة الحسنة، وربما سجد الواحد منهم للصورة الحسنة إذا رآها، فوهم أنه فيها »[١].

ويعرف ابن حزم ت ٤٥٦هـ الحلول بأنه القول: « بحلول الباري تعالى في أجسام خلقه »[٢].

ويعرف أحدهم نحلة الحلولية بأنها: « فرقة... أفسدت القول بوحدانية الصانع، زاعمة أن الباري تعالى حلّ في أشخاص معينين، وفوّض إليهم تدبير أمور العالم »، ثم يقول بأن « الحلولية يزعمون أن روح القدس وهو الله عز وجل حلّت في النبي ﷺ ثم انتقلت منه إلى علي وأولاده وجميع الأئمة، الذين ارتقوا إلى مصاف الآلهة، أو أصبحوا آلهة في معتقدهم، وكل واحد منهم أصبح إلهاً »[٣].

وتعتقد بعض طوائف الحلولية أن الإله يحل في البشر منذ بدء الخليقة، ويعتقدون أن هناك سبعة أدوار للظهورات الإلهية، اتخذت في كل دور رسولاً ناطقاً.

فالظهور الأول كان في « شيث »، وكان « آدم » هو الرسول الناطق، ثم انتقلت الألوهية إلى « سام »، والنبوة إلى « نوح »، ثم انتقلت الألوهية إلى

---

(١) أصول الدين ص٧٧.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١١٤.

(٣) جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٧٩.

« إسماعيل »، والنبوة إلى « إبراهيم »، ثم انتقلت الألوهية إلى « هارون »، والنبوة إلى « موسى »، ثم انتقلت الألوهية إلى « شمعون الصفا، المعروف عند النصارى ببطرس »، والنبوة إلى « عيسى »، ثم ظهرت الألوهية للمرة الأخيرة في « علي بن أبي طالب »، والنبوة في « محمد » صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء وسلم تسليماً كثيراً، ويبنون اعتقادهم هذا على زعمهم بأن الله تعالى عندما أخذ الميثاق على خلقه، قبل إهباطهم لعمارة الأرض، قال للأنبياء والأوصياء والمقربين: إني سأحتجب بحجب الآدمية في أدوار متعددة؛ ولهذا فهم يعتقدون أن الألوهية قد استقرت أخيراً في علي بن أبي طالب رضي الله عنه(١).

هذا اعتقاد بعض طوائف الحلولية حصرت الحلول بالأدوار السبعة المذكورة، أما بعضها الآخر فيرى استمرارية الحلول في الأمكنة والأزمنة المختلفة، وكل طائفة لها كيفية خاصة في اعتقادها بالحلول(٢)، كما سيأتي بيان شيء من ذلك عند الحديث عن أشهر القائلين بالحلول، بعد قليل.

فهناك من طوائف الحلولية، من يعتقد بأن الإله حال في كل شيء؛ لأنه عندهم المادة الأولى، التي انبثقت منها وتولد كل شيء، ويمثلون لقولهم

---

(١) انظر الهفت الشريف ص١٩، ٢٠، ٥٩، وعقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة ١/ ٨٦.

(٢) انظر الفرقان بين الحق والباطل ص١٢٢، ١٢٣، ١٢٦ – ١٢٨، والشريعة ص٣٨٧، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٢.

بالحلول، بالنواة خرجت منها النخلة، وبالخشبة الخام خرج منها الأبواب والكراسي ونحوها، فعندهم أن هذا الوجود، علويه وسفليه، طيبه وخبيثه، هو أسماء للإله وصفات له[١].

كما أن بعضهم يعتقد أن كل إنسان، في أي زمان ومكان، باستطاعته أن يجعل جسده مكاناً لحلول الإله فيه، وذلك عن طريق تهذيب النفس، وقوة الرياضة وصفاء النفس، كما زعموا[٢].

وينقسم الحلول، عند القائلين به، باعتبار المحل الذي يحل فيه الإله إلى قسمين هما:

١. **الحلول الخاص**: وهو قولهم بحلول اللاهوت في الناسوت، كحلول الماء في الإناء، وهذا قول طائفة من النصارى، ومن وافقهم من الغلاة ممن ينتسب إلى الإسلام، كغلاة الرافضة، وغلاة الصوفية، الذين يقولون بحلول الله – سبحانه تعالى – في بعض أئمتهم وأوليائهم وزعمائهم.

٢. **الحلول العام**: وهو قولهم بأن الله – تعالى – بذاته في كل مكان، وهذا قول طائفة من الجهمية، وبعض غلاة الصوفية[٣].

---

(١) انظر أخبار القرامطة ص٤٤٥، ٥٧١، وكنز الولد ص٤٩، وانظر تعليق محمد حامد الفقي على الشريعة ص٢٨٥.

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص١٩٨، وشرح المقاصد ٢/ ٥٢ والإنسان الكامل ص٣٨.

(٣) انظر أصول الدين ص٣٣١، والفرق بين الفرق ص٢٤١، ٢٤٢، ومجموع فتاوى شيخ=

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: « والحلول نوعان: حلول مقيد، وحلول مطلق.

فالحلول المقيد هو قول النصارى ونحوهم من غلاة الرافضة، وغلاة العبّاد، وغيرهم، يقولون: إنه حلّ في المسيح أو اتحد به، وحلّ بعلي أو اتحد به، وأنه يتحد بالعارفين، حتى يصير الموحِّد هو الموحَّد...

وهؤلاء الذين حكى أحمد قولهم أنهم يقولون: إذا أراد الله أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه، فتكلم على لسانه، وقد رأيت من هؤلاء غير واحد ممن خاطبني، وتكلم معي في هذا المذهب، وبينت له فساده.

وأما أهل الحلول المطلق الذين يقولون: إنه حال في كل شيء، أو متحد بكل شيء، أو الوجود واحد، كأصحاب فصوص الحكم[1]، وأمثالهم، فهؤلاء يقولون: أخطأ النصارى من جهة أنهم خصصوا، وكذلك يقولون في عباد الأصنام، خطؤهم من جهة أنهم خصصوا بعض الأشياء فعبدوها، وقد رأيت من هؤلاء أيضاً غير واحد، وجرت بيننا وبينهم محنة معروفة »[2].

=الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ١٧١، ١٧٢، ٤٩٠، ومجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٧٩، والفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ١١١، والملل والنحل ٢/ ٢٥٥-٢٥٣.

(١) صاحب فصوص الحكم هو محيي الدين بن عربي، من غلاة الصوفية ت٦٣٨هـ.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ١٧٠ وانظر ٦/ ١٥١، ١٥٢، و١٠/ ٢٨٧، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ١٧١، ١٧٢، و٨/ ٤١٦، ١٥/ ٤٢٤.

ويعرف أحد الأدباء المعاصرين الحلول بقوله: « الاعتقاد بأن الله حال في كل شيء، حتى يصح أن يطلق اسمه على كل الموجودات، ونجم عن إيمان المتصوفين بهذه النظرية ذهابهم إلى أن الخالق حال فيهم، فإذا وصلوا إلى مرحلة الانجذاب، وتجلت أمام أبصارهم ما يعتقدونه حقيقة نطقوا بلسان خالقهم، وجاء كلامهم معبراً عن أمور لا يقرها الدين »[١].

وبعد أن عرّف الحلول بهذه الخلاصة ذكر أن عدداً من الأدباء المعاصرين انتحل هذه العقيدة، « بصورة معتدلة »، على حد زعمه، حيث قالوا بحلول الخالق في جميع الكائنات، ومنها ذواتهم، ثم امتدحهم بأن هذه العقيدة جعلتهم ينظرون إلى ما في العالم نظرة عطف و محبة[٢].

ولا ريب أن هذا الاعتقاد بعيد عن الاعتدال، بل هو غلو صريح، وكفر بواح، بعيد عن النقل والعقل والفطرة.

فالحلولية تدعو إلى تشخيص الإله من خلال حلوله بذاته، أو روحه، بالإنسان، وفي الوقت نفسه تأليه الإنسان الذي حلت فيه روح الإله، ورفعه إلى مصاف الألوهية[٣].

* * *

---

(١) المعجم الأدبي ص٩٩.

(٢) انظر المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

(٣) انظر حركة الغلو وأصولها الفارسية ص٢٤، ٢٥، والغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ص١٢٦.

المطلب الثاني

أشهر القائلين بالحلول ممن ينتسب إلى الإسلام

أول من عرف عنه القول بالحلول، ممن ينتسب إلى الإسلام، عبد الله بن سبأ، الملقب بابن السوداء؛ لسواد أمه، أصله من اليمن، وكان يهودياً فأظهر الإسلام، وطاف بلاد المسلمين، ليلفتهم عن دينهم الحق وجماعتهم المعتصمة بالله، فبدأ أولاً بالحجاز، ثم بالبصرة، ثم بالكوفة، ثم دخل دمشق أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأخرجوه حتى أتى مصر، وأظهر مقالته بينهم، زاعماً بأن الرسول محمد ﷺ سيرجع آخر الزمان، وأن عثمان بن عفان رضي الله عنه ظالم وجائر، حتى سعى في فتنته وقتله، رضي الله عنه، ثم لما قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة، أظهر الغلو فيه، بأنه وصي ثم نبي، ثم رب وإله يخلق الخلق ويبسط الرزق، ولما بلغ ذلك علياً، هم بقتله، فقيل أحرقه بالنار، وقيل نفاه، وقيل هرب منه إلى جهة بلاد فارس، أو نحوها، ونشر فيها عقيدته الحلولية[١]، ومن ثم تابعه على هذه العقيدة الباطلة طوائف كثيرة، تعود كلها إلى الأصل نفسه، ومن أشهرها طائفة

---

(١) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٤٣٠، ٤٣١، ومقالات الإسلاميين ص١٥، وميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٦ وشرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٤٦، ٧٤٨، وابن سبأ حقيقة لا خيال، الكتاب كله في هذا الموضوع ومنهاج السنة النبوية ١/ ٣٠.

السبئية، التي قالت بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

وكذلك طائفة المغيرية، أتباع مغيرة بن سعد العجلي ت١٢٠هـ، الذي زعم أن الإله حلّ فيه أيضاً[٢].

وكذلك تابعه طائفة البيانية، أتباع بيان بن سمعان التميمي النهدي ت١١٩هـ حيث زعم ألوهية علي بن أبي طالب، ثم زعم أنه قد حلّ فيه جزء من الإله[٣]، والجناحية الذين ينسبون أنفسهم إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر « ذي الجناحين » بن أبي طالب ت١٢٩هـ، الذين زعموا بأن روح الله حلت في آدم، ثم في الأنبياء بعده، حتى انتهت إلى علي بن أبي طالب وأولاده، ثم إلى عبد الله بن معاوية[٤].

وممن قال بهذا القول نفسه طوائف: النميرية، أتباع رجل يعرف بالنميري، زعم بأن روح الإله حلت في خمسة أشخاص هم: الرسول

---

(١) انظر تفسير القمي ٢/ ١٣٠، ١٣١، وفرق الشيعة ص٢٢، ٢٣، والبدء والتاريخ ٥/ ١٢٩، وشرح نهج البلاغة ٢/ ٣٠٩، وفتح الباري ١٢/ ٢٧٠، والملل والنحل ١/ ١٤٠، ١٤١، ومقالات الإسلاميين ١/ ٨٥، ٨٦.

(٢) انظر فرق الشيعة ص٦٣، ومعجم الفرق الإسلامية ص٢٣٢- ٢٣٤، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٤٥-٤٨، ومقالات الإسلاميين ١/ ٦٨، ٧٢.

(٣) انظر جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٥١، والفرق بين الفرق ص١٨٠، ١٨١، ١٩٤، وفرق الشيعة ص٢٨، ٣٤، ومقالات الإسلاميين ١/ ٦٦، ٦٧.

(٤) انظر معجم الفرق الإسلامية ص٨٤، وفرق الشيعة ص٣٥، ٣٦، والاعتصام ٢/ ١٩٧.

محمد ﷺ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين، رضوان الله عليهم أجمعين، ثم ادعى بأن روح الإله حلت في النميري نفسه[١].

والمقنعية، أتباع المقنَّع هشام بن الحكم المروزي ت١٦١هـ، من أهل مرو[٢]، والحلمانية، أتباع حلمان الدمشقي، فارسي الأصل، نشأ في الشام ونشر القول بالحلول فيها[٣].

والرزامية، أتباع رزام بن رزم، من أهل خراسان[٤].

والشريعية، أتباع محمد بن موسى الشريعي، وقيل الشريفي أو الشريقي[٥].

والعذافرة، أتباع أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني ت٣٢٢هـ، المعروف بابن أبي العُذافر أو العذاقر أو العزاقر[٦].

وكل هذه الفرق قالت بالحلول، على اختلاف يسير فيمن حل الإله فيه، على حد زعمهم.

وكذلك فرقة الخطابية، من غلاة الرافضة، أتباع أبي الخطاب محمد بن

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص١٩٢، ١٩٤، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٢٠٩.

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص١٩٥، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٧٢.

(٣) انظر معجم الفرق الإسلامية ص١٠٢، والفرق بين الفرق ص١٩٦.

(٤) انظر فرق الشيعة ص٤٧، والفرق بين الفرق ص٩٤، ٩٥.

(٥) انظر جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص١٢٤، والفرق بين الفرق ص١٩٢.

(٦) انظر معجم الفرق الإسلامية ص١٧٠، ١٧١، والفرق بين الفرق ص٢٠٠.

أبي زينب الأسدي الأجدع، مولى بني أسد ت١٤٣هـ، حيث زعمت هذه الفرقة ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأولاده، وزعمت أن جعفر ابن محمد الصادق ت١٤٨هـ هو الإله في زمانهم، وليس هو المحسوس الذي يرونه، ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة، فرآه الناس فيها، ثم افترقت الخطابية إلى فرق سارت على عقيدتها الحلولية، في تأليه أئمتهم، بل إنهم زعموا ألوهية أبي الخطاب نفسه، حيث زعموا أن الله تعالى انفصل عن جعفر الصادق، وحل في مؤسس فرقتهم[(١)].

ومن فرق الرافضة، القائلين بالحلول، فرقة المفوضة، أو المفوضية، الذين زعموا أن الله لما خلق أرواح علي وأولاده فوض العالم إليهم، فخلقوا هم الأرضين والسماوات، وكان قبلهم قد فوض محمداً ﷺ تدبير العالم وتصريفه، ومن المفوضية أبو منصور العجلي ت١٢١هـ[(٢)].

وممن قال بالحلول، من غلاة الرافضة، طائفة النصيرية، أتباع محمد بن نصير النميري ت٢٦٠هـ، والإسحاقية، أتباع إسحاق بن زيد بن الحارث ت٢٧٢هـ وهما يقولان بإطلاق الإلهية على « الأئمة من أهل البيت »، وأن

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١١٤، والملل والنحل ١/ ١٤٤، ١٤٥ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٤٦، ٤٧، وفرق الشيعة ص٤٢ - ٤٥.

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص١٩١، ومقالات الإسلاميين ١/ ٨٦ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٤٩، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص١٩٤.

الله تعالى ظهر بصور أشخاص، وهم علي بن أبي طالب وأولاده، قالوا: لأنهم خير البرية؛ فظهر الحق بصورهم، ونطق بألسنتهم، وزعموا بأن الإمام بعد حلول روح الإله فيه يصير صانعاً وإلهاً[١].

وكذلك قالت طائفة الإسماعيلية الرافضة بالحلول، وكذا طائفة الدروز، تلك الطائفة المتفرعة عن الإسماعيلية، ويذكر المؤرخون بأن رجلاً يعرف بالدرزي قدم إلى مصر، وكان من الباطنية، فاجتمع بالحاكم بأمر الله الفاطمي العبيدي ت٤١١هـ، وساعده على ادعاء الربوبية، وصنف له كتاباً في ذلك[٢]، ولذا قال الدروز بألوهية الحاكم المذكور[٣].

ومما يروى ما قاله الإسماعيلي تيم بن المعز لدين الله الفاطمي العبيدي، يمدح أخاه العزيز بالله:

---

(١) انظر الملل والنحل ١/ ١٥٢، ١٥٤، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٥١، ٥٢، والمواقف في علم الكلام ص٢٧٥، وأصول الدين ص٧١، ٧٢، والباكورة السليمانية ص١٢٤، ١٢٥، والعلويون أو النصيرية ص١٤-١٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٣، ١٨٤، وعقيدة الدروز ص١١٧-١٣٧ والحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص٢٢٣، ٣٤١، وأخبار القرامطة ٢/ ٧٢، وكنز الولد ص٤٩، ١٧٢، ٢٢٥، والتقمص ص٤٦.

(٣) انظر دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٤٤-١٤٦، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص٢١٢، ٢٧٠، وعقيدة الدروز ص١١٧.

ما أنت دون ملوك العالمين سوى   روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره   تناهياً حاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الأولى التي سبقت   خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر[١]

والإسماعيلية وصفوا أئمتهم بصفات الألوهية، ونسبوا إليهم القدرة المطلقة، والوجود الأزلي السابق للكون، يقول أحد شعرائهم مخاطباً أحد أئمتهم:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار[٢]

يقول عبد القاهر البغدادي: « والحلولية في الجملة عشر فرق، كلها كانت في دولة الإسلام....، وتفصيل فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض، وذلك أن السبئية، والبيانية والجناحية والخطابية، والنميرية، منهم بأجمعها حلولية، وظهر بعدهم المقنعية بما وراء نهر جيحون، وظهر قوم بمرو يقال لهم: رزامية، وقوم يقال لهم بركوكية، وظهر بعدهم قوم يقال لهم حلمانية، وقوم يقال لهم حلاجية...، وقوم يقال لهم العذافرة، ينسبون إلى أبي العذافر، وتبع هؤلاء الحلولية قوم من الخرمية »[٣].

ويقول الفخر الرازي ت٦٠٦هـ بأن « أول من أظهر هذه المقالة [أي

---

(١) انظر طائفة الإسماعيلية ص١٥٩، ١٦٠، وأضواء على العقيدة الدرزية ص٣٠-٣٤.

(٢) ديوان ابن هانئ الأندلسي ص١٤٦، وانظر ظهر الإسلام ٣/ ١٣٨-١٤٠، والفن ومذاهبه في الشعر العربي ص٤١٩، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص٢١٢.

(٣) الفرق بين الفرق ص١٩٣، وانظر البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٦٩.

الحلول] في الإسلام: الروافض؛ فإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم »[١].

وممن قال بالحلول، من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، طائفة الجهمية، أتباع الجهم بن صفوان ت١٢٨هـ، الذين أنكروا علو الله على خلقه، وزعموا بأنه سبحانه وتعالى حال في كل مكان[٢].

قال أبو سعيد الدارمي ت٢٨٠هـ في رده على الجهمية: « أقرت هذه العصابة بهذه الآيات [آيات استواء الله على خلقه] بألسنتها، وادعوا الإيمان بها، ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها، فقالوا: الله في كل مكان لا يخلو منه مكان »[٣].

وقال بعض الجهمية بأن الله تعالى كما هو فوق العرش، فهو على العرش، وفي السماوات، وفي الأرض، وفي كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، بل قالوا هو تحت الأرض السابعة، أيضاً[٤]، تعالى الله عن قولهم علواً عظيماً.

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٢، ٨٣.

(٢) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣، وشرح أصول الاعتقاد، ٣/ ١٨٠، واجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٩، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٥٨، ٥٩، ٥/ ٢٢٨.

(٣) الرد على الجهمية ص١٨، وانظر رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٧٩، ٨٠.

(٤) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٥، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص١٠٤، ومختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٦٣، وإثبات صفة العلو ١/ ١٣٠، ١٣١.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « وجعل الإمام أحمد[1] حجة جهم من جنس حجة أولئك الذين يقولون بالحلول المقيد؛ لأن هؤلاء يقولون: إنه حل في بعض خلقه، وهؤلاء الجهمية فيهم من يقول: إن اللاهوت في الناسوت من غير حلول فيه، وهكذا الجهم وأتباعه جعلوا وجود الخالق في المخلوقات، من جنس اللاهوت في الناسوت »[2].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن « النفاة تارة يقولون بالحلول والاتحاد، أو نحو ذلك، وتارة يقولون: لا مباين للعالم، ولا داخل فيه، والشخص الواحد منهم يقول هذا تارة وهذا تارة؛ فإنهم في حيرة، والغالب على متكلميهم نفي الأمرين، والغالب على عبّادهم وفقهائهم وصوفيتهم وعامتهم الحلول، فمتكلموهم لا يعبدون شيئاً، ومتصوفتهم يعبدون كل شيء »[3].

ويقول أيضاً: « التعطيل شر من الحلول؛ ولهذا كان العامة من الجهمية إنما يعتقدون أنه في كل مكان، وخاصتهم لا تظهر لعامتهم إلا هذا، لأن العقول تنفر عن التعطيل أعظم من نفرتها عن الحلول، وتنكر قول من يقول: إنه لا داخل العالم ولا خارجه أعظم مما تنكر أنه في كل مكان »[4].

---

(١) في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٥، ١٣٩.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ١٧١.

(٣) المصدر السابق ٥/ ١٦٩، وانظر ٦/ ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢.

(٤) المصدر السابق ٦/ ١٥٤.

فالجهمية افترقوا على أقوال مختلفة:

فطائفة منهم قالوا بأن الله تعالى ليس داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا فوق ولا تحت، ولا يقولون بعلوه ولا فوقيته.

وطائفة قالوا بأنه بذاته تعالى في كل مكان.

وطائفة ثالثة قالوا بأنه تعالى عين وجود المخلوقات، كما يقول أهل الوحدة، القائلون بأن الوجود واحد، ومن يكون قوله مركباً من الحلول والاتحاد.

وطائفة رابعة قالوا بأنه سبحانه فوق العرش، وهو في كل مكان[١].

وجمهور الجهمية وعبادهم وصوفيتهم يقولون بالحلول، والنفي العام يقوله متكلموهم[٢]، وهؤلاء المتكلمون النفاة يخضعون لأرباب الأحوال والعبادات والمعارف من الجهمية الحلولية، ولا يمكنهم الإنكار عليهم بحجة ظاهرة، ويد مبسوطة، بل إما أن يكونوا مقصرين معهم في الحجة، وإما أن يكونوا مقهورين معهم بالحال والعبادة والمعرفة؛ لأن أولئك الحلولية في قلوبهم تأله، وهؤلاء المتكلمون بطالون قساة القلوب[٣].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٦٠ و٥/ ٢٢٧ - ٢٢٩، و٨/ ٤١٢، ٤١٦ و١٦/ ١٠٠، ومختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٦٣.

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٨٨، ومجموع الفتاوى ٥/ ٢٢٨.

(٣) انظر المصدر السابق ١٠/ ٢٨٨، ٢٨٩، و٦/ ١٥٦ - ١٦٢، ومختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٦٣، ٢٦٤، ومجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٨٨.

وذكر ابن حزم، وغيره، أن المعتزلة ذهبت إلى أن الله تعالى حال في كل مكان[١].

وممن قال بذلك ممن ينتسب إلى المعتزلة، طائفتا الخابطية، أو الحابطية، أو الحائطية، أتباع أحمد بن خابط، أو حابط، أو حائط، ت٢٣٢هـ، والحدثية، أتباع الفضل الحدثي ت٢٥٧هـ، فإن هاتين الطائفتين اعتقدتا حلول الإله في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، موافقة لعقيدة النصارى، وقال بعضهم بأن للخلق صانعين، أحدهما قديم، وهو الباري تعالى، والثاني محدث، وهو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فهو محدث خلقه الله أولاً، ثم فوّض إليه تدبير العالم وتصريفه، وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة[٢].

وممن قال بعقيدة الحلول، ممن ينتسب إلى الإسلام، غلاة الصوفية؛ ولذا فقد عد الفخر الرازي ت٦٠٦هـ الحلولية ضمن طوائف الصوفية، فقال: « الخامسة: الحلولية، وهم طائفة من هؤلاء القوم، الذين ذكرناهم،

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١٢٢، وأصول الدين ص٧٧، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٥٣ – ١٥٥، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢١٧، ٢١٨، ٣٢٦ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ٣/ ٢٦٣، و٥/ ٥٢.

(٢) انظر الملل والنحل ١/ ٥١، والفرق بين الفرق ص٢٠٨، ٢٠٩، وأصول الدين ص٧١، ٧٢، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٥٩، ٦٠، وذكر مذاهب الفرق اثنتين والسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين ص٦٥، ٦٦.

يرون في أنفسهم أحوالاً عجيبة، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر[١]، فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد، فيدعون دعاوى عظيمة »[٢].

وقد اشتهر القول بالحلول عن غلاة الصوفية، فمثلاً يروى عن الحسين ابن منصور الحلاج ت٣٠٩هـ قوله: « من هذب نفسه في الطاعة، وصبر على الشهوات واللذات، ارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حلّ فيه روح الإله، الذي حل في عيسى بن مريم، ولم يرد شيئاً إلا كان كما أراد، وكان جميع فعله فعل الله تعالى »[٣].

ويذكر عن الحلاج أنه كتب إلى أتباعه يقول: « من الهو هو، رب الأرباب، المتصور في كل صورة إلى عبده فلان »، كما يذكر أن أتباعه كتبوا إليه يقولون: « يا ذات الذات، ومنتهى غاية الشهوات، نشهد أنك المتصور

---

(١) وقبل ذلك ليس لهم من الفهم الصحيح للعلوم النقلية نصيب وافر، ولو كان لهم ذلك مع اتباع سديد لما وقعوا في الحلول وغيره من المخالفات.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٢، وانظر المواقف في علم الكلام ص٢٧٥، ومنهاج السنة النبوية ٥/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٢، والفرق بين الفرق ص١٩٨، ودائرة معارف القرن العشرين ١/ ٣٤٥.

في كل زمان بصورة، وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور، ونحن نستجيرك، ونرجوا رحمتك يا علام الغيوب »[١].

كما يروى عن الحلاج أيضاً أنه كتب كتاباً إلى رجل، جاء فيه: « من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان »، فلما سئل الحلاج عن ذلك قال: « هذا خطي وأنا كتبته »، فقالوا: كنت تدعي النبوة، فأصبحت تدعي الربوبية!، فقال: « ما أدعي الربوبية، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكتاب إلا الله تعالى واليد فيه آلة؟ »[٢].

كما اشتهر عنه قوله في كتبه:

« أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا »[٣]

وقوله:

« مزجت روحك في روحي كما ... تمزج الخمرة في الماء الزلال
فإذا مسّك شيء مسّني ... فإذا أنت أنا في كل حال »[٤]

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص١٩٩، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٥٦، ٥٧ ودراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة ص٢٥٦.

(٢) انظر تلبيس إبليس ص١٧١.

(٣) كتاب الطواسين ص١٣٤، وانظر أخبار الحلاج ص١٦، وتاريخ بغداد ٨/ ١٢٩.

(٤) انظر البداية والنهاية ١١/ ١٣٤، وتاريخ بغداد ٨/ ١١٥.

هذا القول الشنيع قد لا يُستغرب ممن يعترف، في كتبه أن أساتذته إبليس وفرعون وأمثالهما، فتأمل قول الحلاج: « فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون، إبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه »[(١)].

ويقول الصوفي عبد الكريم الجيلي ت٨٢٦هـ: « إذا تجلى الله تعالى على عبد من عبيده في اسم من أسمائه استظل العبد تحت أنوار ذلك الاسم...، فمتى ناديت الحق بذلك الاسم أجابك العبد لوقوع ذلك الاسم عليه »[(٢)].

الحاصل أن غلاة الصوفية يقولون بالحلول، حيث زعموا: « أن السالك إذا أمعن في السلوك، وخاض معظم لجة الوصول، فربما يحل الله فيه، كحلول النار في الجمر، بحيث لا تمايز، أو يتحد به بحيث لا اثنينية ولا تغاير، وصح أن يقول السالك حينئذٍ: هو أنا، وأنا هو، وحينئذ يرتفع الأمر والنهي، ويظهر من الغرائب والعجائب ما لا يتصور من البشر »[(٣)].

ولهؤلاء الغلاة من الصوفية كلام كثير يقررون فيه عقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، كما لابن عربي ت٦٣٨هـ والتلمساني ت٦٩٠هـ

---

(١) كتاب الطواسين ص٢٠.

(٢) الإنسان الكامل ص٣٨.

(٣) شرح المقاصد ٢/ ٥٢، وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١١٤، والفرق بين الفرق ص١٩٣.

وابن الفارض ت٦٣٢هـ وابن سبعين ت٦٦٧هـ، وغيرهم[١].

يقول أبو الحسن الأشعري ت٣٢٤هـ: « وفي النساك من الصوفية من يقول بالحلول، وأن الباري يحل في الأشخاص، وأنه جائز أن يحل في إنسان وسبع، وغير ذلك من الأشخاص، وأصحاب هذه المقالة إذا رأوا شيئاً يستحسنونه قالوا: لا ندري لعل الله حالٌّ فيه، ومالوا إلى اطراح الشرائع، وزعموا أن الإنسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده »[٢].

وقد ذكر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أنواع الحلول والاتحاد، ومن قال بها إجمالاً: فقال:

« وإنما كان الكفر الحلول العام، أو الاتحاد، أو الحلول الخاص، وذلك أن القسمة رباعية؛ لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة؛ فإما أن يقول بحلوله فيه، أو اتحاده به، وعلى التقديرين فإما أن يجعل ذلك مختصاً ببعض الخلق، كالمسيح، أو يجعله عاماً لجميع الخلق، فهذه أربعة أقسام:

الأول: هو الحلول الخاص، وهو قول النسطورية من النصارى،

---

(١) انظر شرح مشكلات الفتوحات المكية ص١٣٢-١٥٢، وأخبار الحلاج ص١٥-١٨، والمواقف والمخاطبات ص٢١، ٣٩-٥٠، وشعر ابن الفارض ص٣٠-٣٧، وفصوص الحكم ص٧٢-٨٣، ١٩٢، ١٩٣، ٢١٠، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٨/ ٢٢٢.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/ ٨٠، ٨١، وانظر منهاج السنة النبوية ٢/ ٥٠٨، ٥٠٩.

ونحوهم ممن يقول إن اللاهوت حل في الناسوت، وتدرع به، كحلول الماء في الإناء، وهؤلاء حققوا كفر النصارى، بسبب مخالطتهم للمسلمين، وكان أولهم في زمن المأمون، وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى، من غالية هذه الأمة، كغالية الرافضة، الذين يقولون: إنه حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته، وغالية النساك، الذين يقولون: بالحلول في الأولياء، ومن يعتقدون فيه الولاية، أو في بعضهم كالحلاج ...

والثاني: هو الاتحاد الخاص، وهو قول يعقوبية النصارى، وهم أخبث قولا، وهم السودان والقبط، يقولون: إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام.

والثالث: هو الحلول العام، وهو القول الذي ذكر أئمة أهل السنة والحديث، عن طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية، الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، ويتمسكون بمتشابه من القرآن.

الرابع: الاتحاد العام، وهو قول هؤلاء الملاحدة [يشير إلى غلاة الصوفية]، الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى... »[١].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ١٧١، ١٧٢، وانظر مجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٧٩-١٩٠ و٤/ ٢٨-٣٠، والاستقامة ٢/ ١٩٦.

وقالت البهائية، أتباع حسين علي نوري، الميرزا، الملقب بالبهاء، أو بهاء الله ت١٣٠٩هـ، بالحلول، حيث زعمت أن الحقيقة الإلهية مجرد صرف، ولهذا فهي بحاجة إلى هيكل تتجسد فيه، حتى يمكن أن ترى وتعرف، وتعمل من خلاله، وقبل هذا التجسد تمر الحقيقة الإلهية بأطوار وأكوار، ومن ثم يجب أن نطلق على الهيكل البشري الذي تتجسد فيه، كل الأسماء والصفات الإلهية الواردة في القرآن، كما قالت البهائية بأنه ليس للحقيقة الإلهية ميعاد مخصوص لتتجسد في الجسد البشري، فإنها كلما رأت استعداداً وقبولاً في هيكل ما حلت فيه وتجسدت به، وذلك أن الله – على حد زعمهم الكافر – لا يستطيع أن يعمل إلا وهو حال في بدن، وأنه لم يخل عنه بدن؛ لأن مظاهر جماله ليس لها بداية[1].

وقالت القاديانية أتباع غلام أحمد القادياني ت١٣٢٦هـ بحلول الله تعالى في أجساد بعض خلقه، حيث زعم مؤسس هذه الطائفة أنه نُفخ فيه روح عيسى التي نخفت في مريم، وأنه حبل بصورة الاستعارة، وبعد عشرة أشهر حول عن مريم، وجعل عيسى، وبهذه الطريق صار القادياني في عيسى بن مريم، وصار فيه جزء من الألوهية[2].

---

(١) انظر بهاء الله والعصر الجديد ص٢٠٩، وتاريخ المذاهب الإسلامية ١/ ٢١٢، ٢١٣، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٨٨-١٩٤، والبابية عرض ونقد ١٤٨، ١٤٩.

(٢) انظر القاديانية دراسات وتحليل ص٩٩-١٠١، وتاريخ المذاهب الإسلامية ١/ ٢٢٢، ٢٢٤، وحركات الغلو والتطرف في الإسلام ص١١٣.

وممن تلفظ بعقيدة الحلول، ممن ينتسب إلى الإسلام، بعض الأدباء المعاصرين، من الغوغاء والفوضويين، يقول أحدهم مادحاً الحلولية، ومثنياً على من قال بها: « لهذه النظرية مظهر معتدل (!!) تراءى في آثار عدد من الأدباء المعاصرين، الذين قالوا بحلول الخالق في جميع الكائنات، ومنها ذواتهم، وانطلقوا من هذا المبدأ، لينظروا إلى كل ما في العالم نظرة عطف ومحبة، وليعتدوا بأنفسهم، لأنهم على ما يظنون أدركوا الحقيقة في علائق الله بالمخلوقات، وتبينوا وجوده في ذواتهم »[١].

فلا أدري أي اعتدال فيمن زعم أن الخالق يحل في مخلوقاته، إنه السقوط والانحدار في مهاوي الوثنية والفوضى الفكرية.

* * *

(١) المعجم الأدبي ص٩٩.

المبحث الثاني
نقض عقيدة الحلولية

المطلب الأول
حكم القول بالحلول

لا شك أن هذه العقيدة كفر بالله العظيم، كما قرر أهل العلم، وذلك لوصفها الله سبحانه وتعالى بالنقائص، وعدم تنزيه رب العالمين، ولنفيها أسماء الله وصفاته الدالة على علوه وفوقيته واستوائه على عرشه، ومباينته لخلقه، فهي عقيدة معارضة لنصوص الوحيين، كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولأهل العلم في تكفير هؤلاء الحلولية أقوال مشهورة، وفي كتب العقيدة والسنة مبثوثة، وبنصوص الشرع مؤيدة ومدعومة.

وإليك بعض هذه الأقوال والأحكام:

سئل الإمام أبو حنيفة ت١٥٠هـ رحمه الله عن الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(١)، وعرشه فوق سبع سماوات، وكذلك سئل عن الذي يقول بأن الله على العرش استوى، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في

---

(١) سورة طه، الآية ٥.

الأرض، فأفتى رحمه الله بأنه كافر لأنه أنكر أن يكون في السماء، لأن الله تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل[١].

فأبو حنيفة رحمه الله كفر الواقف، الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فكيف يكون الحكم في الذي يصرح بنفي علوه تعالى، أو يصرح بأنه عز وجل يحل في مخلوقاته، واستدل رحمه الله بأن قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ يدل على أن الله فوق السماوات وفوق العرش، وأن الاستواء على العرش يدل على أن الله بذاته فوق العرش، « وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى، لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية؛ فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل »[٢].

وروي عن يحيى بن معاذ الرازي ت٢٥٨هـ أنه قال: « إن الله على العرش بائن من الخلق، وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل، وهالك مرتاب، يمزج الله بخلقه،

---

(١) انظر الفقه الأبسط، (العالم والمتعلم)، من رواية أبي مطيع عن أبي حنيفة ص٤٩، والرسائل السبع في العقائد شرح الفقه الأكبر ص١٤، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٤٧، ٤٨.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٤٨، ٤٩.

ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان »[١].

وعن عبد الرحمن بن مهدي ت١٩٨هـ أنه قال: « ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرى والله أن لا يناكحوا، ولا يتوارثوا »[٢].

وقال عبد الله بن المبارك ت١٨١هـ: «نعرف ربنا فوق سبع سماوات، على العرش استوى، بائناً من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا»، وأشار إلى الأرض[٣].

وعن محمد بن إسحاق بن خزيمة ت٣١١هـ أنه قال: « من لم يقر بأن الله عز وجل على عرشه، قد استوى فوق سبع سماواته، فهو كافر بربه، حلال الدم، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل، حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فيئاً، لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر »[٤].

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٤٩.

(٢) المصدر السابق ٥/ ٥٢، ٥٣.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة ١/ ١١١، برقم ٢٢، والدارمي في الرد على الجهمية ص٢٣، ٥٠، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث ص١٨٦، وذكره ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية ص٨٤، وقال: وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر.

(٤) انظر معرفة علوم الحديث ص٨٤، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث ص١٨٧.

وقال سعيد بن عامر الضبعي ت٢٠٨هـ، عن الجهمية: « هم شر قولاً من اليهود والنصارى، وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء »(١).

وقال الإمام أحمد ت٢٤١هـ بأن من زعم أن الله خلق الخلق: « خارجاً عن نفسه، ثم دخل فيهم كان هذا كفراً، أيضاً، حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر رديء »(٢).

وقد جاء في الآثار أن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أتى بقوم من الرافضة الزنادقة فحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال: أما أنا فلو كنت لقتلتهم، لقول رسول الله ﷺ: « **من بدل دينه فاقتلوه** »، ولما حرقتهم لنهي رسول الله ﷺ: « **لا تعذبوا بعذاب الله** »(٣).

قال أبو سعيد الدارمي ت٢٨٠هـ: « فرأينا هؤلاء الجهمية، أفحش زندقة، وأظهر كفراً، وأقبح تأويلاً لكتاب الله، ورد صفاته، فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلهم علي رضي الله عنه، وحرقهم، فمضت السنة في علي وابن عباس رضي الله عنهما في قتل الزنادقة؛ لأنها كفر عندهما، وأنهم عندهم

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٤٧، ١٤٨.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ح٦٩٢٢.

ممن بدل دين الله، وتأولا في ذلك قول رسول الله ﷺ، ولا يجب على رجل قتل في قول يقوله، حتى يكون قوله ذلك كفراً، لا يجب فيما دون الكفر قتل إلا عقوبة فقط »[(١)]. ثم قال رحمه الله: « فالجهمية عندنا زنادقة من أخبث الزنادقة، نرى أن يستتابوا من كفرهم، فإن أظهروا التوبة تركوا، وإن لم يظهروها تركوا، وإن شهدت عليهم بذلك شهود فأنكروا ولم يتوبوا، قتلوا، كذلك بلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سن في الزناقة »[(٢)].

ولا شك أن الحلولية أشد زندقة من الجهمية، فبعضهم من حلولية الجهمية، وبعضهم أعظم غلواً، وأشد كفراً، والزنادقة الذين حرقهم علي بن أبي طالب هم الشيعة الذين زعموا بأنه رضي الله عنه إله[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « أمير المؤمنين علي رضي الله عنه... أمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الإلهية؛ فإنه خرج ذات يوم، فسجدوا له، فقال لهم: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو، قال: من أنا؟ قالوا: أنت الله الذي لا إله إلا هو، فقال: ويحكم، هذا كفر ارجعوا عنه، وإلا ضربت أعناقكم، فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك، فأخرهم ثلاثة أيام؛ لأن المرتد يستتاب

---

(١) الرد على الجهمية ص١٠٧.

(٢) المصدر السابق ص١١٣.

(٣) انظر منهاج السنة النبوية ١/ ٣٠، ٣٠٦، ٣٠٧، والفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٤٧، وشرح نهج البلاغة ٨/ ١٦٩، وفتح الباري ١٢/ ٢٧٠، ٢٧١.

ثلاثة أيام، فلما لم يرجعوا أمر بأخاديد من نار فخدت عند باب كندة، وقذفهم في تلك النار، وروي عنه أنه قال: لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبرا .

وقتل هؤلاء واجب باتفاق المسلمين، لكن في جواز تحريقهم نزاع، فعلي رضي الله عنه رأى تحريقهم، وخالفه ابن عباس وغيره »[١].

فهؤلاء الزنادقة الذين حكم عليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالقتل، بعد استتابتهم، لا شك أنهم طائفة من الحلولية، بل هم أول من عرف بالحلول في الإسلام، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في التمهيد.

وبعد أن ذكر أبو سعيد الدارمي أقوال الجهمية، من إنكارهم علو الله تعالى، وقولهم بأنه في كل مكان، وقول بعضهم بأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ونفيهم كلام الله تعالى، وقولهم بأن القرآن مخلوق، ونفيهم لأسماء الله وصفاته، بعد هذا قال رحمه الله: « ناظرني رجل ببغداد، منافحاً عن هؤلاء الجهمية، فقال لي: بأية حجة تكفرون هؤلاء الجهمية، وقد نهي عن إكفار أهل القبلة؟ بكتاب ناطق تكفرونهم، أم بأثر، أم بإجماع؟ فقلت: ما الجهمية عندنا من أهل القبلة؟ وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور، وأثر مأثور، وكفر مشهور »، ثم ساق الأدلة على تكفيرهم، في كتاب الله تعالى وسنة

---

(١) منهاج السنة النبوية ١/ ٣٠٦ - ٣٠٨.

رسوله ﷺ، والأثر، لقولهم بأن القرآن مخلوق ونفيهم صفات الله تعالى، ثم قال: « ونكفرهم أيضاً بكفر مشهور، وهو تكذيبهم بنص الكتاب، أخبر الله تبارك وتعالى أنه كلم موسى تكليماً، وقال هؤلاء: لم يكلمه الله بنفسه، ولم يسمع موسى نفس كلام الله، إنما سمع كلاماً خرج إليه من مخلوق...، ونكفرهم أيضاً بالمشهور من كفرهم أنهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى وجهاً ولا سمعاً ولا بصراً، ولا علماً ولا كلاماً، ولا صفة إلا بتأويل ضلال، افتضحوا، وتبينت عوراتهم، يقولون: سمعه وبصره وعلمه وكلامه بمعنى واحد، وهو بنفسه في كل مكان، وفي كل بيت مغلق، وصندوق مقفل، قد أحاطت به في دعواهم حيطانها وأغلاقها وأقفالها، فإلى الله نبرأ من إله هذه صفته، وهذا أيضاً مذهب واضح في إكفارهم.

ونكفرهم أيضاً أنهم لا يدرون أين الله، ولا يصفونه بأين..، والجهمية تكفر به، وهذا أيضاً من واضح كفرهم...، ويقصدون أيضاً بعباداتهم إلى إله تحت الأرض السفلى، وعلى ظهر الأرض العليا، ودون السماء السابعة العليا، وإله المصلين من المؤمنين، الذين يقصدون إليه بعبادتهم الرحمن الذي فوق السماء السابعة العليا، وعلى عرشه العظيم استوى، وله الأسماء الحسنى، تبارك اسمه وتعالى، فأي كفر مما حكيناه عنهم من سوء مذاهبهم »[1].

---

(١) الرد على الجهمية ص١٠٦-١١٠.

وتحدث عبد القاهر البغدادي ت٤٢٩هـ عن الرافضة، ثم قال: « فأما غلاتهم، الذين قالوا بإلهية الأئمة، وأباحوا محرمات الشريعة، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة، كالبيانية والمغيرية والجناحية والمنصورية والخطابية والحلولية، ومن جرى مجراهم، فما هم من فرق الإسلام، وإن كانوا منتسبين إليه »(١)، وبعد أن ذكر فرقاً من الروافض قالت بالحلول، قال رحمه الله: « فهذه ثمان فرق من الروافض الغلاة، خارجة عن جميع فرق الإسلام؛ لإثباتهم إلهاً غير الله »(٢).

ويحذر أبو بكر الآجري ت٣٦٠هـ من الحلولية، فيقول: « أحذر إخواني المؤمنين مذهب الحلولية، الذين لعب بهم الشيطان، فخرجوا بسوء مذهبهم عن طريق أهل العلم، إلى مذاهب قبيحة، لا تكون إلا في كل مفتون هالك،..، أخرجهم سوء مذهبهم إلى أن تكلموا في الله عز وجل بما تنكره العلماء العقلاء، لا يوافق قولهم كتاب ولا سنة، ولا قول الصحابة رضي الله عنهم، ولا قول أئمة المسلمين، وإني لأستوحش أن أذكر قبيح أفعالهم، تنزيهاً مني لجلال الله الكريم وعظمته »(٣).

ثم أشار رحمه الله إلى قول عبد الله بن المبارك ت١٨١هـ رحمه الله، في

---

(١) الفرق بين الفرق ص١٧.

(٢) المصدر السابق ص١٩٢.

(٣) الشريعة ص٢٨٥-٢٨٦.

تحذيره من الجهمية الحلولية، حين قال: « إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية »[(١)].

قال الدارمي: « وصدق ابن المبارك، إن من كلامهم ما هو أوحش من كلام اليهود والنصارى »[(٢)].

ولعل من ذلك أنهم زعموا بأن الله حال في كل مكان، أو أنهم لا يدرون أين ربهم، أما النصارى فإنهم خصوا حلوله في المسيح عيسى بن مريم، عبد الله ورسوله، عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة والتسليم.

وقال القاضي عياض ت٥٤٤هـ بأن القول بالحلول كفر بإجماع المسلمين[(٣)]، وقال رحمه الله: « بيان ما هو من المقالات كفر، وما يتوقف أو يختلف فيه، وما ليس بكفر: اعلم أن تحقيق هذا الفصل، وكشف اللبس فيه مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه، والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية، أو عبادة أحد غير الله، أو مع الله، فهي كفر، كمقالة الدهرية، وسائر فرق أصحاب الاثنين...، وأصحاب الحلول

---

(١) المصدر السابق ص٢٨٦، وانظر كلام ابن المبارك في رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٤، والرد على الجهمية ص١١، والسنة لعبد الله ابن أحمد ص٨، ٣٥.

(٢) الرد على الجهمية ص١١٥.

(٣) انظر شرح الشفا ٢/ ٥١٣، ٥١٤.

والتناسخ، من الباطنية والطيارة من الروافض...، فذلك كله كفر بإجماع المسلمين...، وكذلك من ادعى مجالسة الله، والعروج إليه ومكالمته، أو حلوله في بعض الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة »[١].

وبعض الحلولية كغلاة الصوفية، أصحاب الوحدة ونحوهم يقولون بأن الله سبحانه وتعالى حال في كل المخلوقات، وموجود فيها، وقد يعبرون عن ذلك بقولهم: إن المخلوقات مظهر وتجلية له، ولا يريدون بذلك أنها أدلة عليه، وآيات له، وإنما يريدون أنه سبحانه ظهر فيها، وتجلى فيها، كظهور الزبد في اللبن، والزيت في الزيتون، ونحو ذلك، مما يقتضي حلول ذاته في مخلوقاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، « فيقولون في جميع المخلوقات نظير ما قاله النصارى في المسيح خاصة، ثم يجعلون المردان مظاهر الجمال، فيقرون هذا الشرك الأعظم طريقاً إلى استحلال الفواحش، بل إلى استحلال كل محرم، كما قيل لأفضل مشايخهم..: إذا كان قولكم بأن الوجود واحد هو الحق، فما الفرق بين أمي وأختي وبنتي، حتى يكون هذا حلال وهذا حرام؟ قال: الجميع عندنا سواء، لكن هؤلاء المحجوبين قالوا حرام، فقلنا حرام عليكم »[٢].

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٥١٠ - ٥١٤.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٥/ ٤٢٣، ٤٢٤.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ت٧٢٨هـ: « ومن هؤلاء الحلولية والاتحادية من يخص الحلول والاتحاد ببعض الأشخاص، إما ببعض الأنبياء كالمسيح، أو ببعض الصحابة، كقول الغالية في علي، أو ببعض الشيوخ، كالحلاجية ونحوهم، أو ببعض الملوك، أو ببعض الصور، كصور المردان، ويقول أحدهم: إنما أنظر إلى صفات خالقي، وأشهدها في هذه الصورة.

والكفر في هذا القول أبين من أن يخفى على من يؤمن بالله ورسله، ولو قال مثل هذا الكلام في نبي كريم لكان كافراً، فكيف إذا قاله في صبي أمرد؟!، فقبح الله طائفة يكون معبودها من جنس موطوئها.

وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١)؛ فإذا كان من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً مع اعترافهم بأنهم مخلوقون لله كفاراً، فكيف بمن اتخذ بعض المخلوقات أرباباً، مع قولهم بأن الله فيها، أو متحد بها، فوجوده وجودها، ونحو ذلك من المقالات » (٢).

ويقول الشاطبي ت٧٩٠هـ: « ولقد فصل بعض المتأخرين في التكفير

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٥/ ٤٢٤، وانظر منهاج السنة النبوية ٥/ ٣٨٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٥٥، ١٥٦.

تفصيلاً في هذه الفرق، فقال: ما كان من البدع راجعاً إلى اعتقاد وجود إله مع الله، كقول السبائية في علي رضي الله عنه، أنه إله، أو حل الإله في بعض أشخاص الناس، كقول الجناحية: إن الله تعالى له روح يحل في بعض بني آدم، ويتوارث، أو إنكار رسالة محمد ﷺ، كقول الغرابية: إن جبريل غلط في الرسالة فأداها إلى محمد ﷺ، وعلي كان صاحبها، أو استباحة المحرمات وإسقاط الواجبات، وإنكار ما جاء به الرسول، كأكثر الغلاة من الشيعة، مما لا يختلف المسلمون في التكفير به... »[(١)].

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية أن القول بأن الله يحل في المخلوقات « هو قول كثير من الجهمية، الذين كان السلف يردون قولهم، وهم الذين يزعمون أن الله بذاته في كل مكان، وقد ذكره جماعات من الأئمة والسلف عن الجهمية، وكفروهم به، بل جعلهم خلق من الأئمة كابن المبارك ويوسف بن أسباط، وطائفة من أهل العلم والحديث من أصحاب أحمد وغيره، خارجين بذلك عن الثنتين والسبعين فرقة، وهو قول بعض متكلمة الجهمية، وكثير من متعبديهم، ولا ريب أن إلحاد هؤلاء المتأخرين وتجهمهم وزندقتهم تفريع وتكميل لإلحاد هذه الجهمية الأولى، وتجهمها وزندقتها »[(٢)].

---

(١) الاعتصام ٢/ ١٩٧.

(٢) حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه ص٥، وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ٥/ ٢٢٧-٢٢٨، والرد على الجهمية ص١١٥.

فكل من قال بأن الله بذاته في كل مكان، أو يحل في بعض المخلوقات؛ فإنه « مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده، ولصريح المعقول، وللأدلة الكثيرة »[١].

وقد كان سلف الأمة الأوائل يرون كفر الجهمية الحلولية أعظم من كفر اليهود، هذا وهم يلوحون تلويحاً، وقل إن كانوا يصرحون بحلول ذاته في الأمكنة، أما الحلولية والاتحادية المصرحون بعقيدتهم الكفرية، فهم أخبث وأكفر من أولئك الجهمية[٢]، ولهذا فإن النصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، والإسماعيلية ملاحدة أكفر من النصيرية[٣].

فالحلولية يزعمون بأنهم يرون الله تعالى في بعض الأشخاص، من أئمتهم وأوليائهم وهذا كفر صريح باتفاق المسلمين، فقد ثبت أن النبي ﷺ قال: « **واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت** »[٤]، فإن ذات الله تعالى ليست في المخلوقات، ولا تحل فيها، ولا في ذاته ترى المخلوقات،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٢٣٠، وانظر ٥/ ٢٦٠.

(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٨٨.

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣٥/ ١٤٦، ومنهاج السنة النبوية ٢٠/ ٥١٢، ٥١٣.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صباد ح ٢٩٣١.

كما يزعم أهل الحلول[١].

أما القول بوحدة الوجود، أو ما قد يسمى بالاتحاد العام، فهو قول الملاحدة الذين يزعمون أن الله سبحانه وتعالى عين وجود الكائنات.

وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:

الوجه الأول: أن اليهود والنصارى قالوا بأن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه، بعد أن لم يكونا متحدين، أما أصحاب وحدة الوجود فإنهم يقولون بأن الرب ما زال هو العبد وغيره من المخلوقات، ليس هو غيره.

الوجه الثاني: أن اليهود والنصارى خصوا الاتحاد بمن عظموه، كقول النصارى في المسيح، أما أصحاب وحدة الوجود فإنهم جعلوا الاتحاد سارياً في كل شيء، حتى في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ.

وإذا كان الله جل وعلا أخبر بكفر النصارى، الذين قالوا بأن الله هو المسيح ابن مريم، كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾[٢]، فكيف بأصحاب وحدة الوجود، الذين قالوا بأن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والحيوانات، وكل شيء؟![٣].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٧.

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « وإذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى، لما قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [١]، وقال لهم: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [٢] الآية، فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق، ليسوا غيره، ولا سواه...، واعلم أن هؤلاء لما كان كفرهم، في قولهم: إن الله هو مخلوقاته كلها، أعظم من كفر النصارى بقولهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾، والنصارى ضلال، أكثرهم لا يعقلون مذهبهم في التوحيد؛ إذ هو شيء متخيل، لا يعلم ولا يعقل، حيث يجعلون الرب جوهراً واحداً، ثم يجعلونه ثلاثة جواهر، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والأشخاص التي هي الأقانيم، والخواص عندهم ليست جواهر، فيتناقضون مع كفرهم، كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية، أكثرهم لا يعقلون قول رؤوسهم ولا يفقهونه، وهم في ذلك كالنصارى، كلما كان الشيخ أحمق وأجهل كان بالله أعرف، وعندهم أعظم » [٣].

وفي موضع آخر ذكر – رحمه الله– أن « ما يقوله أهل الاتحاد، من أنه ما ثم موجود إلا الله، ويقولون: ليس إلا الله، أي ليس موجود إلا الله، ويقولون إن وجود المخلوقات هو وجود الخالق، والخالق هو المخلوق، والمخلوق

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٨.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ١٧٣، ١٧٤، وانظر ص٢٧٩.

هو الخالق، والعبد هو الرب والرب هو العبد، ونحو ذلك من معاني الاتحادية، الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق، ولا يثبتون المباينة بين الرب والعبد، ونحو ذلك من المعاني » إلحاد وضلال، يجب أن يستتاب قائله؛ فإن تاب وإلا قتل(١).

ثم يبين رحمه الله خطورة مقالات الحلولية والاتحادية، ووجوب إنكارها فيقول: « فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل...والواجب إنكارها؛ فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من إنكار دين اليهود والنصارى، الذي لا يضل به المسلمون، لا سيما وأقوال هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى، ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالى: ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾(٢)، والنفاق إذا عظم كان صاحبه شراً من كفار أهل الكتاب، وكان في الدرك الأسفل من النار.

وليس لهذه المقالات وجه سائغ...، ويجب بيان معناها وكشف مغزاها لمن أحسن الظن بها، أو خيف عليه أن يحسن الظن بها وأن يضل؛ فإن ضرر هذه على المسلمين أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون أنها

---

(١) انظر المصدر السابق ٢/ ٤٩٠، وحقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه ص٤، ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٣.

سموم، وأعظم من ضرر السراق والخونة، الذين لا يعرفون أنهم سراق وخونة؛ فإن هؤلاء غاية ضررهم موت الإنسان أو ذهاب ماله، وهذه مصيبة في دنياه، قد تكون سبباً لرحمته في الآخرة، وأما هؤلاء فيسقون الناس شراب الكفر والإلحاد في آنية أنبياء الله وأوليائه، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله، وهم في الباطن من المحاربين لله ورسوله، ويظهرون كلام الكفار والمنافقين في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين »[(١)].

وقال السيوطي ت٩١١هـ: « القول بالحلول والاتحاد، الذي هو أخو الحلول أول من قال به النصارى إلا أنهم خصوه بعيسى عليه السلام، أو به وبمريم أمه، ولم يعدوه إلى أحد، وخصوه باتحاد الكلمة دون الذات، وأما المتوسمون بسمة الإسلام فلم يبتدع أحد فيهم هذه البدعة وحاشاهم ، غير أن طائفة من غلاة المتصوفة نقل عنهم أنهم قالوا بمثل هذه المقالة، وزادوا على النصارى في تعدية الحلول، والنصارى قصروه على واحد؛ فإن صح ذلك عنهم زادوا في الكفر على النصارى »[(٢)].

فأئمة الهدى ومشايخ الإسلام وعلماء الأمة، « كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء » الحلولية والاتحادية وأصحاب وحدة الوجود، ومتفقون على

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٣٠، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) الحاوي للفتاوي ص١٢٩.

أن « الله سبحانه ليس هو خلقه، ولا جزءاً من خلقه، ولا صفة لخلقه، بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية، من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وعليه فطر الله تعالى عباده، وعلى ذلك دلت العقول »، أما هؤلاء الحلولية والاتحادية، فهم « مقدمة الدجال الأعور الكذاب، الذي يزعم أنه هو الله »[١].

* * *

(١) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٨٦.

المطلب الثاني

الرد على عقيدة الحلول وبيان بطلانها

وجوب التسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ:

لا شك أن أصل البلاء، وبوابة الانحراف، والوصول إلى دعوى الحلول، كل ذلك انبثق من عدم التسليم لرب العالمين، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١].

ومن أعظم الضلال أن تُقدم آراء الرجال، وأهواء العقول على ما اختاره الله لنا في كتابه تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ فإن في ذلك العصيان والهلاك البين، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾[٢].

فالخير كل الخير في الاتباع وترك الابتداع، في الاقتداء بالوحيين، والتسليم لهما، والابتعاد عن تتبع ما لم يرد فيهما، من الآراء والأهواء، فإن كل إنسان سيسأل يوم القيامة عن سمعه وبصره وفؤاده، فمن رام السلامة ففي الكتاب والسنة، ومن أبى الانقياد لهما، وتتبع سقطات الأمم، وانحرافات

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

الملل، فلا يلومن إلا نفسه، في يوم لا ينفع فيه مال ولا جاه ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (١)، وقد حرم الله القول عليه بغير علم، قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)، فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله تعالى به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه والانقياد له، فيصدق بأنه حق وصدق، أما ما سواه من كلام سائر الخلق فيعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإنه خالفه فهو باطل، وإن التبس عليه، فإنه يمسك عنه ولا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل مما جاء به الرسول ﷺ (٣).

يقول أبو جعفر الطحاوي ت٣٢٢هـ: « فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، وردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار،

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٣٣.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٣٠.

موسوساً تائهاً، شاكاً زائغاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً »[١].

ومراده رحمه الله أنه ما سلم في دينه إلا من « سلّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو يقول العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل، والعقل أصل النقل!!، فإذا عارضه قدّمنا العقل!، وهذا لا يكون قط، لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك؛ فإن كان النقل صحيحاً، فذلك الذي يدعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح، فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً..، فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحّد المُرْسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظمه...، بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ ... الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه »[٢].

---

(١) العقيدة الطحاوية ص٣١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩.

ومن أراد النجاة فليوحد الله في ألوهيته، فلا معبود بحق إلا لله تعالى، وفي ربوبيته، فلا رب سواه، ولا خالق ولا مالك ولا متصرف سواه، وفي أسمائه وصفاته، فهو وحده المتصف بصفات الكمال، المنزه عن كل نقص، من غير تمثيل ولا تكييف، ولا تحريف ولا تعطيل، وليعتقد أن الله تعالى كان ولا شيء معه، وهو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخرته انقضاء، ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [(٢)]، لم يزل ربنا عز وجل ولا يزال، وكان أبداً عالماً سميعاً بصيراً [(٣)]، وليقف العاقل مريد النجاة حيث جاء النص الشرعي، وليحذر مجاوزته، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: « **تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في الله** » [(٤)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قوله: « **ليسألنكم الناس عن كل شيء، حتى يقولوا هذا الله خلق كل شيء فمن خلق الله؟، فإذا سئلتم فقولوا: الله قبل كل شيء** » وفي رواية:

---

(١) سورة الحديد، الآية ٣.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٣) انظر الحجة في بيان المحجة ٢/ ٤٢٦.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤٥٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨١، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٥٨٠ رقم ٩٢٧. وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٧٨٨، وصحيح الجامع رقم ٢٩٧٥، ٢٩٧٦.

« فقولوا: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتفل عن يسارة ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان » [١].

وقال ﷺ : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة » [٢].

وعن عبد الله بن مسعود ت٣٢هـ رضي الله عنه أنه قال: « إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر » [٣].

وقال الأوزاعي ت١٥٧هـ رحمه الله: «عليك بآثار من سلف، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه بالقول؛ فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم» [٤].

« وقال علماء السلف: السنة: العمل بالكتاب والسنة، والاقتداء بصالح السلف وأتباع الأثر، قالوا: ولا يستحي إذا سئل عما لا علم له به أن يقول: لا أعلم » [٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه ح٧٢٩٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها ح١٣٤، ١٣٥، ١٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، والترمذي في سننه، كتاب العلم، ح٦٧٦، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، المقدمة ح٤٢، والإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٦، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/ ١٣.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٩٦ رقم ١٠٥، ١٠٦، وانظر الحجة في بيان المحجة ٢/ ٤٢٨.

(٤) انظر الحجة في بيان المحجة ٢/ ٤٢٨.

(٥) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٤٢٨.

وقد ذكر أهل العلم أن الرجل إذا طعن في الآثار الثابتة، فينبغي أن يتهم في دينه، فإن المسلم الحق يترك البحث عما لم يحط عقله به من المسائل التي لم يتكلم فيها المتقدمون، من أئمة الحق والعلم، ولم يخوضوا فيها، وهم أعلم بالتنزيل والتأويل، ومنهم أخذ العلم، وبهم يقتدى، وعليه أن يطلب الحق ويبحث عنه، فإذا وجده آمن به وسلم له، ولم يتردد في قبوله، فضلاً عن الطعن فيه، أو تقديم العقل أو الهوى عليه، أورده[١].

ولهذا قال الأئمة المتبعون للهدى: « لا نرى أحداً مال إلى هوى، أو بدعة، إلا وجدته متحيراً، ميت القلب، ممنوعاً من النطق بالحق، وقالوا: الكلام في الرب عز وجل بدعة، لأنه لا يجوز أن يتكلم في الرب عز وجل إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بينه رسول الله ﷺ، وهو جل ثناؤه الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، يعلم السر وأخفى، وعلى العرش استوى، علمه بكل مكان قد أحاط بكل شيء علما، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢]، لا يقال في صفاته كيف ولم »[٣].

ولا شك أن من لم يسلّم لله تعالى ولرسوله ﷺ « نقض توحيده؛ فإنه يقول برأيه وهواه، أو يقلد ذا رأي وهوى، بغير هدى من الله، فينقص من

(١) انظر المصدر السابق ص٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٤٣١، ٤٣٢.

توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول ﷺ، فإنه قد اتخذ في ذلك إلهاً غير الله، قال الله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[١]، أي عبد ما تهواه نفسه »[٢].

أما من اعتقد حلول الله تعالى في بعض خلقه؛ فإنه قد اتخذ هواه، ومن يعظم آلهة وأرباباً.

ومن المعلوم أن أركان الإيمان ستة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره[٣]، فأول هذه الأركان هو الإيمان بالله تعالى، ويدخل فيه الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه سبحانه وتعالى فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، عليّ على خلقه، وهو عز وجل معهم أينما كانوا، بعلمه واطلاعه، يعلم ما هم عاملون[٤]، فيجب على المسلم الذي يخاف الله واليوم الآخر، ويرجو الله وما عنده أن يسارع إلى الإيمان بذلك والتسليم المطلق لنصوص الوحي، دون مخالفة أو مجادلة.

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٣) كما جاء في حديث جبريل، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ ح٥٠، وكتاب التفسير، باب (إن الله عنده علم الساعة) ح٤٧٧٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... ح٨.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣/ ١٤٢.

وجوب تعظيم الله تعالى وتنزيهه :

يبين الله تعالى عظمته وعلو منزلته راداً على المخالفين، داعياً المؤمنين إلى تعظيمه، فيقول: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾، وذلك في ثلاثة مواضع من كتابه، وهي:

قول الله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾[1]،

وقول الله: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[2]،

وقول الله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3].

يقول عز وجل ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ ليثبت ما أنزل على رسله، كما في الآية الأولى، وليثبت وحدانيته، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، كما في الآية الثانية، وليثبت عظمته في نفسه، وما يستحقه من الصفات، كما في الآية الثالثة.

والآيات الثلاث ذم للكفار الذين ما قدروه حق قدره، فدل ذلك على أنه يجب على كل مسلم أن يقدر الله حق قدره، وأن يؤمن بأن الله تعالى له قدر

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩١.

(٢) سورة الحج، الآيتان ٧٣، ٧٤.

(٣) سورة الزمر، الآية ٦٧.

عظيم، فقد ثبت في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أن النبي ﷺ، ذكر له بعض اليهود أن الله يحمل السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً لقول اليهودي، فقرأ ﷺ قول الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[1].

وهذا يقتضي أن عظمة الله عز وجل أعظم مما وصف ذلك اليهودي؛ فإن الذي في الآية أبلغ، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»**[2].

وقوله تعالى في آخر الآية السابقة: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يدل على أن من جعل مخلوقاً مثلاً للخالق في أي شيء من الأشياء، مثل أن يصفه بما يوصف به الخالق فهو مشرك قد سوى بين الله وبين مخلوقاته في ذلك الشيء. فعدل بربه، والرب لا كفؤ له، ولا سمي له، ولا مثل له، فمن زعم

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (لما خلقت بيدي) ح٧٤١٥، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح٢٧٨٦.

(٢) الحديث أخرجه البخاري، كتاب التوحيد باب قوله تعالى (لما خلقت بيدي)، ح٧٤١٢، وأخرجه مسلم، كتاب صفة المنافقين ح٢٧٨٧.

بأنه تعالى يحل في شيء من مخلوقاته فقد وصف المخلوق بالألوهية، ووقع في الشرك الأكبر[١].

فأصل عبادته سبحانه وتعالى: « معرفته بما وصف به نفسه، في كتابه وما وصفه به رسله؛ ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل »، والذين ينكرون ذلك، أو بعضه، أو يمثلونه بخلقه، أو يزعمون حلوله في بعض الأمكنة، أو كلها، ما قدروه حق قدره، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته، ولا عبدوه حق عبادته[٢].

والله سبحانه ليس له صفة يماثله فيها غيره؛ فإنه سبحانه له المثل الأعلى في السماوات والأرض، فهو أحق من غيره بصفات الكمال، وأحق من غيره بالتنزيه عن صفات النقص، وقد ذكر الله « قصة فرعون في القرآن، في غير موضع؛ لاحتياج الناس إلى الاعتبار بها؛ فإنه حصل له من الملك، ودعوى الربوبية والإلهية والعلو، ما لم يحصل مثله لأحد من المعطلين، وكانت عاقبته إلى ما ذكر الله تعالى[٣]؛ فليتق الله أصحاب الحلول وأشباههم، ممن لم يقدر الله حق قدره؛ إذ لم ينزه الله عن الخسائس والقاذورات، وعطل الله من علوه واستوائه على عرشه ومباينته لخلقه.

---

(١) انظر الفرقان بين الحق والباطل ص١٠٤ - ١٠٦.

(٢) انظر المصدر السابق ص١٠٤.

(٣) انظر المصدر السابق ص١٠٧.

ولو أن هؤلاء الحلولية وأمثالهم رجعوا إلى فطرهم، وما ركبت عليه خلقتهم، في معرفة الخالق عز وجل، وتعظيمه، لعلموا أن الله تعالى هو العلي، وهو الأعلى، وأنه له كمال الفوقية والعلو، وأن القلوب عند ذكره تسمو وترتفع إلى أعلى، والأيدي ترفع بالدعاء، ومن العلو يرجى الفرج، ويتوقع النصر، وينزل الرزق[(١)].

ولهذا قال بعض أهل العلم بأن نفي كون الله على العرش لا يعرف إلا ممن هو مأبون في عقله ودينه عند الأمة، بل غالبهم أو عامتهم قد حصل منهم نوع ردة عن الإسلام[(٢)].

وليس في كتاب الله تعالى، ولا في سنة الرسول ﷺ، ولا عن أحد من سلف هذه الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف القول بعلو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، فوق سماواته، لا نصاً، ولا ظاهراً، « ولم يقل أحد منهم قط أن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا أنه لا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه، بالأصابع ونحوها، بل قد ثبت في الصحيح عن

---

(١) انظر تأويل مختلف الحديث ص٢٥٢.

(٢) انظر بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٦٣.

جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة، يوم عرفات، في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ، جعل يقول: « **ألا هل بلغت** »، فيقولون: نعم، فيرفع أصبعه إلى السماء، ثم ينكبها إليهم، ويقول: « **اللهم اشهد** »[(١)]، غير مرة، وأمثال ذلك كثيرة »[(٢)]..

وعن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فخرج رسول الله ﷺ، فحسر عن ثوبه حتى أصابه، فقلنا يا رسول الله: لم صنعت هذا؟ قال: « **لأنه حديث عهد بربه** »[(٣)]، فلو كان على ما يقوله الحلولية، من أن الله في كل مكان، ما كان المطر أحدث عهداً بربه، من غيره من المياه[(٤)].

من آثار الإيمان بعلو الله تعالى[(٥)]:

للإيمان بعلو الله تعالى آثار عظيمة، فهو يبعث على العبادة والسكينة والطمأنينة والشجاعة، فمن يعتقد ذلك تستقيم له العبودية، ويشعر بعلو وعظمة من يلجأ إليه، ويدعوه، ويستغيث به، بخلاف من ينفي العلو، ولا

---

(١) سبق تخريجه في التمهيد.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ١٥ وانظر شرح العقيدة الواسطية ص٣٣٠، ٣٣١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ح٨٩٨.

(٤) انظر الرد على الجهمية ص٢٥.

(٥) ثمرات الإيمان بعلو الله تعالى كثيرة وعظيمة، كيف والإيمان بذلك من أصول الدين، وإنما المراد هنا الإشارة إلى عظم ثمرة ذلك إجمالاً.

يدري أين ربه، أو يقال له بأن ربك في كل شيء، أو حال في بعض الأشخاص؛ فإن قلبه يكون مشتتاً، وتخف في نفسه عظمة الرب، فتضعف عبادته، فيضطرب ويتحير.

يقول ابن القيم ت٧٥١هـ: « وأما عبوديته باسمه (الظاهر)، كما فسره النبي ﷺ بقوله: « **وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء** »[١]؛ فإذا تحقق العبد علوه المطلق على كل شيء بذاته وأنه ليس شيء فوقه البتة، وأنه قاهر فوق عباده، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾[٢]، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[٣]، صار لقلبه أمماً[٤] يقصده، ورباً يعبده، وإلهاً يتوجه إليه، بخلاف من لا يدري أين ربه؛ فإنه ضائع مشتت القلب، ليس لقلبه قبلة يتوجه نحوها، ولا معبود يتوجه إليه قصده، وصاحب هذه الحال إذا سلك وتألّه وتعبد، طلب قلبه إلهاً يسكن إليه، ويتوجه إليه، وقد اعتقد أنه ليس فوق العرش شيء إلا العدم، وأنه ليس فوق العالم إله يعبد، ويصلى له ويسجد، وأنه ليس على العرش من يصعد إليه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب الدعاء عند النوم ح ٢٧١٣.

(٢) سورة السجدة، الآية ٥.

(٣) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٤) أي مقصوداً، وأصلها من الأم وهو القصد، انظر لسان العرب ١/ ١٠١، ١٠٣، والمعجم الوسيط ص٢٧.

الكلم الطيب، ولا يرفع إليه العمل الصالح، جال قلبه في الوجود جميعه، فوقع في الاتحاد، ولا بد، وتعلق قلبه بالوجود المطلق الساري في المعينات، فاتخذه إلهه من دون الإله الحق، وظن أنه قد وصل إلى عين الحقيقة، وإنما تأله وتعبد لمخلوق مثله، أو لخيال نحته بفكره، واتخذه إلهاً من دون الله، وإله الرسل وراء ذلك كله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].. فقد تعرف سبحانه إلى عباده بكلامه معرفة لا يجحدها إلا من أنكره سبحانه، وإن زعم أنه مُقرٌّبه.

والمقصود أن التعبد باسم (الظاهر) يجمع القلب على المعبود، ويجعل له رباً يقصده، وصمداً يصمد إليه في حوائجه، وملجأ يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه، وعرف ربه باسمه (الظاهر)، استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه، ويهرب إليه، ويفر كل وقت إليه »[2].

أدلة العلو والتنزيه تبطل القول بالحلول :

سبقت الإشارة إلى أن علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، وكونه في السماء، بائناً من خلقه، ثابت في الكتاب والسنة، ودلت عليه العقول الصريحة السليمة، والفطر المستقيمة، وإجماع المسلمين.

---

(١) سورة يونس، الآية ٣.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص٢٢، ٢٣.

فالأدلة على ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كثيرة جداً، ذكرتها إجمالاً في التمهيد، مما لعله يغني عن الإعادة، حذراً من التكرار، يقول أبو سعيد الدارمي ت٢٨٠هـ بعد أن تحدث عن علو الله تعالى: « وظاهر القرآن وباطنه[١]، كله يدل على ذلك لا لبس فيه، ولا تأويل إلا لمتأول جاحد، يكابر الحجة، وهو يعلم أنها عليه..، فظاهر القرآن وباطنه يدل على ما وصفنا من ذلك، نستغني فيه بالتنزيل عن التفسير، ويعرفه العامة والخاصة، فليس منه لمتأول تأول إلا لمكذب به في نفسه، مستتر بالتأويل »[٢]، ويقول رحمه الله: « والأحاديث عن رسول ﷺ وعن أصحابه والتابعين، ومن بعدهم، في هذا أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا...، إن الأمة كلها والأمم السالفة قبلها، لم يكونوا يشكون في معرفة الله تعالى أنه فوق السماء، بائن من خلقه، غير هذه العصابة الزائغة عن الحق، المخالفة للكتاب، وأثارات العلم كلها، حتى لقد عرف ذلك كثير من كفار الأمم وفراعنتهم، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾[٣]، وذلك لما أن

---

(١) لعله أراد أن بعض الآيات يفهم منها تقرير العلو وإثباته مباشرة، دون تعمق أو دراسة لتفسيرها، وبعضها عند تأمل تفسيره يتبين منه دلالته على العلو، وهو ما أراده بباطن القرآن، وليس للقرآن باطن يخالف ظاهره.

(٢) الرد على الجهمية ص٣٢.

(٣) سورة غافر، الآيتان ٣٦، ٣٧.

الأنبياء عليهم السلام كانوا يدعونهم إلى الله بذلك »[١].

وبعد أن عقد الدارمي باباً ذكر فيه الأدلة على استواء الرب تبارك وتعالى على العرش، وارتفاعه إلى السماء، وبينونته من الخلق، والرد على الحلولية قال رحمه الله: « فهذه الأشياء التي اقتصصنا في هذا الباب، قد خلص علم كثير منها إلى النساء والصبيان، ونطق بكثير منها كتاب الله تعالى، وصدقته الآثار عن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه والتابعين، وليس هذا من العلم الذي يشكل على أحد من العامة والخاصة، إلا على هذه العصابة الملحدة في آيات الله، لم يزل العلماء يروون هذه الآثار ويتناسخونها، ويصدقون بها على ما جاءت، حتى ظهرت هذه العصابة، فكذبوا بها أجمع، وجهلوهم، وخالفوا أمرهم، خالف الله بهم...

فمن آمن بهذا القرآن الذي احتججنا منه بهذه الآيات، وصدق هذا الرسول الذي روينا عنه هذه الروايات، لزمه الإقرار بأن الله بكماله فوق عرشه، فوق سماواته، وإلا فليحتمل قرآناً غير هذا؛ فإنه غير مؤمن بهذا »[٢].

ومما يرد به على الحلولية والاتحادية قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣]، فجميع ما في السماوات والأرض

---

(١) الرد على الجهمية ص٣١، ٣٢، وانظر رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٩٦.

(٢) الرد على الجهمية ص٣٣-٣٦.

(٣) سورة الحديد، الآية ١.

يسبح لله، ليس هو الله، ثم قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، وقد « أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يوصف بصفات الكمال، دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء، ولا كقوله، في شيء من صفات الكمال، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2]، قال ابن عباس: الصمد: العليم الذي كمل في علمه، العظيم الذي كمل في عظمته، القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته، السيد الكامل في سؤدده، وقال ابن مسعود وغيره: هو الذي لا جوف له، والأحد: الذي لا نظير له، فاسمه (الصمد) يتضمن اتصافه بصفات الكمال، ونفي النقائص عنه، واسمه (الأحد) يتضمن اتصافه أنه لا مثل له »[3]، فكيف بمن يزعم أنه يحل في مخلوقاته، لا شك أن من قاله فقد فارق القرآن والسنة.

---

(١) سورة الحديد، الآيتان ٢، ٣.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٩٣، ٩٥، ٩٦، وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ٥/ ٢٢٨، ٢٢٩، و١١/ ٢٤٨، و١٧/ ٢٣٨، ٢٣٩.

والله سبحانه وتعالى قد بين في القرآن الكريم أنه فوق سماواته، وأنه مستو على عرشه، وأنه بائن من خلقه، وأن الملائكة تعرج إليه، وتنزل من عنده، وأنه رفع المسيح إليه، وأنه يصعد إليه الكلم الطيب، إلى سائر ما دلت عليه النصوص الشرعية الثابتة، في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، من مباينته لخلقه، وعلوه على عرشه، وهي نصوص ظاهرة محكمة، فيجب رد المتشابه، أو ما يوهم ذلك إليها.

كما أن الله سبحانه وتعالى قد بين في مواضع من كتابه أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما، وأن له ملك السماوات والأرض وما بينهما، وأن الأرض قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، وأن كرسيه وسع السماوات والأرض، وأنه يمسك السماوات والأرض، وهي نصوص شرعية صريحة في أن الله تعالى ليس هو عين هذه المخلوقات، ولا صفة لها، ولا جزءاً منها، ولا حال فيها؛ فإن الخالق غير المخلوق، وليس بداخل في مخلوقاته، محصوراً بها، بل هي نصوص صريحة في أنه جل وعلا مباين لمخلوقاته، وأنه سبحانه ليس محلاً لها ولا حالاً فيها، فهي نصوص هادية للقلوب والنفوس، عاصمة لها بإذن الله تعالى من الوقوع فيما وقعت فيه الحلولية من منكر القول والاعتقاد والعمل[١].

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥.

وإذا قال السلف والأئمة وسائر العلماء المعتبرين بأن الله فوق العرش، وأنه في السماء، فوق كل شيء، فإنهم لا يقولون بأن هناك شيئاً يحويه أو يحصره، أو يكون محلاً له أو ظرفاً ووعاءً، سبحانه وتعالى عن ذلك، بل هو عز وجل فوق كل شيء، « وهو مستغن عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إليه، وهو عال على كل شيء، وهو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته، وكل مخلوق مفتقر إليه، وهو غني عن العرش، وعن كل مخلوق »[١].

والحلولية سووا بين الله تعالى وخلقه، إذ زعموا بأن من الخلق من يصبح إلهاً، بحلول الإله فيه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وقد فرّق كتاب الله تعالى بين الخالق والمخلوق، وبين أنه لا يجوز أن يسوى بين الخالق والمخلوق في شيء، فيجعل المخلوق نداً ومثيلاً للخالق، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٥]، وضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم على من لم

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٦/ ١٠٠، ١٠١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٥.

(٣) سورة مريم، الآية ٦٥.

(٤) سورة الإخلاص، الآية ٤.

(٥) سورة الشورى، الآية ١١.

يفرق بين الخالق والمخلوق، بل عدل بربه، وسوى بينه وبين خلقه، كما قال أصحاب النار وهم يصطرخون فيها: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[2]، فهو جل وعلا الخالق العليم، الغفور الرحيم، الحق الحي الذي لا يموت، ومن سواه لا يخلق شيئاً، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[3]، فهذا مثل ضربه الله تعالى؛ فإن الذباب أصغر الموجودات، وكل من يدعى من دون الله، ومن تعتقد الحلولية أن الإله حل فيهم فأصبحوا آلهة، لا يخلقون ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، فإذا تبين أنهم لا يخلقون ذباباً ولا يقدرون على انتزاع ما يسلبهم الذباب، فهم عن خلق غيره وعن مغالبته أعجز وأعجز، فأنى لهم الألوهية[4].

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان ٩٧، ٩٨.

(٢) سورة النحل، الآيات ١٧ – ٢١.

(٣) سورة الحج، الآيتان ٧٣، ٧٤.

(٤) انظر الفرقان بين الحق والباطل ص٨، ٩، ١٠.

ومما يرد به على الحلولية أيضاً ما ثبت عن معاوية بن الحكم أنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله: إن جارية لي ترعى غنماً، فجئتها ففقدت شاة من الغنم، فسألتها عنها فقالت: أكلها الذئب، فأسفت عليها، وكنت من بني آدم، فلطمت وجهها وعلي رقبة، أفأعتقها؟ فقال لها رسول الله ﷺ : « **أين الله؟** » قالت: في السماء، قال: « **من أنا؟** » قالت: أنت رسول الله، قال: « **أعتقها فإنها مؤمنة** »[(١)].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن من لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن، ولو كان عبداً، فأعتق لم يجز في رقبة مؤمنة، حيث لم يكن مؤمناً، إذ لا يعلم أن الله في السماء « ألا ترى أن رسول الله ﷺ جعل أمارة إيمانها معرفتها أن الله في السماء، وفي قول رسول الله ﷺ: « **أين الله؟** » تكذيب لقول من يقول: هو في كل مكان، لا يوصف بأين؛ لأن شيئاً لا يخلو منه مكان، يستحيل أن يقال: أين هو؟ ولا يقال: أين إلا لمن هو في مكان[(٢)] يخلو منه مكان، ولو كان الأمر على ما يدعي هؤلاء الزائغة، لأنكر عليها رسول الله ﷺ قولها وعلمها، ولكنها علمت به، فصدقها رسول الله ﷺ، وشهد لها بالإيمان بذلك، ولو كان في الأرض كما هو في السماء لم

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته ح٥٣٧.

(٢) مراده – رحمه الله – أن الله فوق سماواته مستو على عرشه.

يتم إيمانها حتى تعرفه في الأرض كما عرفته في السماء »[١].

وقد احتج الإمام محمد بن إدريس الشافعي ت٢٠٤هـ بهذا الحديث، في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة، وأن غير المؤمنة لا تصح الكفارة بها[٢]، والرسول ﷺ حكم بإسلامها لما أقرت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية.

يقول أبو عثمان الصابوني ت٤٤٩هـ: « وإنما احتج الشافعي رحمة الله عليه، على المخالفين في قولهم بجواز إعتاق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر؛ لاعتقاده أن الله سبحانه فوق خلقه، وفوق سبع سماواته على عرشه، كما معتقد المسلمين من أهل السنة والجماعة، سلفهم وخلفهم، إذ كان رحمه الله لا يروي خبراً صحيحًا ثم لا يقول به »[٣].

أصحاب الحلول يشبهون فرعون وأمثاله :

الحلولية فيهم شبه بفرعون، فإن الحلولية نفوا علو لله تعالى وقالوا بأنه ليس فوق السماوات، تماماً كما نفى فرعون، إذ أخبر الله عنه أنه قال: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ ﴾[٤]، وكان فرعون جاحداً للرب، فلولا أن

---

(١) انظر الرد على الجهمية ص٢٢.

(٢) انظر كتاب الأم ٥/ ٢٦٦، ٢٦٧.

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص١٨٨.

(٤) سورة غافر، الآيتان ٣٦، ٣٧.

موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةًۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾[2].

والرسول محمد ﷺ لما عرج به إلى ربه تعالى، وفرضت عليه الصلوات الخمس ذكر أنه رجع إلى موسى، وأن موسى قال له: ارجع إلى ربك فسله التخفيف على أمتك كما ثبت هذا في حديث الإسراء والمعراج[3]، فموسى عليه السلام صدق محمداً في أن ربه فوق، وفرعون كذب موسى في أن ربه

---

(١) سورة غافر، الآية ٣٧.

(٢) سورة القصص، الآيات ٣٨-٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله عز وجل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، ح٧٥١٧، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات ح١٦٢.

فوق، فالمقرون بعلو الله تعالى وفوقيته متبعون لموسى و محمد عليهما أفضل الصلاة والتسليم، والمكذبون بذلك من الحلولية وغيرهم موافقون لفرعون[(١)].

كما أن طوائف الحلولية فيهم شبه من المشركين، الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[(٢)].

فهؤلاء المشركون مثلوا المخلوق بالخالق، وهذا من تكذيبهم إياه، ولم يكونوا يسوون بين أصنامهم وبين الله في كل شيء، وإنما كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المالك؛ وهم مخلوقون مملوكون له، ولكنهم كانوا يسوون بينه تعالى وبين أصنامهم في المحبة والتعظيم والدعاء والعبادة والنذر لها، ونحو ذلك من خصائص الربوبية، فكيف بمن يعتقد حلول الرب في كل المخلوقات أو بعضها؟ فإنهم أشد مساواة وعدلاً لمعظميهم بالله تعالى، ومن

(١) انظر الفرقان بين الحق والباطل ص١١٢، ١١٣.

(٢) سورة يونس، الآيات ٣٤ - ٣٩.

عدل بالله غيره في شيء من خصائصه عز وجل فهو مشرك، بخلاف من لا يعدل به، ولكن يذنب مع اعترافه بأن الله تعالى وحده ربه وإلهه[١].

فساد أقوالهم وتناقضها :

لا شك أن أقوال أهل الحلول والاتحاد ونحوهما من أفسد الأقوال وأكذبها وأعظمها تناقضاً، وأكثر الأمور أدلة على نقيضها، من الأدلة النقلية والعقلية، لكن قد تشتبه بعض أصولهم على كثير من الناس، فيظنوا أن ذلك برهان عقلي معارض للقرآن الإلهي، والحق أن البراهين العقلية تأتي موافقة للقرآن، ومعاضدة له، لا مناقضة ولا معارضة، كما أن دلائل الآيات والآفاق العيانية تأتي موافقة للدلائل القرآنية؛ إذ كانت أدلة الحق شهوداً صادقين، وحكاماً لا يثبت عندهم إلا الحق المبين، ومن المعلوم أن أخبار الصادقين، وشهاداتهم وإثباتاتهم تتفاوت وتتعاضد وتتساعد، لا تتناقض ولا تتعارض.

أما الحلولية، من الجهمية ونحوهم فهم أفسد الناس عقلاً، وأعظمهم جهلاً، وإن حصل لبعضهم شأن وسلطان، كما حصل لفرعون ونمرود بن كنعان ونحوهما؛ ولهذا وصف الله هؤلاء وأشباههم بأنهم لا يسمعون ولا يعقلون، ومن تدبر الحقائق، وتأمل أحوال الخلائق، وجد أن كل من كان أقرب إلى التصديق بما جاءت به الرسل والعمل به، واتباعه، كان أكمل

---

(١) انظر الفرقان بين الحق والباطل ص١١، ١٢.

سمعاً وعقلاً، وأن كل من كان أبعد عن التصديق بما جاءت به الرسل والعمل به، واتباعه، كان أنقص سمعاً وعقلاً، وهؤلاء الحلولية من هذا النوع الثاني؛ فإنهم قلبوا حقائق الأدلة الشرعية والبراهين العقلية، ثم زعموا أن معهم أدلة تعارض الحق الواضح من الأدلة السمعية والعقلية، فحرفوا الآيات، وبدلوها بالتأويل، بعد أن أفسدوا العقول بزخارف الأباطيل(١).

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٢).

وقد رد أبو سعيد الدارمي ت٢٨٠هـ على الحلولية بقوله: «أرأيتم إذ قلتم: هو في كل مكان، وفي كل خلق، أكان الله إلهاً واحداً قبل أن يخلق الخلق والأمكنة؟ قالوا: نعم، قلنا: فحين خلق الخلق والأمكنة أقدر أن يبقى كما كان في أزليته... فلا يصير في شيء من الخلق والأمكنة التي خلقها بزعمكم، أو لم يجد بداً من أن يصير فيها، أو لم يستغن عن ذلك؟ قالوا: بلى، قلنا: فما

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٨٣، ٨٤.

(٢) سورة الأنعام، الآيات ١١٢-١١٥.

الذي دعا الملك القدوس إذ هو على عرشه في عزه وبهائه بائن من خلقه أن يصير في الأمكنة القذرة، وأجواف الناس، والطير والبهائم، ويصير في كل زاوية وحجرة ومكان منه شيء؟

لقد شوهتم معبودكم إذ كانت هذه صفته، والله أعلى وأجل من أن تكون هذه صفته، فلا بد لكم من أن تأتوا ببرهان بين على دعواكم من كتاب ناطق أو سنة ماضية، أو إجماع من المسلمين، ولن تأتوا بشيء منه أبداً »[(١)].

ثم ساق في معرض الرد عليهم الأدلة الدالة على علو الله تعالى واستوائه على عرشه، ثم قال: « فهل من حجة أشفى وأبلغ مما احتججنا به عليك من كتاب الله تعالى، ثم الروايات لتحقيق ما قلنا متظاهرة عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين »[(٢)]، ثم أشار إلى الدليل الفطري والإجماع عليه قائلاً: « ثم إجماع من الأولين والآخرين، العالمين منهم والجاهلين، أن كل واحد ممن مضى وممن غبر، إذ استغاث بالله تعالى، أو دعاه، أو سأله، يمد يديه وبصره إلى السماء، يدعوه منها، ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض، ولا من أمامهم، ولا من خلفهم، ولا عن أيمانهم ولا عن شمائلهم، إلا من فوق السماء؛ لمعرفتهم بالله أنه فوقهم، حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم: سبحان ربي الأعلى، لا ترى أحداً يقول: ربي الأسفل »[(٣)].

---

(١) الرد على الجهمية ص١٨، ١٩.

(٢) المصدر السابق ص٢٠.

(٣) المصدر السابق ص ٢١.

ثم يرد عليهم مبدياً عجبه وتحذيره من مخالفتهم للنصوص الشرعية، وإجماع الأمة الإسلامية، فيقول: « ويلكم إجماع من الصحابة، والتابعين، وجميع الأمة، من تفسير القرآن، والفرائض، والحدود، والأحكام: نزلت آية كذا في كذا، ونزلت آية كذا في كذا، ونزلت سورة كذا في مكان كذا، لا نسمع أحداً يقول: طلعت من تحت الأرض، ولا: جاءت من أمام، ولا من خلف، ولكن كله: نزلت من فوق، وما يصنع بالتنزيل من هو بنفسه في كل مكان؟ إنما يكون شبه مناولة، لا تنزيلاً من فوق السماء مع جبريل؛ إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [1]، والرب بزعمكم الكاذب في البيت معه، وجبريل يأتيه من خارج، هذا واضح ولكنكم تغالطون، فمن لم يقصد بإيمانه وعبادته إلى الله الذي استوى على العرش فوق سماواته، وبان من خلقه؛ فإنما يعبد غير الله، ولا يدري أين الله » [2].

وقال في موضع آخر: «ومن لم يعرف أن إلهه فوق عرشه، فوق سماواته، فإنما يعبد غير الله، ويقصد بعبادته إلى إلهه في الأرض، ومن قصد بعبادته إلى إلهه في الأرض كان كعابد وثن، لأن الرحمن على العرش، والأوثان في الأرض» [3].

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٢.

(٢) الرد على الجهمية ص٣٣.

(٣) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٩٥.

عجباً لأمر الحلولية والاتحادية وأصحاب وحدة الوجود!، كيف يزعمون أنه حال في كل مكان، وأنه موجود في كل الوجود، والوجود فيه منازل خربة، ودور ملاهي، وحشوش، ومرابض بهائم، ومراحيض، وبيوت للبغايا والراقصات، فهل يليق الاعتقاد بأن الله موجود في هذه الأمكنة؟ حاشا وكلا، سبحانه وتعالى عما يصفه به الحلولية ونحوهم(١).

يقول ابن حزم ت٤٥٦هـ راداً على فرق الحلولية: « وكل هذه الفرق لا تتعلق بحجة أصلاً، وليس بأيديهم إلا دعوى الإلهام والقحة والمجاهرة بالكذب، ولا يلتفتون إلى مناظرة، ويكفي في الرد عليهم أن يقال لهم: ما الفرق بينكم وبين من ادعى أنه أُلهم بطلان قولكم؟ ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا، وأيضاً فإن جميع فرق الإسلام متبرئة منهم، مكفرة لهم، مجمعون على أنهم على غير الإسلام، نعوذ بالله من الخذلان....

وأيضاً فإن قولهم: في كل مكان، خطأ، لأنه يلزم بموجب هذا القول، أنه يملأ الأماكن كلها، وأن يكون ما في الأرض فيه الله، تعالى الله عن ذلك، وهذا محال...، فلا يجوز أن يطلق القول بأن الله تعالى في كل مكان، لا على تأويل ولا غيره.. » (٢).

ويلزم من كلام الحلولية إلغاء الرسالة برمتها، وما جاءت به، وأنه لا فائدة

---

(١) انظر صراع بين الحق والباطل ص١٧٦.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١١٤، ١١٥، ١٢٣.

من الرسل والأنبياء، لأن ذات الله حلت في خلقه - على زعمهم- وبذلك انعدمت الفوارق بين الله والخلق، فلا حاجة للرسل والرسالات[١].

فالحلول باطل؛ لأنه يستلزم افتقار الخالق إلى المخلوق الذي حل فيه، كما أنه يستلزم « إمكان الحال »، وقدم المحل، وانقلاب الغني عن الشيء محتاجاً إليه، وكذلك يستلزم الانقسام والصغر والحقارة؛ إذ زعموا حلوله في جميع الأعضاء، وأصغرها، وأرذلها[٢].

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: « وكل من وقع بنوع من الحلول لزم افتقار الخالق إلى غيره، واستغناء غيره عنه؛ فإن الحال في غيره إن لم يكن محتاجاً إليه بوجه من الوجوه امتنع الحلول، سواء قيل: إن الحال قائم بنفسه أو بغيره.

فإن قال الحلولي: أنا أثبت حلولاً، لا كحلول الأجسام، ولا الأعراض، وحينئذ فلا يلزم افتقاره فيه إلى غيره، قيل: هذا لا حقيقة له، وهو كقول من قال: أثبت قيامه بغيره، من غير احتياج إلى ذلك المحل الذي من شأنه أن يقوم ما قام فيه؛ لأن قيامه بالغير ليس كقيام الأجسام والأعراض، وأثبته في غيره لا مماساً له ولا مبايناً له »[٣].

---

(١) انظر الغلو والفرق الغالية ص١٢٨، وحركة الغلو وأصولها الفارسية ص٢٦.

(٢) انظر شرح المقاصد ٢/ ٥٠، ٥١.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٨٧، ٢٨٨ ، وانظر ٦/ ١٤٩، ١٥٠، ١٥٨ ، ١٥٩.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « فإذا رأيت الدلائل اليقينية تدل على أن ما أخبر به الرسول لا يناقض العقول، بل يوافقها، وأن ما ادعاه النفاة في مناقضة البرهان لمدلول القرآن قول باطل، فلا تعجب من كثرة أدلة الحق، وخفاء ذلك على كثيرين؛ فإن دلائل الحق كثيرة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وقل لهذه العقول التي خالفت الرسول، في مثل هذه الأصول: عقول كادها باريها، واتل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[1] ...[2] » وهكذا يقال لطوائف الحلولية التي عميت أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم عن الحق، نسأل الله الهداية والتوفيق.

* * *

(١) سورة الأحقاف، الآية ٢٦.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٨٤، ٨٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعان على هذا البحث بالإتمام، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه، وكل من اتخذه القدوة والإمام.

وبعد:

فقد جلّى هذا البحث أموراً مهمة، ومسائل جديرة بالإشارة، ومن أهمها:

١- أنه يجب على كل مسلم أن يقدر الله حق قدره، ومن ذلك الإيمان بأسمائه وصفاته الثابتة له سبحانه وتعالى، في الكتاب والسنة، وأن يجعلهما المصدر الوحيد لتلقي العقيدة.

٢- يجب أن ينزه الله عن جميع النقائص، فينفى عنه سبحانه كل ما نفى عنه في الكتاب والسنة، وأن يعتقد بأنه عز وجل منزه عن كل نقص.

٣- أن من أصول الإيمان التي يجب على كل مسلم اعتقادها، الإيمان بأن الله تعالى فوق سماواته، مستو على عرشه، عال على خلقه، بذاته وقدره وسلطانه، كما دلت على ذلك الأدلة النقلية والعقلية والفطرية وإجماع المسلمين.

٤- لقد ضلت طوائف تنتسب إلى الإسلام، فنفت علو الله تعالى، وزعمت حلوله في كل مكان، أو في بعض الأمكنة، أو في بعض من يعظمونهم من الأشخاص، كما أن هناك من فرق الضلال من لا يدري أين ربه، والعياذ بالله تعالى.

٥- القول بالحلول كفر بالله العلي العظيم، فهو وصف لله بالنقائص، ومعارضة للأدلة الكثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومخالفة للفطر السليمة، والعقول المستقيمة.

٦- عقيدة الحلول باطلة، تحيلها العقول الصريحة؛ إذ لا يمكن تصورها بحال، وترفضها الفطر التي لم تتلوث بآراء البشر وفلسفاتهم.

٧- لأئمة الدين وعلماء الملّة أقوال مشهورة في الرد على طوائف الحلولية، منذ أن نشأت، والتحذير منها.

٨- يتفرع عن القول بالحلول فروع سيئة، ويلزم من الاعتقاد به لوازم خطيرة، تتمثل في نفي النصوص الشرعية الكثيرة، الدالة على خلاف الحلول، كما يلزم منه وصف الله تعالى بالنقائص، وتعطيله عن صفات الكمال، وتشبيهه بالمخلوقات، كما يلزم في هذه العقيدة الباطلة تصحيح عبادات المشركين، على اختلافهم، بحجة إمكانية حلول الرب في معبوداتهم.

نسأل الله إخلاص النية، وحسن الاتباع، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، أشرف على طبعه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢. ابن سبأ حقيقة لا خيال، سعدي الهاشمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣. إثبات صفة العلو، ابن قدامة المقدسي، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، مطبعة الإمام، مصر.

٥. أخبار القرامطة، سهيل زكار، دار الكوثر، الرياض، ١٤١٠هـ.

٦. الاستقامة، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، أشرف على طباعته جامعة الإمام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٧. أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

٨. أضواء على العقيدة الدرزية، أحمد الفوزان، بدون ذكر دار نشر، ١٩٧٩م.

٩. الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٠. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١١. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٧٦ .

١٢. الأم، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٣. الإنسان الكامل، عبد الكريم الجيلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.

١٤. البابية عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة السادسة، ١٤٠٤هـ.

١٥. الباكورة السليمانية، سليمان أفندي الأذني، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٦. البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة خياط، بيروت، بدون تاريخ.

١٧. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مطبعة كروستان، مصر، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

١٨. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، أبو الفضل السكسكي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٩. بهاء الله والعصر الجديد، إسملنت البهائي، بدون دار نشر ولا تاريخ.

٢٠. البهائية تاريخها وعقيدتها، عبد الرحمن الوكيل، دار المدني، جدة والقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٢١. بيان تلبيس الجهمية، أبو العباس أحمد بن تيمية، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٢٢. تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣. تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون ذكر المكان، ١٩٨٧م.

٢٤. تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتاب العربي، بيروت .

٢٥. التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفراييني، عالم الكتب، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ.

٢٦. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٧. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، منشورات الأعلمي، طهران، بدون تاريخ.

٢٨. التقمص، أمين طليع، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٢٩. تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٣٠. التمهيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٣٨٧هـ.

٣١. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسين محمد الملطي، رمادي للنشر، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٢. تهذيب تاريخ دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، تهذيب عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٣. جامع الفرق والمذاهب الإسلامية، عبد الأمير مهنا وعلي خريس، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٣٤. الحاوي للفتاوي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة التجارية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ.

٣٥. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، قوام السنة الأصبهاني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٦. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، عالم الكتب، الرياض ١٤٠٤هـ.

٣٧. حركات الغلو والتطرف في الإسلام، أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٨. حركة الغلو وأصولها الفارسية، نظلة الجبوري، مكتبة ابن تيمية،

٣٩. حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، إدارة الترجمة والتأليف، فيصل آباد، باكستان.

٤٠. خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان، محمد صديق حسن خان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤١. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧١م.

٤٢. درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، أشرف على طبعه جامعة الإمام، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٤٣. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٤٤. دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، عبد الله الأمين، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٥. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، أحمد محمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٠٦هـ.

٤٦. ديوان ابن هانئ الأندلسي، أبو القاسم محمد بن هانئ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.

٤٧. ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين، عبد الله بن أسعد اليافعي، دار البخاري، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٨. رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، الإمام الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ.

٤٩. الرد على الجهمية، أبو سعيد الدارمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.

٥٠. الرد على الجهمية والزنادقة، الإمام أحمد بن حنبل، دار اللواء، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٥١. الرسائل السبع في العقائد شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، شرح أبو منصور الماتريدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الهند ١٣٦٧هـ.

٥٢. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٥٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٥٤. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٥٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٥٦. السنة، عبد الله بن الإمام أحمد، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ.

٥٧. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٥٨. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله اللالكائي، دار طيبة، الرياض، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ.

٥٩. الطبعة شرح الشفاء للقاضي عياض، شرحه الملا علي القاري، دار الباز، مكة المكرمة، ودار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٦٠. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الحنفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٦١. شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٦٢. شرح مشكلات الفتوحات المكية لابن عربي، شرح عبد الكريم الجيلي، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٦٣. شرح المقاصد، سعود بن عمر التفتازاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ.

٦٤. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ.

٦٥. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٣هـ.

٦٦. شعر ابن الفارض، عبد الخالق محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.

٦٧. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٦٨. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية١٣٩٩هـ.

٦٩. صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٧٠. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٧١. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٧٢. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٧٣. صراع بين الحق والباطل، سعد صادق محمد، دار اللواء، الرياض، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ.

٧٤. طائفة الإسماعيلية، محمد كامل حسين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩م.

٧٥. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، دارالكتاب العربي، بيروت.

٧٦. ظهر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.

٧٧. عقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة، سهير محمد علي الفيل، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٧٨. عقيدة الدروز، محمد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٧٩. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أبو عثمان الصابوني، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٨٠. العقيدة الطحاوية، أبو جعفر الطحاوي، شرح وتعليق الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٨١. العلو للعلي الغفار، الإمام الذهبي، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.

٨٢. العلويون أو النصيرية، عبد الحسين مهدي العسكري، شركة الشعاع للنشر، الكويت، ١٤٠٠هـ.

٨٣. الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، عبد الله سلوم، دار الحرية، بغداد ١٩٧٢م.

٨٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.

٨٥. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٨٦. الفرقان بين الحق والباطل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٨٧. الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٨٨. فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٨٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٩٠. فصوص الحكم، محيي الدين بن عربي، تعليق أبي العلاء العفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩١. الفقه الأبسط (العالم والمتعلم)، الإمام أبو حنيفة النعمان، تحقيق زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٣٦٨هـ.

٩٢. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٠م.

٩٣. القاديانية دراسات وتحليل، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان الطبعة السادسة عشرة، ١٤٠٤هـ.

٩٤. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، محمد بن إسحاق بن خزيمة، دار الباز، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ.

٩٥. كتاب الطواسين، الحسين بن منصور الحلاج، دار النديم، القاهرة، ١٩٨٩م.

٩٦. كنز الولد، إبراهيم بن الحسين الحامدي، تحقيق مصطفى غالب، دار صادر، بيروت، ١٣٩١هـ.

٩٧. لسان العرب، ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت.

٩٨. لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٩٩. مجمع الزوائد، الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

١٠٠. مجموعة الرسائل والمسائل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار الباز للنشر والتوزيع.

١٠١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب ابن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٠٢. مختصر الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٠٣. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله النيسابوري الحاكم، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

١٠٤. المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

١٠٥. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

١٠٦. المعجم الأوسط، الحافظ أبو القاسم الطبراني، مطبعة الوطن العربي في بغداد، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

١٠٧. معجم الفرق الإسلامية، شرف يحيى الأمين، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٠٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه أحمد حسن الزيات وآخرون، دار الدعوة، استانبول، بدون تاريخ.

١٠٩. معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المكتبة التجارية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

١١٠. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.

١١١. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

١١٢. منهاج السنة النبوية، أبو العباس أحمد بن تيمية، أشرف على طباعته جامعة الإمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١١٣. المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

١١٤. المواقف والمخاطبات، محمد بن عبد الجبار النفري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

١١٥. الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، ودار الشعب، القاهرة.

١١٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، دار المعرفة، بيروت.

١١٧. النجوم الزاهرة، يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة بدون تاريخ.

١١٨. الهفت الشريف، المفضل الجعفي، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، بدون تاريخ.

* * *

ملخص بحث

عقيدة الحلول عرض ونقض

يجب على كل مسلم أن يعظم الله تعالى، ويقدره حق قدره، ومن ذلك توحيد الله بأسمائه وصفاته نفياً وإثباتاً، فما ثبت لله تعالى في الكتاب والسنة وجب إثباته، وما نفي فيهما عن الله وجب نفيه، إذ هما المصدر الوحيد لتلقي العقيدة.

وإن من أصول الإيمان التي يجب اعتقادها، الإيمان بأن الله عز وجل فوق سماواته، مستو على عرشه بذاته وقدره وسلطانه، كما دلت على ذلك الأدلة النقلية والعقلية والفطرية وإجماع المسلمين، ولقد ضلت في هذا الباب طوائف تنتسب إلى الإسلام، فنفت علو الله تعالى، وزعمت حلوله في كل الأمكنة، أو في بعضها أو في بعض من يعظمونهم من الأشخاص، كما أن هناك من لا يدري أين ربه، والعياذ بالله تعالى.

بين هذا البحث وجوب تعظيم الله وتنزيهه، وتعريف عقيدة الحلول، وأشهر من قال بها من طوائف الضلال المنتسبة إلى الإسلام، ثم بين أن هذه العقيدة كفر بالله العلي العظيم، إذ هي وصف لله تعالى بالنقائص، كما أن فيها معارضة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومصادمة للفطر السليمة والعقول المستقيمة.

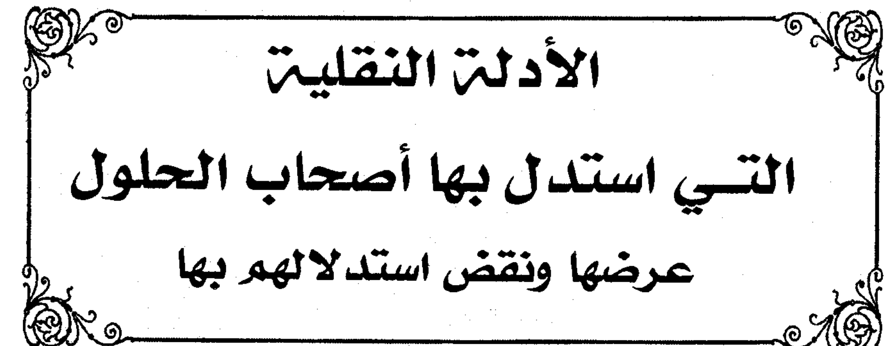
ثم نقض هذا البحث عقيدة الحلول مبيناً، أول الأمر الأدلة على علو الله

تعالى بذاته، ومباينته لخلقه، وكفر من زعم حلوله في شيء من خلقه، مؤيداً القول الحق بأقوال أئمة الدين وعلماء الملة، الذين ردوا على طوائف الحلول ونقضوا عقيدتهم الحلولية.

* * *

فهرس الموضوعات





الأدلة النقلية

التي استدل بها أصحاب الحلول

عرضها ونقض استدلالهم بها

إعداد

أ. د. محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في

كلية أصول الدين بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وقدوة الموحدين ، نبينا محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فمن المعلوم أن أركان الإيمان ، التي دلت عليها نصوص كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ستة ، هي: الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله، واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، فمن أنكرها ، أو أنكر واحداً منها ، أو ألحد فيها ، فقد ضل ضلالاً بعيداً ، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (١).

وأول هذه الأركان العظيمة: الإيمان بالله تعالى ، وهو يتضمن أموراً جليلة أهمها توحيده سبحانه ، في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، وما أخبرت به النصوص الشرعية عن الله تعالى ، ومن ذلك أنه جل وعلا فوق سماواته ، مستوٍ على عرشه ، عال على خلقه ، بذاته ومنزلته وسلطانه.

وقد وُجد من شذاذ الخلق من ينكر وجود الله تعالى ، كما وجد من يشرك معه في ربوبيته غيره ، وذلك من أهل الفلسفة والملل المنحرفة.

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٣٦ .

ومن ملل الكفر من اعتقد حلول الرب في كل مكان ، أو حلوله في بعض المخلوقات.

وقد انتقلت هذه العقيدة الباطلة إلى بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وتأثروا بها ، ودرسوها للعوام والأتباع ، واستدلوا على هذه العقيدة الفاسدة بأدلة نقلية شرعية؛ من أجل أن تجد قبولاً عند أولئك الجهلة ، بعد أن فسروا تلك الأدلة ، وشرحوها ، شروحاً تتناسب مع عقيدتهم الحلولية ، تحريفاً منهم للكلم عن مواضعه ، وتأويلاً فاسداً للشرع الحنيف.

ومما يلحظ ، وبخاصة في هذه السنوات المتأخرة ، اعتناء أتباع بعض تلك الفرق بعقائدهم ، حيث قاموا بتحقيق كتب أسلافهم ، وطباعتها ونشرها ، كما أن بعض كتب الملل والنحل والفرق الإسلامية ، التي تعد مراجع يستفيد منها طلاب العلم ، فيها تصوير لتلك العقيدة ، وعرض لبعض أدلة الحلولية، دون أن تجد نقضاً لها في تلك المصادر والمراجع ، إلا أشتاتاً متفرقة.

ولذا فقد رأيت أن أقوم بتتبع الأدلة النقلية التي استدلت بها الحلولية على عقيدتهم الباطلة ، فأعرضها ، ثم أنقض استدلالهم بها؛ مبيناً القول الحق في تفسيرها ، مستفيداً بذلك من أقوال كبار المفسرين والعلماء المعتبرين.

وقد بدأت البحث بمقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره، والخطة المتبعة في إعداده ، ثم كتبت تمهيداً ذكرت فيه مفهوم الحلول والقائلين به إجمالاً.

وبعد ذلك قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: حكم القول بالحلول، وفروعه ولوازمه، وقد كتبته في مطلبين:

المطلب الأول: حكم القول بالحلول.

المطلب الثاني: فروعه ولوازمه.

المبحث الثاني: الآيات التي استدل بها أصحاب الحلول، ونقض استدلالهم بها، وقد كتبته في أحد عشر مطلباً، كل دليل في مطلب، مع نقض استدلالهم به.

المبحث الثالث: الأحاديث التي استدل بها أصحاب الحلول، ونقض استدلالهم بها، وقد كتبته في سبعة مطالب، كل حديث في مطلب، مع نقض استدلالهم به.

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائجه، وخلاصته.

وأخيراً كتبت فهرساً للمصادر والمراجع، التي أفدت منها، أسأل الله التوفيق والسداد في الدارين.

❊ ❊ ❊

التمهيد

مفهوم الحلول والقائلون به إجمالاً

مفهوم الحلول :

تعريفه لغة :

الحلول مشتق من الفعل: حل ، يحل ، بمعنى نزل ، فالحلول نقيض الارتحال.

يقال حله، واحتل به، واحتله، أي نزل به، كما يقال: حلّ بالمكان حلولاً، أي نزل به.

والمحَلّ هو الموضع الذي يحُلّ فيه، وكلاهما بفتح الحاء، لأنهما من حَلّ يحلّ: أي نزل(١).

والحلول نوعان:

الأول: اتحاد جسمين ، فتكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر ، كحلول ماء الورد في الورد ، فيسمى الساري حالاً ، والمسري محلاً.

الثاني: كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز(٢).

---

(١) انظر: لسان العرب ١/ ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، والمعجم الوسيط ص١٩٤.

(٢) انظر التعريفات ص١٠٥ ، ١٠٦.

تعريفه اصطلاحاً :

الحلول في اصطلاح الحلولية ونحوهم هو دعوى « حلول الباري تعالى في أجسام خلقه »[١] ، فالحلولية هم «الذين زعموا أن الإله يدخل في الصور الحسنة»[٢] ، بل إن الحلولية لا يقولون هذا فقط؛ وإنما هم طوائف ، فبعضهم قال بحلول الله تعالى في كل مكان ، وبعضهم خصوا حلوله في بعض الأشخاص ، ممن يعظمونهم ، وبعضهم قال باتحاد الله مع خلقه ، وأعظم منه من زعم بأن الوجود واحد ، فالرب عبد ، والعبد رب[٣] .

هذا هو تصور الحلول ، إجمالاً ، وإلا فإن أصحابه القائلين به ، طوائف كثيرة ، ولكل طائفة تصور خاص في كيفية هذا الحلول المزعوم[٤] .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١١٤.

(٢) أصول الدين ص٧٧.

(٣) انظر الملل والنحل ٢/ ٥٤ ، ومعجم الفرق الإسلامية ص١٠٢ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٥/ ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، والغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ص١٢٦.

(٤) راجع المصادر التالية: جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٧٩ ، ودراسات في الفرق والمذاهب الإسلامية ، والتبصير في الدين ص١٠٨ ، والهفت الشريف ص١٩ ، ٢٠ ، وعقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة ١/ ٨٣ ، والفرقان بين الحق والباطل ص١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ - ١٢٨.

القائلون بالحلول إجمالاً:

القائلون بهذه العقيدة، الحلولية، ممن ينتسب إلى الإسلام طوائف كثيرة، قديماً وحديثاً، وبسط الحديث عن كل واحدة منها لا يسعه التمهيد؛ ولذا فأكتفي بإعطاء تصور إجمالي لأشهر معتقدي الحلول، بما يغني عن الإطالة، إن شاء الله تعالى.

من أول من عرف عنه القول بالحلول ممن ينتسب إلى الإسلام، عبد الله بن سبأ، اليهودي، الذي ادعى اعتناقه الإسلام، وقدم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأظهر فيه الغلو، حيث زعم ألوهية هذا الصحابي الجليل[(١)].

ثم تابع ابن سبأ بعض الرعاع والغوغاء، وسار على نهجه فيما بعد طوائف قالت بالحلول، لعل من أشهرها، السبئية، والمغيرية، والبيانية والجناحية، والنميرية، والمقنعية، والرزامية، والشريعية، والعذافرة، والخطابية، والمفوضة، والنصيرية، والإسحاقية والإسماعيلية، والدروز، والحلمانية، والبركوكية، وكل هذه فرق من الشيعة الغلاة[(٢)].

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص١٥، وميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٤٣٠، ٤٣١، ومنهاج السنة النبوية ١/ ٣٠، وابن سبأ حقيقة لا خيال، الكتاب كله.

(٢) انظر تفسير القمي ٢/ ١٣٠، ١٣١، وفرق الشيعة ص٢٢، ٢٣، ٤٧، وشرح نهج البلاغة ٢/ ٣٠٩، والملل والنحل ١/ ١٤٠، ١٤١، والفرق بين الفرق ص١٩٢-١٩٥، والباكورة السليمانية ص١٢٤، ١٢٥، وعقيدة الدروز ص١١٧ - ١٣٧، وكنز الولد ص٤٩، والتقمص ص٤٦، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٨٣، ١٨٤.

يقول الرازي ت٦٠٦هـ بأن « أول من أظهر هذه المقالة [الحلول] في الإسلام: الروافض ، فإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم »[(١)].

وقالت طائفة الجهمية بالحلول ، إذ زعم بعضهم بأن الله تعالى حال في كل مكان ، وقال بعضهم بأنه سبحانه وتعالى ليس في العلو ، لكن لا يدري أين ربه[(٢)] ، نسأل الله الهداية والاستقامة.

وقال بعض المعتزلة بالحلول ، كطائفتي الخابطية ، والحدثية[(٣)]، ونحوهما[(٤)].

أما غلاة الصوفية فهم من أشهر من قال بالحلول ، والاتحاد ، ووحدة الوجود ، وأقوالهم في ذلك كثيرة ومشهورة ، لا سيما ما ينقل عن الحلاج ت٣٠٩هـ ، وابن الفارض ت٦٣٢هـ ، وابن عربي ت٦٣٨هـ ، وابن سبعين

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٢ ، ٨٣.

(٢) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣ ، ٣٥ ، ١٣٩ ، والرد على الجهمية ص١٨ ، والبنية والرد على أهل الأهواء والبدع ص١٠٤ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٥٨-٦٠ ، ٥/ ٢٢٧ - ٢٢٩.

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٢١٧، ٢١٨، ٣٢٦ ، والفرق بين الفرق ص٢٠٨، ٢٠٩ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٥٣ - ١٥٥ ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٥٩ ، ٦٠.

(٤) انظر أصول الدين ص٧١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١٢٢، والفرق بين الفرق ص٢٠٨ ، ٢٠٩ ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٥٩ ، ٦٠ ، وذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين ص٦٥، ٦٦.

ت٦٦٧هـ ، والتلمساني ت٦٩٠هـ ، ومن سار على نهجهم[١].

وقالت البهائية بالحلول ، إذ زعموا أن الله تعالى لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا إذا حل في أبدان خلقه[٢].

وكذلك طائفة القاديانية ، قالت بحلول الله في مخلوقاته ، وزعموا بأنه تعالى حل في مؤسس هذه الطائفة[٣].

وهناك بعض ممن ينتسب إلى الأدب والشعر ، من المعاصرين ، من تلفظ بالحلول[٤].

نسأل الله للجميع الهداية إلى التوحيد الحق ، والاستقامة على الشرع ، مع إخلاص لله تعالى.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر كتاب الطواسين ص١٣٤ ، وأخبار الحلاج ص١٦ ، وتاريخ بغداد ٨/ ١٢٩ ، والبداية والنهاية ١١/ ١٣٤ ، والإنسان الكامل ص٣٨ ، وشرح مشكلات الفتوحات المكية ص١٣٢ – ١٥٢ ، والمواقف والمخاطبات ص٢١ ، ٣٩-٥٠ ، وشعر ابن الفارض ص٣٠-٣٧ ، وفصوص الحكم ص٧٢- ٨٣ ، ١٩١ – ١٩٣ ، ٢١٠.

(٢) انظر بهاء الله والعصر الجديد ص٢٠٩، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٨٨- ١٩٤، وتاريخ المذاهب الإسلامية ١/ ٢١٢ ، ٢١٣ ، والبابية عرض ونقد ص١٤٨ ، ١٤٩.

(٣) انظر القاديانية دراسات وتحليل ص١٩٩-١٠١ ، وحركات الغلو والتطرف الإسلامي ص١١٣ ، وتاريخ المذاهب الإسلامية ١/ ٢٢٢ ، ٢٢٤.

(٤) انظر المعجم الأدبي ص٩٩.

المبحث الأول

حكم القول بالحلول، وفروعه ولوازمه

المطلب الأول

حكم القول بالحلول

القول بالحلول مناقض لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وذلك أن القول به يُعد نفياً لوحدانية الله في ألوهيته وربوبيته، لأنه اعتقاد ألوهية غير الله، بزعم حلول الإله في ذلك الغير، وبالتالي تصبح بعض المخلوقات، أو كلها، أرباباً وآلهة مع الله تعالى[1]، كما أنه تنقص لرب العالمين، بنفي صفات العلو والفوقية والاستواء على العرش وغيرها من صفات الكمال الثابتة لله تعالى، ووصفه بالنقائص، على زعم حلوله في المخلوقات، وهو كذلك عدم استجابة لرسول الله تعالى، وخاتمهم محمد ﷺ، إذ دعوا جميعاً إلى توحيد الله عز وجل وتنزيهه، وعلوه وبينونته من خلقه.

ولهذا فإن القول بالحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود كفر بالله تعالى، مخرج من ملة الإسلام، لمخالفته الصريحة لنصوص الوحي، ولما ذكرته سابقاً.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٥/ ٤٢٤، ومنهاج السنة النبوية ٥/ ٣٨٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٥٥، ١٥٦.

وقد قال علماء الأمة بكفر من أنكر علو الله تعالى ، واستوائه على عرشه ، فكيف بمن يزعم حلوله – تعالى الله عما يقول – في المخلوقات، أو يزعم أن الخالق والمخلوق شيء واحد.

فأبو حنيفة ت١٥٠هـ رحمه الله ، أفتى بكفر من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ، وبكفر من أقر بالاستواء ، لكنه قال: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض[(١)].

وعن عبد الرحمن بن مهدي ت١٩٨هـ رحمه الله أنه قال: « ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم ، يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء ، أرى والله أن لا يناكحوا ، ولا يتوارثوا »[(٢)].

وعن محمد بن إسحاق بن خزيمة ت٣١١هـ رحمه الله أنه قال: «من لم يقر بأن الله عز وجل على عرشه ، قد استوى فوق سبع سماواته ، فهو كافر بربه ، حلال الدم ، يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[(٣)].

وقال الإمام أحمد ت٢٤١هـ رحمه الله بأن من زعم بأن الله خلق الخلق

---

(١) انظر الفقه الأبسط (العالم والمتعلم) من رواية أبي مطيع عن أبي حنيفة ص٤٩ ، والرسائل السبع في العقائد شرح الفقه الأكبر ص١٤ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ٤٧ ، ٤٨.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ٥٢ ، ٥٣.

(٣) انظر معرفة علوم الحديث ص٨٤ ، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث ص١٨٧.

«خارجاً عن نفسه ، ثم دخل فيهم كان هذا كفراً ، أيضاً ، حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر رديء»[١].

وقد جاء في الأخبار أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما جاءه بعض الزنادقة الحلولية الذين زعموا ألوهيته رضي الله عنه ، حرقهم في النار، ووافقه عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، على قتلهم ، وإن خالفه في إحراقهم[٢].

وحذر أبو بكر الآجري ت٣٦٠هـ رحمه الله من الحلولية ، مبيناً أنه: «لا يوافق قولهم كتاب ولا سنة ، ولا قول الصحابة رضي الله عنهم ولا قول أئمة المسلمين»[٣].

وقال الدارمي ت٢٨٠هـ رحمه الله بكفر الجهمية الذين نفوا علو الله تعالى[٤].

وذكر عبد القاهر البغدادي ت٤٢٩هـ رحمه الله القائلين بالحلول ، ثم قال بأنهم: «ما هم من فرق الإسلام ، وإن كانوا منتسبين إليه »[٥].

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٩.

(٢) الخبر أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ح٦٩٢٢ ، وانظر منهاج السنة النبوية ١/ ٣٠٦-٣٠٨ ، وفتح الباري ١٢/ ٢٧٠ ، ٢٧١.

(٣) الشريعة ص٢٨٥ ، ٢٨٦.

(٤) انظر الرد على الجهمية ص١٠٦- ١١٠ .

(٥) الفرق بين الفرق ص١٧ ، وانظر ص١٩٢.

وقال القاضي عياض ت٥٤٤هـ رحمه الله ، بأن القول بالحلول كفر بإجماع المسلمين[١].

وذكر الشاطبي ت٧٩٠هـ رحمه الله أن القول بالحلول: «لا يختلف المسلمون في التكفير به»[٢].

وأقوال أهل العلم في كفر القول بالحلول ، والاتحاد ، ووحدة الوجود والتحذير منه ، ووجوب استتابة أصحابه ، فإن تابوا ، وإلا قتلوا ، كثيرة ، ومشهورة ، أكتفي بما ذكرته ، ومن أراد الاستزادة فليراجع هذه المسألة في كتب أهل العلم[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر شرح الشفا ٢/ ٥٠ - ٥١٤.

(٢) انظر الاعتصام ٢/ ١٩٧.

(٣) انظر الرد على الجهمية ص١١٣، ١١٥، والفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٤٧، ورد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علي بشر المريسي العنيد ص١١ ، والسنة لعبدالله بن أحمد ص٨ ، ٣٥ ، ومنهاج السنة النبوية ١/ ٣٠ ، ٥/ ٣٨٣، ٢/ ٥١٢ ، ٥١٣ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ١٧٢-١٨٠ ، ٢٧٨ ، ٤٩٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ومجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٣٠ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٥٥ ، ١٥٦ ، والحاوي للفتاوي ص١٢٩.

المطلب الثاني

فروعه ولوازمه

مذهب الحلولية والاتحادية مركب من ثلاث مواد، هي: سلب الجهمية وتعطيلهم، ومجملات الصوفية، وما يوجد في كلام بعضهم من الكلمات المتشابهة، والمادة الثالثة هي الزندقة الفلسفية، التي هي أصل التجهم[١]، هذه المواد الثلاث هي أصل تركيب هذه العقيدة الباطلة، التي ينتج عنها آراء وأفكار في غاية الخطورة والمخالفة، ومن ثم تفرع عنها فروع شاذة، ولزمهم لوازم لا يمكن الانفكاك منها إلا بالتوبة من هذه الزندقة الحلولية والإيمان بعلو الله تعالى واستوائه على عرشه ومباينته عن خلقه.

فالقول بالحلول والاتحاد، يلزم منه لوازم خطيرة، ويتفرع عنه فروع باطلة، أهمها ما يلي:

١. أن فرعون وقومه مؤمنون بالله، عابدون الله على الحقيقة، وأن فرعون كان صادقاً في دعواه، حين قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[٢]، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[٣]، لأن له الحق – على مذهبهم – أن يزعم أن الله تعالى حل فيه، أو أن الوجود واحد وهو الله، فيكون هو الله.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ١٧٥.

(٢) سورة القصص، الآية ٣٨.

(٣) سورة النازعات، الآية ٢٤.

٢. أن عباد الأصنام والأوثان، والشمس والقمر والنار والنور والشجر والقبور، ما عبدوا إلا الله؛ إذ الوجود واحد، أو يحق لهم على مذهب الحلولية أن يزعموا أن الله حل فيها.

٣. أن الرسل والأنبياء ضيقوا على الخلق، وحجروا واسعاً، حين دعوا إلى توحيد الله تعالى والقول بأنه فوق السماوات، مستوٍ على العرش، إذ على عقيدة الحلولية يجوز التوجه بالعبادة لكل شيء يعتقد أن الإله حل فيه.

بل قد زعم بعض الحلولية والاتحادية أن فرعون كان مؤمناً، وأنه لا يدخل النار، وهذا القول كفر، معلوم فساده بالاضطرار من دين الإسلام، لم يسبق الاتحادية إليه أحد من أهل القبلة، بل ولا من اليهود، ولا من النصارى، وجميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون[١]، وهذا يدلل على أن ما أشرت إليه آنفاً من الفروع واللوازم، ليست مجرد لوازم، ومظنة الوقوع فيها، بل قد وقع بعض القوم فيها[٢].

٤. ومن لوازم هذه العقيدة أنه لا حاجة للمخلوقين إلى الرسل والرسالات؛ فإذا كان الله يحل في خلقه، فلا داعي إلى إرسال الوحي، وبعثة الرسل وإنباء الأنبياء، فكل من حل فيه الإله، يصبح أعظم وأفضل من النبي، فينطق الرب على لسانه بما يشاء، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً[٣].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ٢٧٩.

(٢) انظر المصدر السابق ١٦/ ١٠٢، ١٠٣.

(٣) انظر الغلو والفرق الغالية ص١٢٨.

٥. كما أن من لوازم هذه العقيدة الباطلة، القائمة على نفي علو الله تعالى، «أنه ليس فوق السماوات رب، ولا على العرش إلا العدم المحض، وليس هناك من ترفع إليه الأيدي، ويصعد إليه الكلم الطيب، وتعرج الملائكة والروح إليه، وينزل الوحي من عنده، ويقف العباد بين يديه، ولا عرج برسوله إليه حقيقة، ولا رفع المسيح إليه حقيقة، ولا يجوز أن يشير إليه أحدنا بأصبعه إلى فوق كما فعل النبي ﷺ [1]، ولا يجوز أن يقال: أين هو كما قاله النبي ﷺ، ولا يجوز أن يسمع من يقول: أين؟ ويقره عليه، كما سمع رسول الله ﷺ من السائل وأقره عليه [2]، ولا يراه المؤمنون بأبصارهم، عياناً فوقهم، ولا له حجاب حقيقة يحتجب به عن خلقه، ولا يقرب منه شيء، ولا يبعد منه شيء، ونسبته من فوق السماوات كلها إلى القرب منه كنسبة من في أسفل سافلين، الكل في القرب من ذاته سواء...، ومعلوم أن هذا أشد مناقضة لما جاءت به الرسل منه للمعقول الصريح، فيكون من أبطل الباطل» [3]، هذه هي حقيقة القول بالحلول والاتحاد وحاصله ونتيجته.

٦. أن بعض المخلوقات أفضل من الله تعالى؛ فإن الحلولية لا يصفون

---

(١) وذلك في حجة الوداع، أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ح١٩٠٥.

(٢) كما في قصة الجارية، أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته ح٥٣٧.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ١٤٦، ١٤٧.

الله بالعلو دون السفول ، وفي المخلوقات ما يوصف بالعلو دون السفول كالسماوات ، وما كان موصوفاً بالعلو دون السفول يكون أفضل مما لا يوصف بالعلو ، أو يوصف بالعلو والسفول.

٧. ومن لوازمه نسبة النقص والضعف والحاجة إلى الله تعالى ، إذ هو على معنى هذه العقيدة الحلولية ، غير قادر ، ولا غني، ولا صمد ، ولا قيوم، وبالتالي فيلزم من ذلك افتقاره وحاجته إلى خلقه أو بعضهم ، وهذا فيه مناقضة صريحة للركن الأول من أركان الإيمان ، بل ولأركان الإيمان كلها ، كما أن فيه مناقضة لشهادة أن إله إلا الله[1] .

٨. أنه يجوز على الله تعالى ، ثم على رسوله ﷺ ، ثم على خير الأمة ، أنهم يتكلمون ، بما هو نص وإما ظاهر ، في خلاف الحق ، وأنهم يكتمون الحق الذي يجب اعتقاده ، ولا يبوحون به قط ، ولا يدلون عليه ، لا نصاً ولا ظاهراً ، وأن الحق كان خافياً حتى جاء الحلولية ، فأظهروه للناس.

٩. إذا كان ما يعتقده هؤلاء الحلولية وأمثالهم هو الاعتقاد الواجب ، وهم مع ذلك يحيلون معرفته إلى مجرد عقولهم ، وأقوال اليهود والنصارى والفلاسفة ، ويدفعون بهذه الشبه العقلية والآثار الفلسفية ما دل عليه الكتاب والسنة ، نصاً أو ظاهراً ، فإن ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير الحلولي ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٨٧ ، ٢٨٨.

أصل الدين؛ لأن حقيقة دعوى الحلولية أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ، لا من الكتاب ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا ما تمليه عليكم عقولكم المجردة ، وما أملاه عليكم أسلافكم من عباد الأوثان والصلبان ، فاعرفوا الله به ، وما لم تمله عليه عقولكم وأسلافكم ، فلا تعتقدوه.

١٠. أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله.

١١. أن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، وإنما إلى ما كانوا عليه في الجاهلية ، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة ونحوهم.

١٢. أن ما جاء في الكتاب والسنة لا يؤمن به ، ويعتقد ، إلا بعد عرضه على عقول الناس ، ضعيفها وسقيمها ، فما قررته تلك العقول فهو الحق ، وما عداه فباطل يجب رده، أو تخريجه على شواذ اللغة، ووحشي الكلام، وغرائب الألفاظ ، ليوافق ما تقرره تلك العقول[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر مقالة نفاة العلو والاستواء: «ولازم هذه المقالة: أن لا يكون الكتاب هدى للناس ، ولا بياناً ، ولا شفاء لما في الصدور ، ولا نوراً ، ولا مرداً عند التنازع؛ لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذي يجب اعتقاده ، لم يدل عليه الكتاب والسنة ، لا نصاً ولا ظاهراً... ، وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ١٥ - ١٨ ، ١٦/ ١٠٢.

الخلق على أن الله ليس على العرش، ولا فوق السماوات، ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[1] لقد أبعد النجعة ، وهو إما ملغز وإما مدلس ، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين.

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة ، خيراً لهم في أصل دينهم؛ لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد ، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة»[2] ، نعوذ بالله من الإعراض وطرق أهل الضلال ، ونسأله سبحانه وتعالى الاستقامة على شرعه وحسن الاتباع لما جاء به الرسول ﷺ ، فإنه القائل: « **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله** »[3]، وأسأله جل وعلا أن يجعلنا من الفرقة الناجية ، التي قال ﷺ في صفتها: « **هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** »[4] .

* * *

---

(١) سورة مريم ، الآية ٦٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ١٨ ، ١٩.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ح٣٧٨٦ ، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٥٤٢ ، ٥٤٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ح٢٦٤١، وقال: حديث حسن غريب مفسر ، لا نعرفه مثل هذا ، إلا من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٢٩ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٥٤ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٣٤.

المبحث الثاني

الآيات التي استدل بها أصحاب الحلول، ونقض استدلالهم بها

المطلب الأول

استدلالهم بأدلة المعية

استدل أصحاب الحلول بآيات المعية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[(٢)]، وقوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾[(٥)]، وقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[(٦)]، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[(٧)]، وغيرها من

---

(١) سورة طه، الآية ٤٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٤) سورة محمد، الآية ٣٥.

(٥) سورة النساء، الآية ١٠٨.

(٦) سورة الشعراء، الآية ٦٢.

(٧) سورة الحديد، الآية ٤.

الأدلة التي تضمنت بأن الله تعالى مع خلقه أو مع بعضهم.

قال أصحاب الحلول بأن ظاهر هذه النصوص يدل على أن ذات الله تعالى في كل مكان، إذ أن المعية -على حد دعواهم- تقتضي المخالطة والممازجة، فهي معية ذاتية لله تعالى ، فهو حال بينهم وفيهم ، أو في المعظمين منهم[(١)] .

*** النقــض :**

آيات المعية في كتاب الله تعالى لا تدل على معيته بذاته لخلقه ، أو أنه في كل مكان ، ولا تدل على الحلول بأي وجه ، وإنما المراد بالمعية في بعض المواضع أن الله مع الخلق جميعاً بالعلم بهم ، وفي بعض المواضع بأنه مع المؤمنين ، أي بالنصر والتأييد.

قال الإمام أحمد: «بيان ما ذكر الله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ : وهذا على وجوه: قال الله جل ثناؤه لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ ، يقول: في الدفع عنكما ، وقال: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: يقول: في الدفع عنا ، وقال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ، يقول: في النصر لهم على عدوهم ،

---

(١) انظر أخبار القرامطة ص٥٧٢ ، والرد على الجهمية ص٢٠ ، والرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٨-١٤١ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ١٧٢ ، ٥/ ٢٢٨.

وقال: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ : في النصر لكم على عدوكم ، وقال: ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ ، يقول: بعلمه فيهم ، وقال: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ يقول في العون على فرعون»[1].

ويقول الإمام أحمد بعد أن ساق هذه الآيات ومعانيها: «فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله أنه مع خلقه ، قال: هو في كل شيء غير مماس لشيء ، ولا مباين له ، فقلنا: إذا كان غير مباين أليس هو مماساً؟ قال: لا ، قلنا: فكيف يكون في كل شيء ، غير مماس لشيء ولا مباين؟ ، فلم يحسن الجواب ، فقال: بلا كيف ، فخدع جهال الناس بهذه الكلمة ، وموه عليهم ، فقلنا: إذا كان يوم القيامة ، أليس إنما هو الجنة والنار والعرش والهواء؟ ، قال: بلى ، فقلنا: فأين يكون ربنا؟ فقال: يكون في كل شيء كما كان ، حيث كانت الدنيا كل شيء ، قلنا: فإن مذهبكم أن ما كان من الله على العرش فهو على العرش ، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة ، وما كان من الله في النار فهو في النار ، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء ، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى»[2].

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٤٠ ، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٤٦ ، ١٤٧ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٧٠.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٤١، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٤٧ ، ١٤٨.

فالمتأمل في النصوص الشرعية التي تضمنت ألفاظ المعية ، وأن الله سبحانه وتعالى مع خلقه ، أو مع بعضهم ، كالنصوص التي تدل على أن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون ، ونحو ذلك يعلم علم اليقين أن المراد بها نوعان من المعية:

معية عامة: وذلك في النصوص التي تدل على أن الله مع جميع الخلق، وأنه مع كل متناجين ، والمراد بها أنه معهم بعلمه وإحاطته ، وسمعه لما يقولون ، وبصره لما يفعلون.

ومعية خاصة: وذلك في النصوص التي تخص معية الله لطائفة من خلقه ، والمراد بها أنه معهم بنصره وتأييده[(١)].

وكلا النوعين لا يقتضيان بأي حال من الأحوال أنه سبحانه وتعالى معهم بذاته ، أو أنه مخالط لهم ، أو حال فيهم ، أو حال في كل مكان ، ونحو ذلك مما يدعيه أصحاب الحلول.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : «والمعية في كتاب الله على وجهين: عامة وخاصة.

فالعامة ، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٦٥ - ٢٦٧.

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[١] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢].

فهذه المعية عامة لكل متناجين ، وكذلك الأولى عامة لجميع الخلق.

ولما أخبر سبحانه في المعية أنه رابع الثلاثة ، وسادس الخمسة ، قال النبي ﷺ: « **ما ظنك باثنين الله ثالثهما** »[٣]؛ فإنه لما كان معهما كان ثالثهما ، كما دل القرآن على معنى الحديث الصحيح، وإن كانت هذه معية خاصة، وتلك عامة.

وأما المعية الخاصة ، فكقوله تعالى لما قال لموسى وهارون : ﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٤] ، فهذا تخصيص لهما دون فرعون وقومه ،

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٤.

(٢) سورة المجادلة ، الآية ٧.

(٣) نص الحديث هو ما رواه أنس عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار ، فقلت: يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا ، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، منهم أبو بكر رضي الله عنه ح ٣٦٥٣.

(٤) سورة طه ، الآية٤٦.

فهو مع موسى وهارون دون فرعون ، وكذلك لما قال النبي ﷺ لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾(١) ، كان معناه : إن الله معنا دون المشركين الذين يعادونهما ويطلبونهما ، كالذين كانوا فوق الغار ، ولو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصر ما تحت قدميه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(٢) ، فهذا تخصيص لهم دون الفجار والظالمين ، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٣)، تخصيص لهم دون الجازعين، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾(٤) الآية ، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٥).

وفي ذكره سبحانه للمعية عامة تارة وخاصة أخرى ما يدل على أنه ليس المراد بذلك أنه بذاته في كل مكان ، أو أن وجوده عين وجود المخلوقات ، ونحو ذلك من مقالات الجهمية ، الذين يقولون بالحلول العام والاتحاد العام أو الوحدة العامة ، لأنه على هذا القول لا يختص

(١) سورة التوبة ، الآية ٤٠.

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٨.

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٥٣.

(٤) سورة المائدة ، الآية ١٢.

(٥) سورة الأنفال ، الآية ١٢.

بقوم دون قوم ، ولا مكان دون مكان ، بل هو في الحشوش على هذا القول وأجواف البهائم ، كما هو فوق العرش ، فإذا أخبر أنه مع قوم دون قوم كان هذا مناقضاً لهذا المعنى، لأنه على هذا القول لا يختص بقوم دون قوم، ولا مكان دون مكان، بل هو في الحشوش على هذا القول ، كما هو فوق العرش.

والقرآن يدل على اختصاص المعية تارة وعمومها أخرى ، فعلم أنه ليس المراد بلفظ المعية اختلاطه.

وفي هذا أيضاً رد على من يدعي أن ظاهر القرآن هو الحلول ، لكن يتعين تأويله على خلاف ظاهره ، ويجعل ذلك أصلاً يقيس عليه ما يتأوله من النصوص ، فيقال له: قولك: إن القرآن يدل على ذلك خطأ ، كما أن قول قرينك الذي اعتقد هذا المدلول خطأ »[١].

وفي موضع آخر يوضح شيخ الإسلام ابن تيمية المراد بمعية الله لخلقه، الواردة في كتاب الله تعالى ، فيقول:

«وأما قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[٢] ، فلفظ (مع) لا تقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر ، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ

---

(١) منهاج السنة النبوية ٨/ ٣٧٢ – ٣٧٥ ، وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٠٤.

(٢) الحديد ، الآية ٤.

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[١] ، وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٢] ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾[٣].

ولفظ (مع) جاءت في القرآن عامة وخاصة:

فالعامة في هذه الآية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٤] ، وفي آية المجادلة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٥] ، فافتتح الكلام بالعلم ، وختمه بالعلم؛ ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: هو معهم بعلمه.

وأما المعية الخاصة ، ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[٦]، وقوله تعالى لموسى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١١٩.

(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٩.

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٧٥.

(٤) سورة الحديد ، الآية ٤.

(٥) سورة المجادلة ، الآية ٧.

(٦) سورة النحل ، الآية ١٢٨.

وَأَرَىٰ ﴾[١] ، وقال الله: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[٢]،
يعني النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه، فهو مع موسى وهارون، دون فرعون، ومع محمد وصاحبه ، دون أبي جهل وغيره من أعدائه ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، دون الظالمين المعتدين.

فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان ، تناقض الخبر الخاص والخبر العام.

بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك »[٣].

فالحلولية يزعمون أن ظاهر نصوص المعية ، في كتاب الله تعالى هو الحلول؛ ولهذا قالوا به ، وطوائف أخرى زعمت القول نفسه ، إلا أنهم قالوا بضرورة تأويل النصوص ، فراراً من الحلول ، فوقعوا بما يخالف القرآن الكريم، كما أن ذلك جعلهم يتأولون كثيراً من نصوص القرآن بزعم أنها تخالف العقول ، أو نحو ذلك من الشبه التي يقع فيها من لم يسلم لله تعالى ورسوله ﷺ.

والحق أن آيات المعية لا تدل على ما زعموه من الحلول والاختلاط ، كما بينت ذلك سابقاً ، ثم يقال بأن زعمهم خاطئ من وجوه:

---

(١) سورة طه ، الآية ٤٦.

(٢) سورة التوبة ، الآية ٤٠.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٩٤ ، ٩٥ ، وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٢٣١ ، ١١/ ٢٤٩ ، ٢٥٠.

الوجه الأول: أن لفظ (مع) في اللغة العربية إنما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران، ولا تدل على أن الأول مختلط بالثاني في عامة موارد الاستعمال، كقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1]، فإنه لم يرد بلفظ (مع) في هذه الآية أن ذواتهم مختلطة بذاته، وكذلك يقال في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم، وسائر الكلام العربي.

وإذا كان لفظ (مع) إذا استعملت في كون المخلوق مع المخلوق لم تدل على اختلاط ذاته بذاته، فهي لا تدل على ذلك في حق الخالق بطريق الأوْلى، فدعوى دلالتها على الحلول باطل؛ إذ ليس هذا معناها في اللغة، ولم يقترن بها في الاستعمال ما يدل على أن ظاهرها الحلول، فكان ظهور الحلول منها منتفياً من كل وجه، فإذا انتفى ظهور الحلول فيما هو أولى به، فانتفاؤه فيما هو أبعد عنه أولى، كيف وقد دلت نصوص أخرى كثيرة على علو الله سبحانه وتعالى وفوقيته واستوائه على عرشه مما يدل دلالة قطعية على نفي الحلول ونحوه.

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٣) سورة النساء، الآية ١٤٦.

الوجه الثاني: أن المعية في كتاب الله تعالى جاءت خاصة أكثر مما جاءت عامة، ولو كان المراد اختلاط ذاته بالمخلوقات لكانت عامة لا تقبل التخصيص.

الوجه الثالث: أن سياق الكلام، أوله وآخره، في كل نص شرعي، يدل على معنى المعية، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(١)]، فافتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم، فعلم أن المراد بالمعية: العلم، فهو سبحانه عالم بهم، لا يخفى عليه منهم خافية، وبهذا فسرها السلف[(٢)].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٣)]، فذكر العلم قبل المعية، ثم ختم الآية بالعلم، فأخبر أنه مع استوائه على العرش يعلم هذا كله.

ففي آية المجادلة أخبر بعموم العلم لكل نجوى، وفي آية الحديد أخبر أنه مع علوه على عرشه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وهو مع العباد أينما كانوا: يعلم أحوالهم، والله بما يعملون بصير.

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٢) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٨، وكتاب الرد على الجهمية ص١٩، ٢٠، والشريعة ص٢٨٨، ٢٨٩.

(٣) سورة الحديد، الآية ٤.

وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ فقد دل السياق على أن المقصود ليس مجرد علمه وقدرته، بل هو معهم في ذلك بتأييده ونصره، وأنه يجعل للمتقين مخرجاً، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾؛ فإنه معهما بالتأييد والنصر والإعانة على فرعون وقومه، كما إذا رأى الإنسان من يخاف فقال له من ينصره: نحن معك، أي معاونوك وناصروك على عدوك.

وكذلك قول النبي ﷺ لأبي بكر الصديق، فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، أي موافق لنا بالمحبة والرضا فيما فعلناه، وهو مؤيد لنا ومعين وناصر[1].

فإذا قيل: الله مع خلقه دل على أن علمه وقدرته وسلطانه محيط بهم، وهو مع ذلك فوق عرشه، كما أخبر القرآن والسنة بهذا، في مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾[2]، فأخبر سبحانه أنه مع علوه واستوائه على عرشه يعلم كل شيء، فلا يمنعه علوه عن العلم بجميع الأشياء[3].

---

(١) منهاج السنة النبوية ٨/ ٣٧٥ – ٣٨١ بتصرف يسير.

(٢) سورة الحديد، الآية ٤.

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٤٤٩.

يقول أبو القاسم الأصبهاني ت٥٣٥هـ: «ومن مذهب أهل السنة: الإيمان بجميع ما ثبت عن النبي ﷺ في صفة الله تعالى...، والإيمان بما ورد في القرآن من صفات الله تعالى، كاليد، والإتيان، والمجيء، وإمرارها على ما جاءت، لا تكيف ولا تتأول.

فإن قيل: قد تأولتم قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[(١)]، وحملتموه على العلم، قلنا: ما تأولنا ذلك، وإنما الآية دلت على أن المراد بذلك العلم؛ لأنه قال في آخرها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(٢)]...»[(٣)].

ويقول أبو جعفر الطبري ت٣١٠هـ في تفسير قوله تعالى «وهو معكم أينما كنتم»: «وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم، يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه، فوق سماواته السبع»[(٤)].

يقول ابن القيم ت٧٥١هـ: «قال الشيخ أبو عمر الطلمنكي المالكي [ت٢٢٩هـ] أحد أئمة وقته بالأندلس...: وأجمع المسلمون من أهل السنة على معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحو ذلك من القرآن، أن ذلك

---

(١) سورة الحديد، الآية ٤؛ لكن لعل المؤلف أراد آية المجادلة: (إلا هو معهم أينما كانوا) فإنها هي التي آخرها: (إن الله بكل شيء عليم)، كما أشار في آخر كلامه.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٢٩٠-٢٩٢.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ٢٧/ ١٢٥.

علمه ، وأن الله فوق السماوات بذاته ، مستو على عرشه كيف شاء ، وقال أيضاً؛ قال أهل السنة في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[١]: إن الاستواء على عرشه المجيد ، على الحقيقة ، لا على المجاز »[٢].

وقال في موضع آخر: «ليس ظاهر اللفظ ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها ، ولا تدل لفظة (مع) على هذا بوجه من الوجوه ، فضلاً أن يكون هو حقيقة اللفظ وموضوعه؛ فإن (مع) في كلامهم لصحبته اللائقة ، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها ، فكون نفس الإنسان معه لون ، وكون علمه وقدرته وقوته معه لون ، وكون زوجته معه لون ، وكون أميره ورئيسه معه لون ، وكون ماله معه لون ، فالمعية ثابتة في هذا كله، مع تنوعها واختلافها ، فيصح أن يقال زوجته معه وبينهما شقة بعيدة ، وكذلك يقال مع فلان دار كذا وضيعته كذا ، فتأمل نصوص المعية في القرآن... ، هل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات التصاقاً وامتزاجاً؟ ، فكيف تكون حقيقة المعية في حق الرب تعالى ذلك ، ... ، فليس في ذلك ما يدل على أن ذاته تعالى فيهم ولا ملاصقة لهم ، ولا مخالطة ولا مجاورة بوجه من الوجوه ، وغاية ما تدل عليه (مع) المصاحبة

---

(١) سورة طه ، الآية ٥.

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٤/ ١٢٨٤ ، وانظر كتاب العلو للذهبي ص١٧٨.

والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور، وذا الاقتران في كل موضع بحسبه ، يلزمه لوازم بحسب متعلقه؛ فإذا قيل الله مع خلقه بطريق العموم كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم ، وإذا كان ذلك خاصاً.. كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة ، فمعية الله تعالى مع عبده نوعان ، عامة وخاصة ، وقد اشتمل القرآن على النوعين »[1].

* * *

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٦٥ ، ٢٦٦.

المطلب الثاني

استدلالهم بقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾[١]

قالوا بأن هذه الآية تدل على أن الله تعالى في كل مكان، وأنه معنا وفينا، زاعمين أن المعية في هذه الآية تقتضي مخالطة الله لخلقه وحلوله فيهم[٢].

يقول أبو بكر الآجري ت٣٦٠هـ: «زعموا أن الله عز وجل حال في كل شيء...، ثم إنهم إذا أنكر عليهم سوء مذهبهم قالوا: لنا حجة من كتاب الله عز وجل ، فإذا قيل لهم: ما الحجة؟ قالوا: قال الله عز وجل: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ ... ، فألبسوا على السامع منهم بما تأولوه ، وفسروا

---

(١) سورة المجادلة ، الآية ٧.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١٢٢، والرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٨، والرد على الجهمية للدارمي ١٩ ، وأخبار القرامطة ص٥٧١ ، ورد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٧٩ ، ٨٠ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣/ ٢٦٣.

القرآن على ما تهوى نفوسهم ، فضلوا وأضلوا ، فمن سمعهم ممن جهل العلم ظن أن القول كما قالوه »[١].

* النقض :

استدلال أصحاب الحلول بهذه الآية داخل في استدلالهم بآيات المعية ، قالوا فيها مثل ما قالوا في تلك الآيات ، وإنما أفردتها هنا؛ لكثرة استدلال طوائف الحلول بها ، فأردت أن أفرد الرد على استدلالهم بمطلب هنا إضافة إلى تلك الردود.

فيقال لهؤلاء الحلولية: لمّا قطعتم جزء الآية من أوله ، وتركتم بدايتها ضللتم في فهمهما؛ فإن الله جل وعلا يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢]، وكذلك فصلتم الجزء الأخير من الآية فلم تذكروه مع الآية التي استدللتم بها[٣].

فإنه عند قراءة الآية كاملة ، من أولها إلى آخرها ، يعرف أن المراد بأنه سبحانه يكون معهم بعلمه.

---

(١) الشريعة ص٢٨٧ ، ٢٨٨.

(٢) سورة المجادلة ، الآية ٧.

(٣) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٧ ، ١٣٨ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٤٢.

قال الإمام أحمد بن حنبل في معرض رده على هؤلاء الحلولية: «الله جل ثناؤه يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، يعني الله بعلمه، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ يعني الله بعلمه ﴿سَادِسُهُمْ﴾، ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾: يعني بعلمه فيهم، ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، يفتح الخبر بعلمه، ويختم الخبر بعلمه»[1].

ثم قال رحمه الله راداً على حلولية الجهمية، وناقضاً استدلالهم بالآية السابقة: «ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه، فهل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟؛ فإن قال: نعم، فقد زعم أن الله بائن من خلقه وأن خلقه دونه، وإن قال: لا، كفر»[2].

وقال أبو سعيد الدارمي في معرض رده على احتجاج الجهمية بهذه الآية على قولهم بحلول الله في كل مكان: «قلنا: هذه الآية لنا عليكم، لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه؛ لأن علمه بهم محيط، وبصره فيهم نافذ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش، بائن من خلقه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق ص١٣٨، ١٣٩.

وَأَخْفَى ﴾[١]، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم، وكذلك فسرته العلماء.

نعم هذا الذي احتججتم به هو حق، كما قال الله عز وجل، وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا، غير أنكم جهلتم معناها، فضللتم عن سواء السبيل، وتعلقتم بوسط الآية، وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها؛ لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم، وختمها به، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم، لا أنه نفسه في كل مكان معهم، كما زعمتم، فهذه حجة بالغة لو عقلتم»[٢].

ثم ذكر حجة ثانية في الرد عليهم، ربط فيها بين الآيات التي تدل على علو الله تعالى واستوائه على عرشه، وهذه الآية التي تدل على أنه سبحانه معهم بعلمه، والتي استدلوا بها، جهلاً وضلالاً منهم، على زعمهم بأن الله حال في كل مكان، فقال رحمه الله: «وأخرى [أي وحجة أخرى] أنا لما سمعنا قول الله في كتابه ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[٣]، و﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[٤]، وقوله تعالى:

---

(١) سورة طه، الآية ٧.

(٢) كتاب الرد على الجهمية ص١٩، ٢٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٩.

﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[(١)]، و﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾[(٢)] ، و﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[(٣)] ، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[(٤)] ، و﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[(٥)] ، وما أشبهها من القرآن، آمنا به، وعلمنا يقيناً بلا شك أن الله فوق عرشه، فوق سماواته، كما وصف، بائن من خلقه، فحين قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ قلنا: هو معهم بالعلم الذي افتتح به الآية، وختمها؛ لأنه قال في آي كثيرة ما حقق أنه فوق عرشه، فوق سماواته، فهو كذلك لا شك فيه، فلما أخبر أنه مع كل ذي نجوى، قلنا: علمه وبصره معهم، وهو بنفسه على العرش بكماله، كما وصف؛ لأنه لا يتوارى منه شيء، ولا يفوت علمه وبصره شيء في السماء السابعة العليا، ولا تحت الأرض السابعة السفلى، وهذا كقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[(٦)] ، من فوق العرش»[(٧)].

---

(١) سورة المعارج، الآيتان ٣، ٤.

(٢) سورة السجدة، الآية ٥.

(٣) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٨.

(٥) سورة آل عمران، ٥٥.

(٦) سورة طه، الآية ٤٦.

(٧) كتاب الرد على الجهمية ص٢٠.

وقال في موضع آخر: «وإنما يعرف فضل الربوبية، وعظم القدرة بأن الله من فوق عرشه، وبعد مسافة السماوات والأرض، يعلم ما في السماوات والأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، وهو مع كل ذي نجوى، ولذا قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[1]، ولو كان في الأرض كما ادعيتم، بجنب كل ذي نجوى، ما كان يعجب أن ينبئهم بما عملوا يوم القيامة، فلو كنا نحن بتلك المنزلة منهم لنبأنا كل عامل منهم بما عمل وقال، وناجى به أصحابه، فما فضل علام الغيوب على المخلوق، الذي لا يعلم الغيب، في دعواك؟»[2].

فهو سبحانه وتعالى مع كل ذي نجوى، يعلم ويبصر ويسمع، لا يخفى عليه منهم خافية، ولا يحجبهم عنه شيء، وعلمه بهم محيط، وبصره فيهم نافذ، وهو سبحانه بكماله فوق عرشه، وهو كذلك معهم، رابعهم وخامسهم وسادسهم، يعلم ما عملوا من شيء، ثم يثيبهم ويجازيهم عليه، كذلك هو مع كل ذي نجوى، بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته، لا كما ادعى أصحاب الحلول، أنه مع كل أحد بذاته[3].

ويرد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت٢٧٦هـ على استدلالهم بالآية السابقة ناقضاً قولهم، فيقول: ونحن نقول في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٣.

(٢) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علي بشر المريسي العنيد ص٨٠.

(٣) انظر المصدر السابق ص٧٩، ٨٠.

نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾: إنه معهم بالعلم، بما هو عليه، كما تقول للرجل وجّهته إلى بلد شاسع، ووكّلته بأمر من أمورك: احذر التقصير والإغفال لشيء مما تقدمت فيه إليك، فإني معك، تريد أنه لا يخفى علي تقصيرك أو جدّك؛ للإشراف عليك والبحث عن أمورك، وإذا جاز هذا في المخلوق الذي لا يعلم الغيب، فهو في الخالق الذي يعلم الغيب لأجوز، وكذلك هو... لا يخفى عليه شيء مما في الأماكن، فهو معها بالعلم بها والإحاطة.

وكيف يسوغ لأحد أن يقول: إنه بكل مكان على الحلول، مع قوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1]، أي: استقر؟، ومع قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[2]، وكيف يصعد إليه شيء هو معه، أو يرفع إليه عمل وهو عنده؟، وكيف تعرج الملائكة والروح إليه؟.

ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم، وما ركّبت عليه خلقتهم، من معرفة الخالق سبحانه، لعلموا أن الله تعالى هو العلي، وهو الأعلى، وهو بالمكان الرفيع، وأن القلوب عند الذكر تسمو نحوه، والأيدي ترفع بالدعاء إليه، ومن العلو يرجى الفرج، ويتوقع النصر، وينزل الرزق، والأمم كلها،

---

(١) سورة طه، الآية ٥.

(٢) سورة فاطر، الآية ١٠.

عربيها وعجميها تقول: إن الله تعالى في السماء، ما تركت على فطرها، ولم تنقل عن ذلك بالتعليم[١].

وينقض أبو بكر الآجري ت٣٦٠هـ استدلال الجهمية، فيقول: «فإن قال قائل: فأيش معنى قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ الآية، التي بها يحتجون؟

قيل له: علمه عز وجل، والله عز وجل على عرشه، وعلمه محيط بهم، وبكل شيء من خلقه، كذا فسره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم.

فإن قال قائل: كيف؟

قيل: قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى آخر الآية، قوله: ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾، فابتدأ الله عز وجل الآية بالعلم، وختمها بالعلم، فعلمه عز وجل محيط بجميع خلقه، وهو على عرشه، وهذا قول المسلمين[٢]، ثم ذكر بسنده عن طائفة من السلف يقررون ما ذكره من تفسير المعية في الآية بالعلم[٣].

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص١٨١، ١٨٢، بتصرف يسير.

(٢) الشريعة ص٢٨٨.

(٣) انظر المصدر السابق ص٢٨٩.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس معنى قوله ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ أنه مختلط بالخلق؛ فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله، من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر، وغير المسافر، أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه مهيمن عليهم، مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه، من أنه فوق العرش، وأنه معنا، حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة »[(١)].

وقال ابن عبد البر ت٤٦٣هـ: «علماء الصحابة والتابعين، الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله»[(٢)].

وفي هذه الآية قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾، فجعل سبحانه نفسه رابع الثلاثة وسادس الخمسة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣/ ١٤٢، ١٤٣، وانظر ص٢٦٠-٢٦٤، و٥/ ٢٢٩.

(٢) التمهيد ٧/ ١٣٨، ١٣٩، وانظر الصواعق المرسلة ٤/ ١٢٨٨، ١٢٨٩، واجتماع الجيوش الإسلامية ص١٤٧.

إشارة إلى أنه سبحان وتعالى غيرهم، لا يجتمعون معه في جنس ولا فصل، بينما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[1]، لأنهم ساووا بينه وبين الاثنين في الإلهية، والعرب تقول ثالث ثلاثة ورابع أربعة وخامس خمسة لما يكون فيه المضاف إليه من جنس المضاف، كما قال تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾[2]، فإن كان من غير جنس قالوا: رابع ثلاثة، وخامس أربعة، وسادس خمسة، ومنه الخبر في الآية، مما يدل على أن المعية معية علم وتدبير وإحاطة، ولا تقتضي مجانسة ولا مخالطة ولا حلولاً[3].

يقول ابن كثير في تفسير الآية: «أي مطلع عليهم، يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله به، وسمعه له، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[5]، ولهذا حكى غير واحد الإجماع على

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٦٧، وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١٢٢، ١٢٣.

(٤) سورة التوبة، الآية ٧٨.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٨٠.

أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم محيط بهم ، وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه ولا يغيب عنه من أمورهم شيء ، ثم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١] ، قال الإمام أحمد : افتتح الآية بالعلم ، واختتمها بالعلم »[٢].

* * *

(١) سورة المجادلة ، الآية ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٩١ ، وانظر قول الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٨ .

المطلب الثالث

استدلالهم بأدلة القرب

استدل أصحاب الحلول بأدلة القرب، في مثل قول الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[(١)]، وقول الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[(٢)]، وقول الله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[(٣)].

كما استدلوا بقوله ﷺ لمن كان معه في سفر، عندما ارتفعت أصواتهم بالتكبير: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[(٤)].

زعم أصحاب الحلول بأن الله تعالى حال في خلقه، وأنه مخالط لهم، واستدلوا بتلك النصوص وغيرها، بل زعم بعضهم بأن الله عز وجل في حبل الوريد، كما هو في سائر الأعيان، فهو ممتزج بالخلق، غير مباين لهم[(٥)].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٢) سورة ق، الآية ١٦.

(٣) سورة الواقعة، الآيات ٨٣-٨٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ح ٢٧٠٤.

(٥) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١٢٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٢٢٨، ٢٢٩، ٥٠١.

* النقض :

آيات القرب التي استدل بها أصحاب الحلول ، وكذا الحديث ، كل هذه النصوص الشرعية لا تدل على ما أراده أولئك الحلولية ، ولم يقل به أحد من أهل العلم ، وإنما هو من باب تحريف النصوص بما يسمونه تأويلاً.

وبيان ذلك أن «القرب» في الكتاب والسنة واللغة ، لا يأتي على جهة العموم كلفظ المعية ، ولا يدل لفظ القرب على قرب إحدى الذاتين من الأخرى ، ولا اختلاطها بها ؛ ولهذا جاء لفظ المعية مع علوه على العرش ، فهو على عرشه ويعلم كل شيء ، كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١] ، ولم يأت في لفظ القرب مثل ذلك: أنه قال: هو فوق عرشه ، وهو قريب من كل شيء ، بل قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢] ، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٣] ، وكذلك قوله ﷺ: « **إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعونه سميع قريب** »[٤] ، ولا يقال في هذا: قريب بعلمه وقدرته؛

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٤.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٥٦.

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٨٦.

(٤) سبق تخريجه قبل قليل.

فإنه عالم بكل شيء ، قادر على كل شيء ، وهم لم يشكوا في ذلك ولم يسألوا عنه ، وإنما سألوا عن قربه إلى من يدعوه ويناجيه ، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ فإن المراد: بملائكتنا في الآيتين، وهذا بخلاف لفظ المعية؛ فإنه لم يقل: ونحن معه ، بل جعل نفسه هو الذي مع العباد ، وأخبر أنه ينبئهم يوم القيامة بما عملوا ، وهو نفسه الذي خلق السماوات والأرض ، وهو نفسه الذي استوى على العرش ، فلا يجعل لفظ مثل لفظ ، مع تفريق القرآن بينهما ، فإن تفسير قربه بالعلم والقدرة قاله جماعة من العلماء لظنهم أن القرب في الآية هو قربه وحده ، ففسروها بالعلم ، لما رأوا ذلك عاماً قالوا: هو قريب من كل موجود بمعنى العلم ، وهذا لا يحتاج إليه ، فإن قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ لا يجوز أن يراد به مجرد العلم؛ فإن من كان بالشيء أعلم من غيره لا يقال: أنه أقرب إليه من غيره لمجرد علمه به ، ولا لمجرد قدرته عليه ، وكذلك فإنه سبحانه وتعالى عالم بما يسر من القول وما يجهر به ، وعالم بأعماله ، فلا معنى لتخصيص حبل الوريد بمعنى أنه أقرب إلى العبد منه ، فإن حبل الوريد قريب إلى القلب ليس قريباً إلى قوله الظاهر ، وهو يعلم ظاهر الإنسان وباطنه[1].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٤٤٩ – ٥٠٤ بتصرف.

وقد فسر بعض أهل العلم القرب بالعلم[١]، وإنما فسروه بذلك رداً على الحلولية الذين فسروا القرب بحلول الله بذاته في عباده، ومن ثم استدلوا بنصوص القرب على عقيدتهم الحلولية الباطلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – بعد أن ذكر تفسير بعض العلماء للقرب بالعلم -: «وهؤلاء كلهم مقصودهم أنه ليس المراد أن ذات الباري جل وعلا قريبة من وريد العبد ومن الميت، ولما ظنوا أن المراد قربه وحده دون قرب الملائكة فسروا ذلك بالعلم والقدرة كما في لفظ المعية، ولا حاجة إلى هذا»[٢].

ويقول ابن كثير ت٧٧٤هـ: «وقوله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم، فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه؛ فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ يعني ملائكته، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣]،

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٤٤٩-٥٠٣، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٦٦١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٢٠٥.

(٣) سورة الحجر، الآية ٩.

فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله عز وجل ، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله جلا وعلا لهم على ذلك»[١].

فالقول بأن المراد بالقرب العلم ، قول ضعيف؛ فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود ، حتى يحتاجوا أن يقولوا بالعلم والقدرة والرؤية ، ولكن لما ظن بعض الناس أن الله يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء ، قادر على كل شيء[٢].

قال أبو جعفر الطبري ت٣١٠هـ: «يقول: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ ، يقول: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون»[٣].

«ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم ، أنه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[٤]، فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال الله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ، فأثبت العلم، وأثبت القرب، وجعلهما شيئين،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٦٦١.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٤٩٤ ، ومختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٦٨.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٢٧/ ١٢١.

(٤) سورة ق ، الآيتان ١٦ ، ١٧.

فلا يجعل أحدهما هو الآخر ، وقيد القرب بقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.. »[(١)].

«وأما من ظن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد ، أو أن ذاته أقرب إلى الميت من أهله ، فهذا في غاية الضعف ، وذلك أن الذين يقولون: إنه في كل مكان ، أو أنه قريب من كل شيء بذاته ، لا يخصون بذلك شيئاً دون شيء ، ولا يمكن مسلماً أن يقول: إن الله قريب من الميت دون أهله ، ولا إنه قريب من حبل الوريد ، دون سائر الأعضاء ، وكيف يصح هذا الكلام على أصلهم ، وهو عندهم في جميع بدن الإنسان ، أو قريب من جميع بدن الإنسان ، أو هو في أهل الميت كما هو في الميت ، فكيف يقول: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾[(٢)] ، إذا كان معه ومعهم على وجه واحد؟ وهل يكون أقرب إلى نفسه من نفسه؟

وسياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة؛ فإنه قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[(٣)] ، فقيد القرب بهذا الزمان ، وهو زمان تلقي المتلقيين ،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٥٠٤ ، وانظر مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٦٨ ، ٢٦٩.

(٢) سورة الواقعة ، الآية ٨٥.

(٣) سورة ق ، الآيات ١٦-١٨.

قعيد عن اليمين ، وقعيد عن الشمال ، وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾، ومعلوم أنه لو كان المراد قرب ذات الرب لم يختص ذلك بهذه الحال ، ولم يكن لذكر القعيدين والرقيب والعتيد معنى مناسب.

وكذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[١]، فلو أراد قرب ذاته لم يخص ذلك بهذه الحال ولا قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ ؛ فإن هذا إنما يقال إذا كان هناك من يجوز أن يبصر في بعض الأحوال ولكن نحن لا نبصره ، والرب تعالى لا يراه في هذه الحال ، لا الملائكة ولا البشر.

وأيضاً فإنه قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ ، فأخبر عمن هو أقرب إلى المحتضر من الناس الذين عنده في هذه الحال ، وذات الرب سبحان وتعالى إذا قيل: هي في مكان ، أو قيل: قريبة من كل موجود ، لا يختص بهذا الزمان والمكان والأحوال، ولا يكون أقرب إلى شيء من شيء»[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ لا يجوز أن يراد به قرب الرب الخاص ، كما في قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾؛ فإن هذا

---

(١) سورة الواقعة ، الآيات ٨٣-٨٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٥٠٥ ، ٥٠٦.

إنما هو قربه سبحانه إلى من دعاه أو عبده ، وذاك المحتضر قد يكون كافراً مكذباً ، ومثل المكذب لا يخصه الرب بقربه منه ، دون من حوله ، وقد يكون حوله قوم مؤمنون ، وإنما المراد بقوله ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن والكافر ، ومما يدل على ذلك أنه جاء بصيغة الجمع في الآية السابقة ، وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾، فمثل هذا الجمع الذي تكرر في آيات كثيرة إذا ذكره الله تعالى في كتابه دل على أن المراد أنه سبحانه يفعل ذلك بجنوده وأعوانه من الملائكة ، وقرب الملائكة من ابن آدم مما تواترت به الآثار ، سواء كان العبد مؤمناً أو كافراً.

نخلص من هذا إلى أن قرب الله لا يأتي إلا خاصاً ، فهو قريب من داعيه وسائليه وعابديه كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فهنا هو سبحانه وتعالى القريب لا الملائكة ، وكذلك قوله ﷺ: « **إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** » .

ولا يأتي قرب الله عاماً من كل أحد ، وما ورد من النصوص في القرب العام إنما يراد به قرب الملائكة.

وأما أن تكون ذات الرب في قلب كل أحد ، كافر أو مؤمن ، كما تقوله الحلولية ، فهذا باطل ، لم يقله أحد من سلف الأمة ، ولا نطق به كتاب ولا سنة، ولا يدل عليه عقل ولا فطرة، بل هذه الأدلة تناقض الحلول وتبطله[(١)].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٥٠٦-٥٠٩ ، ٢٣٢ - ٢٣٣.

والعجيب كيف يستدلون بقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ وغيرهما من نصوص «القرب» على عقيدتهم الحلولية ، فإن في ظاهر التلاوة على دعواهم نفي الحلول ، لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء[١].

وما ذكر في الكتاب والسنة من قرب الله ومعيته لا ينافي ما ذكر فيهما من علوه وفوقيته ، واستوائه على عرشه؛ فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع صفاته ، وهو عليّ في دنوه وقربه ، قريب في علوه واستوائه على عرشه[٢].

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «ففي الجملة: ما نطق به الكتاب والسنة ، من قرب الرب من عابديه وداعيه ، هو مقيد مخصوص ، لا مطلق عام لجميع الخلق ، فبطل قول الحلولية، كما قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ فهذا قربه من داعيه ، وأما قربه من عابديه ففي مثل قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[٣]... »[٤].

ويقول ابن القيم: «إن قرب الرب تعالى إنما ورد خاصاً ، لا عاماً ، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة ، ومن مطيعه بالإثابة ، ولم يجيء القرب ،

---

(١) انظر المصدر السابق ٥/ ٧٠.

(٢) انظر المصدر السابق ٣/ ١٤٣ ، وانظر رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٨٠.

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٥٧.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٢٤٧.

كما جاءت المعية خاصة وعامة ، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد ، وأنه قريب من الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصاً»[١].

وقال في موضع آخر: «وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص ، من عابديه وسائليه وداعيه ، وهو من ثمرة التعبد باسمه (الباطن)، قال الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فهذا قربه من داعيه ، وقال الله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٢] فذكّر الخبر ، وهو قريب ، عن لفظ الرحمة ، وهي مؤنثة ، إيذاناً بقربه تعالى من المحسنين ، فكأنه قال: إن الله برحمته قريب من المحسنين ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد** »[٣]، « **وأقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل** »[٤] فهذا قرب خاص ، غير قرب الإحاطة ، وقرب البطون ، وفي الصحيح ، من حديث أبي موسى

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٦٩.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٥٦.

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ح ٤٨٢.

(٤) أخرجه النسائي ، كتاب المواقيت ، باب النهي عن الصلاة بعد العصر ح ٥٧١ ، وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب ١١٩ ، ح ٣٥٧٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٤٧٠.

أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر فارتفعت أصواتهم بالتكبير ، فقال: « **أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إن الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** »[١] ، فهذا قربه من داعيه وذاكره ، يعني فأي حاجة بكم إلى رفع الأصوات ، وهو لقربه يسمعها وإن خفضته ، كما يسمعها إذا رفعت؛ فإنه سميع قريب ، وهذا القرب هو من لوازم المحبة ، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر...؛ فإذا لم يكن عنده معرفة صحيحة بالله ، وما يجب له ، وما يستحيل عليه ، وإلا طرق باب الحلول ، إن لم يلجه »[٢].

وبهذا يتبين أنه لا وجه لاستدلال أصحاب الحلول بأدلة القرب ، على عقيدتهم ، لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما هو عن هوى واتباع للملل المنحرفة والنحل الضالة.

* * *

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص٢٤-٢٦.

المطلب الرابع

استدلالهم بآيات إتيان الرب تعالى ومجيئه

استدل أصحاب الحلول على عقيدتهم بآيات الإتيان والمجيء، في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٣].

زعم أصحاب الحلول أن هذه الآيات تدل على عقيدتهم الحلولية، فقالوا بأن الإله يتدرع بالجسد الجسماني، ثم يأتي ويجيء، ولذا قالوا بأن الذي يأتي في ظلل من الغمام، ويجيء هو والملك صفاً صفاً، وكذا في قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾، هو المسيح عيسى بن مريم، الذي يتدرع فيه الإله، فيصبح إلهاً يدبر الأمر، ويقضي بين الخلق[٤]، وهذا بلا شك مشابه لقول النصارى وموافق له.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٨.

(٣) سورة الفجر، الآية ٢٢.

(٤) انظر البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٥٩، ٦٠، والملل والنحل ١/ ٥١، وخبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان ص١٩.

وقال بعض أصحاب الحلول ، كالبيانية والسبئية والنصيرية ومن سار على نهجهم من الروافض، بأن المراد بتلك الآيات هو علي بن أبي طالب، فهو الذي يأتي في ظلل من الغمام ، وهو الذي يجيء والملك صفاً صفاً ، حتى قال بعضهم بأن الرعد صوته والبرق تبسمه[١].

وقال البهائيون ، من الحلولية ، بأن الله تعالى يظهر نفسه بحلوله في سبعين هيكلاً ، وهو معنى قوله جل وعلا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ، قالوا: فأعظم هياكله وبيوته ، وأجلها الأنبياء والأئمة ، فهو يتجلى في من يشاء منهم.

وقالوا بأن الآية تدل على «ظهور الجمال الإلهي الأزلي خاضعاً للحدودات البشرية ، في هياكل كثيرة ، وفي كل هيكل تتجسد فيه ، تتخذ لها منه اسماً خاصاً ، فكان من أسمائها ، مثلاً: نوح ، وموسى ، وهكذا ، حتى البهاء حسين علي نوري (ت١٣٠٩هـ) ، الذي يعد مظهراً من مظاهر التجسدات الإلهية » ، هكذا فسروا الآية ، بأن معناها مجيء الله وإتيانه في الدنيا إلى الناس في أجساد بشرية[٢] ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

---

(١) انظر الملل والنحل ١/ ١٢٢ ، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٥١ ، ١١٢ ، والمقالات والفرق ص٦٩ ، ٧٠.

(٢) انظر البابية عرض ونقد ص١٤٩ ، والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٩٠ - ١٩١.

* النقض :

استدلال الحلولية على عقيدتهم بهذه الآيات استدلال باطل ، بعيد كل البعد عن المعنى الصحيح لها؛ فإن هذه الآيات تدل على صفتي المجيء والإتيان، وهما من صفات الله تعالى الاختيارية ، التي يفعلها بمشيئته واختياره، وهما من جملة صفات الله التي نؤمن بها ، وتمرها كما جاءت بلا كيف ، وهما صفتان تدلان على إتيان الله ومجيئه يوم القيامة ، وقد ذكر حرب الكرماني ت٢٨٠هـ أنه أدرك على هذا كل من أخذ عنه العلم في البلدان[1] .

وقد دلت السنة على ما جاء في القرآن الكريم ، فقد قال رسول ﷺ : « **يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه** » إلى قوله: « **وتبقى هذه الأمة ، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله عز وجل ، فيقول: أنا ربكم ، فيقولون: أنت ربنا ، فيتبعونه** »[2] .

ولم يتأول الصحابة ولا التابعون شيئاً من ذلك ، ولا أخرجوه من مدلوله، بل روي عنهم ما يدل على تقريره والإيمان به ، وإقراره كما جاء.

---

(١) انظر الإبانة عن أصول الديانة ص٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ح٧٤٣٧ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ح١٨٢.

وأهل العلم بالكتاب والآثار، من السلف والخلف، يثبتون جميع ما ثبت لله من الصفات كالمجيء والإتيان، وغيرهما، ويؤمنون به بلا كيف، ولا توهم، ويمرون الأحاديث الصحيحة كما جاءت عن رسول الله ﷺ [١].

والإتيان والمجيء نوعان:

النوع الأول: المجيء والإتيان المطلق، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وهذا لا يكون إلا مجيئه سبحان وتعالى، هذا إذا كان مطلقاً، فكيف إذا قيد بما يجعله صريحاً في مجيئه نفسه، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ فعطف مجيئه على مجيء الملائكة، ثم عطف مجيء آياته على مجيئه.

النوع الثاني: المجيء والإتيان المقيد، فإنه إذا كان المراد مجيء رحمته أو عذابه، كان مقيداً، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٢]، وقوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾[٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[٤]، فلما قيده بالمفعول وهو البنيان، وبالمجرور

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٢٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٧١.

(٤) سورة النحل، الآية ٢٦.

وهو القواعد دل ذلك على مجيء ما بينه ، إذ من المعلوم أن الله عز وجل إذا جاء بنفسه ، لا يجيء من أساس الحيطان وأسفلها[١].

ولا يلزم من المجيء والإتيان الملاصقة والمخالطة؛ إذ لا تناقض بين نزوله وإتيانه ومجيئه ، وبين علوه وفوقيته واستوائه على عرشه[٢].

يقول أبو القاسم الأصبهاني ت٥٣٥هـ: «ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحان وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ولا تكييف ، بل يثبتون له ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكلون علمه إلى الله عز وجل ، وكذلك يثبتون ما أنزله عز اسمه في كتابه من ذكر المجيء والإتيان ، المذكورين في قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وقوله عز اسمه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾...»[٣]. ونسب هذا القول إلى أبي عثمان الصابوني ت٤٤٧هـ[٤].

وقال الأصبهاني في موضع آخر: «وجميع آيات الصفات ، التي في القرآن والأخبار الصحاح في الصفات ، التي نقلها أهل الحديث ، واجب

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٢٦ ، ٢٢٧.

(٢) انظر المصدر السابق ٢/ ٢٢٧ ، ٢٢٨.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/ ١٢٣ ، ١٢٤.

(٤) وهو في كتابه عقيدة السلف وأصحابه الحديث ص٢٦ ، ٢٧.

على جميع المسلمين أن يؤمنوا بها، ويسلموها، ويتركوا السؤال فيه وعنه؛ لأن السؤال في غوامضها بدعة، وذلك قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[1]، ومثل النفس، واليدين، والسمع، والبصر، والكلام...، وغير ذلك مما ذكر الله من صفاته في كتابه، وما ذكره رسول الله ﷺ في أخباره...، فعلى العبد أن يؤمن بجميع ذلك، ولا يؤوله تأويل المخالفين، ولا يمثله تمثيل الممثلين، ولا يزيد فيه، ولا ينقص عنه، ولا يفسر منه إلا ما فسره السلف، ويمره على ما أمروا، ويقف حيث وقفوا، لا يقول: كيف، ولم؟ يقبل ما قبلوه، ولا يتصرف فيه تصرف المعتزلة والجهمية، هذا مذهب أهل السنة، وما وراء ذلك بدعة وفتنة، ثبتنا الله على الطريقة المستقيمة بمنه وفضله»[2].

وبعد أن ساق الدارمي ت٢٨٠هـ الأدلة على صفات المجيء والإتيان والنزول، للرب سبحان وتعالى قال: «فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد،

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٧.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٤٦٨ - ٤٧٠، وانظر ص١١٢، ١١٣، ١٢٥، ١٢٦.

ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة [يعني الجهمية] فعارضت آثار رسول الله ﷺ برد، وتشمروا لدفعها بجد، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نكلّف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته، كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل، وهم يسألون؛ لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله تعالى عليه: كيف يصنع؟ وكيف قدر؟ »[١].

والشاهد من هذا الكلام أن الموصوف بأنه ينزل، وأنه يجيء ويأتي، في الآيات والأحاديث الدالة على ذلك إنما هو الله سبحان وتعالى، هذا هو ظاهر النصوص الشرعية، وهي من صفات الكمال لله جل وعلا، «فأما مجيئه يوم القيامة، وإتيانه في ظلل من الغمام والملائكة، فلا اختلاف بين الأمة أنه إنما يأتيهم يومئذ كذلك لمحاسبتهم، وليصدع بين خلقه، ويقررهم بأعمالهم، ويجزيهم بها، ولينصف المظلوم من الظالم، لا يتولى ذلك أحد غيره تبارك اسمه وتعالى جده، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بيوم الحساب »[٢]، ولم يخالف في إتيان صفتي المجيء والإتيان لله تعالى

---

(١) الرد على الجهمية ص٤٦.

(٢) المصدر السابق ص٤٧.

حقيقة إلا الجهمية ، الذين حرفوا النصوص إلى مجيء وإتيان أمر الله ، وفي هذا مخالفة صريحة لنصوص القرآن والسنة ، ولكن لم يزعم أن المجيء والإتيان يراد بهما إتيان المسيح عيسى بن مريم ، أو غيره من البشر ، إلا الحلولية الذين قلدوا النصارى في عقيدتهم.

ومما يرد به على استدلال الحلولية بآيات الإتيان والمجيء ، ودعواهم إضمار إتيان ومجيء غير الله تعالى ، أن يقال لهم: إن إضماركم باطل من وجوه:

أحدهما: أنه إضمار ما لا يدل اللفظ عليه ، بمطابقة ، ولا تضمن ، ولا لزوم، وادعاء حذف ما لا دليل عليه ، وهذا يرفع الوثوق من الخطاب ، ويضعف تعظيمه والتسليم له ، ويعطي كل مبطل الجرأة على ادعاء ما يصحح باطله.

الثاني: أن الإضمار خلاف الأصل فلا يجوز؛ فإن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف ، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى ، بدون إضمار.

الثالث: أن قولهم بوجود مضمر في الآيات ، وتعيينه بأحد الخلق ، قول على المتكلم بلا علم ، وإخبار عنه بإرادة ما لم يقم به دليل على إرادته ، وذلك كذب عليه؛ إذ ليس في الآيات دليل ولا قرينة ، لا من قريب ولا من بعيد تدل على دعواهم.

الرابع: أن في سياق الآيات ما يبطل تقديرهم وإضمارهم ، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ فعطف مجيء الملك على مجيئه سبحان وتعالى يدل

على تغاير المجيئين، وأن مجيئه عز وجل حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الله جل وعلا أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ ففرق بين إتيان الملائكة، وإتيان الرب، وإتيان بعض آيات ربك، فقسّم ونوّع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً، ولهذا منع عقلاء الفلاسفة حمل مثل هذا اللفظ على مجازه، وقالوا: يأباه التقسيم والترديد والاطراد.

الخامس: أنه لو صرح بهذا المحذوف المقدر -على حد زعمهم- لم يحسن، وكان كلاماً ركيكاً، يدل على بطلانه، فإنه لو قال: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي عيسى بن مريم، أو نوح، أو علي، أو البهاء، أو يأتي بعض آيات ربك، كان كلاماً مستهجناً.

السادس: أن اطراد نسبة المجيء والإتيان إليه سبحان وتعالى دليل الحقيقة، وقد صرح المخالفون بأن من علامات الحقيقة الاطراد، فكيف كان هذا المطرد مجازاً، أو خلاف الحقيقة.

السابع: أن الأصل حمل النصوص على الحقيقة، وهو إتيان الله تعالى ومجيئه حقيقة، والإضمار، ومثله المجاز لو كان ثابتاً؛ فإنما يصار إليه عند تعذر الحمل على الحقيقة، فما الذي أحال ذلك على حقيقته، بل إن النقل والعقل والاتفاق، كل ذلك يلزم الحمل على الحقيقة.

الثامن: أنه لو كان المراد بإتيان الرب: أحد الخلق ، لكان داخلاً في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

التاسع: أنه ليس في ظاهر الآيات ما يقتضي قولهم، ولا ما يدل عليه[1].

هذه الردود مستفادة من الرد على من يضمر إتيان أمر الرب ، ومجيء حكمه ، ونحو ذلك ، وهم الجهمية وأمثالهم ، فيكون الرد بها على الذين زعموا أن المضمر هو أحد الخلق ، كالحلولية ، أولى وأقرب؛ إذ هم أبعد في الضلال.

* * *

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ١٠٦، ١٠٩.

المطلب الخامس

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾[(١)]

قال أصحاب الحلول بأن المسيح عيسى بن مريم خالق مع الله تعالى ، بنص هذه الآية ، و في هذا دلالة على أنه إله ، أو قد حل فيه الإله ، أو يحل فيه عند الخلق والإيجاد والنفخ ، ونحو ذلك مما يقوم به المسيح من أعمال الربوبية ، كما زعموا؛ ولهذا قالوا بأن للعالم إلهين: قديم ، وهو الله سبحانه وتعالى ، و محدث وهو المسيح عليه السلام[(٢)].

* النقض :

استدلال أصحاب الحلول بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾[(٣)] على أن المسيح عيسى بن مريم خالق مع الله تعالى ، استدلال باطل؛ إذ أن المراد بأن الله تعالى كلف المسيح بذلك وصيّره مطيقاً له ، حيث خلق فيه القدرة على إحياء الموتى ، علماً بأن المحيي هو الله سبحان وتعالى ، ولهذا قال تعالى: ﴿فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾[(٤)] ، وهو تكليف خاص لإظهار صدق المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، فهذا معجزة له وآية أيده الله بها.

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١١٠.

(٢) انظر معجم الفرق الإسلامية ص٨٩ ، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٨٩.

(٣) سورة المائدة ، الآية ١١٠.

(٤) سورة المائدة ، الآية ١١٠.

قال أبو القاسم الأصبهاني ت٥٣٥هـ: «قال العلماء: لم يبعث الله عز وجل نبياً إلا ومعه معجزة تدل على صدق قوله، من جنس ما قومه عليه، فعيسى عليه السلام بعث في زمان الحكماء والأطباء، وكانت معجزته إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، فلما عجزوا عن هذه الحكمة، مع كونهم حكماء، استدلوا على أنه رسول الله»[1].

وكل ذلك بإذن الله وإرادته سبحان وتعالى، قال الله: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾[2]، وقال تعالى إخباراً عن عيسى بن مريم أنه قال: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3].

قال ابن كثير في تفسير آية آل عمران: «وكذلك كان يفعل، يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه، فيطير عياناً، بإذن الله، الذي جعل هذا معجزة له تدل على أن الله أرسله، ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾...﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾... و﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار، انقادوا للإسلام...، وأما

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/ ١٩٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

عيسى عليه السلام ، فبعث في زمن الأطباء ، وأصحاب علم الطبيعة ، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه والأبرص ، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد ، وكذلك محمد ﷺ، بعثه في زمان الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل ، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله ، لم يستطيعوا أبداً ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وما ذاك إلا لأن كلام الرب عز وجل ، لا يشبهه كلام الخلق أبداً »[1].

فالله سبحان وتعالى يذكر بأنه أيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بالآيات الخارقة للعادة ، مبينا سبحانه وتعالى بأنها لا تتم إلا بإذن الله جل وعلا ، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٠٢.

(٢) سورة المائدة ، الآيتان ١١٠ ، ١١١.

فبعد ذكر هذه الآيات التي يفعلها عيسى بن مريم بإذن الله تعالى ، يبين جل وعلا أنه رسول أرسله الله بهذه البينات لهداية قومه وأنه عليه السلام لا يملك من خصائص الربوبية شيئاً ، فقال الكفار من قومه بأنه ساحر ، وقال الحلولية من بعدهم بأنه ابن الله ، أو أن الله حل فيه ، ونحو ذلك من أقاويلهم الباطلة.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية ، من سورة المائدة: «يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام مما أجراه على يديه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات ، فقال: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ أي في خلقي إياك من أم بلا ذكر ، وجعلي إياك آية ، ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء ، ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾.. ، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ وهو جبريل عليه السلام ، وجعلتك نبياً ، داعياً إلى الله في صغرك وكبرك ، فأنطقتك في المهد صغيراً ، فشهدت ببراءة أمك من كل عيب ، واعترفت لي بالعبودية ، وأخبرت عن رسالتي إياك ، ودعوت إلى عبادتي... ، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ أي تصوره وتشكله على هيئة الطائر؛ بإذني لك في ذلك ، فيكون طائراً بإذني ، أي فتنفخ في تلك الصورة التي شكلتها بإذني لك في ذلك ، فتكون طيراً ذا روح تطير بإذن الله وخلقه.. »[1].

فهذه الآيات الخارقة للعادة ، التي منّ الله بها على عبده ورسوله عيسى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٨٣.

ابن مريم عليه السلام ، هي من ضمن الآيات التي يؤيد الله بها أنبياءه ، ولهذا فإن المسيح لا يستطيع أن يفعل تلك الأعمال إلا بإذن الله تعالى كما هو صريح الآية ، فلم يخلق من الطين كهيئة الطير إلا بإذن الله تعالى ، ولم يكن خيراً إلا بإذنه عز وجل ، وبالتالي نعلم أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لا يملك من خصائص الربوبية والألوهية شيئاً.

* * *

المطلب السادس

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾[(١)]

قالت الحلولية بأن هذه الآية تدل على أن الله موجود في السماوات، وموجود في الأرض، وتحت الأرض، وفي كل مكان؛ إذ لا يخلو منه مكان، فاستدلت طوائف الحلولية بهذه الآية، لينفوا بها علو الله على العرش، ويثبتوا بها مع ذلك الحلول والاتحاد وعدم مباينته سبحانه وتعالى للمخلوقات[(٢)].

يقول أبو بكر الآجريّ ت٣٦٠هـ: «ومما يلبسون به على من لا علم معه، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾..»[(٣)].

* النقض:

الآية بتمامها هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾، ولا تدل الآية على الحلول بأي وجه من

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٣.

(٢) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٥، والإبانة عن أصول الديانة ٢/ ٨٦ (٣١٧) ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ١٧٥، و مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ١٧٢، واجتماع الجيوش الإسلامية ص١٧٤، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٩٥.

(٣) الشريعة ص٢٩٦.

الوجوه ، ولم يقل به أحد من أهل العلم ، لا من المفسرين ، ولا من غيرهم ، ولا تخرج أقوالهم فيها عن ثلاثة أوجه تحتملها الآية ، ولا تحتمل غيرها ، وكل وجه منها له ما يدل عليه ، وليس فيها ما يدل على الحلول ، ولا ما يقارب ألبتة ، وهذه الأوجه هي:

الأول : أن معناها : وهو الإله المعبود في السماوات ، والمعبود في الأرض ، لأنه سبحانه وتعالى هو المعبود وحده بحق في السماوات وفي الأرض ، أي يعبده أهل السماوات وأهل الأرض ، وعلى هذا التفسير تكون جملة (يعلم) حال ، أو خبر.

ويشهد لهذا التفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[١] ، أي هو المعبود في السماء والأرض بحق.

وهذا الوجه في تفسيرها أظهر الأقوال وأقربها[٢].

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلق بقوله ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فيكون معناها: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض[٣].

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٨٤.

(٢) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٧ ، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ١٨٢.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٤١ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

ويشهد لهذا التفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١].

الثالث: أن الوقف تام على قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وقوله ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلق بما بعده، فيكون المعنى: وهو الله في السماوات، وفي الأرض يعلم سركم وجهركم، وتوضيح ذلك على هذا الوجه أن تفسير الآية: أنه عز وجل مستو على عرشه، فوق جميع خلقه، مع أنه يعلم سر أهل الأرض وجهرهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك[٢].

ويشهد لهذا التفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [٣]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [٤]، مع قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

هذه هي الأقوال في تفسير الآية، وهي أقوال متقاربة، ولعله يمكن الجمع بينها، فالله سبحان وتعالى هو المعبود في السماوات والمعبود في الأرض، بحق، وهو عز وجل يعلم السر والجهر، وهو بكل شيء عليم، وهو سبحانه مستو على عرشه، عال على خلقه، بائن منهم.

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٦.

(٢) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٩٥.

(٣) سورة الملك، الآية ١٦.

(٤) سورة طه، الآية ٥.

فالآية ترد على أصحاب الحلول ، وتناقض عقيدتهم الحلولية ، قال محمد الأمين الشنقيطي ت١٣٩٣هـ: «واعلم أن ما يزعمه الجهمية من أن الله تعالى في كل مكان ، مستدلين بهذه الآية على أنه في الأرض: ضلال مبين ، وجهل بالله تعالى؛ لأن جميع الأمكنة الموجودة أحقر وأصغر من أن يحل في شيء منها رب السماوات والأرض ، الذي هو أعظم من كل شيء ، وأعلى من كل شيء ، محيط بكل شيء ، ولا يحيطه شيء ، فالسماوات والأرض في يده جل وعلا أصغر من حبة خردل في يد أحدنا ، وله المثل الأعلى، فلو كانت حبة خردل في يد رجل فهل يمكن أن يقال: إنه حال فيها، أو في كل جزء من أجزائها ، لا وكلا ، هي أصغر وأحقر من ذلك ، فإذا علمت ذلك ، فاعلم أن رب السماوات والأرض أكبر من كل شيء ، وأعظم من كل شيء ، محيط بكل شيء ، ولا يحيط به شيء ، ولا يكون فوقه شيء ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) ، سبحانه وتعالى علواً كبيراً ، لا نحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ (٢)،... » (٣).

---

(١) سورة سبأ ، الآية ٣.

(٢) سورة طه ، الآية ١١٠.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ١٨٢ ، ١٨٣.

ويقول الإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ في تفسير هذه الآية ، في معرض رده على الحلولية من الجهمية بأن معنى الآية: «هو إله من في السماوات ، وإله من في الأرض ، وهو على العرش ، وقد أحاط علمه بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان ، فذلك قوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾...[1] »[2].

وواضح أن هذا التفسير يتوافق مع القول الأول من الأقوال الثلاثة آنفة الذكر في تفسير الآية.

ثم ضرب رحمه الله مثلين يوضح فيهما أن الله مع كونه محيطاً بكل شيء علماً ، مع علّوه سبحان وتعالى واستوائه على عرشه ، فإن ذلك لا يقتضي حلولاً ولا مخالطة ، فقال: «ومن الاعتبار في ذلك ، لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح ، فالله وله المثلى الأعلى قد أحاط بجميع خلقه ، من غير أن يكون في شيء من خلقه.

وخصلة أخرى ، لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقها ، ثم أغلق بابها ، وخرج منها ، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره ، وكم سعة كل بيت ، من غير

---

(١) سورة الطلاق ، الآية ١٢.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٧ ، وانظر كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٩٥.

أن يكون صاحب الدار في جوف الدار ، فالله وله المثل قد أحاط بجميع خلقه ، وعلم كيف هو ، وما هو ، من غير أن يكون في شيء مما خلق »[١].

وقال أيضاً، رحمه الله؛ راداً على استدلال حلولية الجهمية بالآية السابقة : «وتلو آية من القرآن: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ، فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء ، فقالوا: أي مكان؟ ، فقلنا: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش ، والأماكن القذرة ، ليس فيها من عظمة الرب شيء.

وقد أخبرنا أنه في السماء فقال تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾[٢] ، ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾[٣] ، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[٤] ، وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[٥] ، وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[٦] ، وقال: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾[٧] ، وقال:

(١) المصدر السابق ص١٣٧ ، وانظر درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ و٦/ ١٤٠ ، ١٤١.

(٢) سورة الملك ، الآية ١٦.

(٣) سورة الملك ، الآية ١٧.

(٤) سورة فاطر ، الآية ١٠.

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٥٥.

(٦) سورة النساء ، الآية ١٨.

(٧) سورة الأنبياء ، الآية ١٩.

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[١]، و﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾[٢]، ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾[٣]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[٤]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٥]، فهذا خبر الله أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منا مذموماً، يقول الله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٦]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[٧].

وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه، والشياطين مكانهم، فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد[٨].

فالله جل وعلا منزه عن وصفه بالحلول، المقتضي للنقص، من التمثيل، والتكييف وتعطيل الله من صفات العلو والفوقية والاستواء على العرش، وغيرها من صفات الكمال الواردة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) سورة النحل، الآية ٥٠.

(٢) سورة المعارج، الآية ٨.

(٣) سورة المعارج، الآية ٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٨.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٦) سورة النساء، الآية ١٤٥.

(٧) سورة فصلت، الآية ٢٩.

(٨) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٥-١٣٧، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٦/١٣٧ - ١٤٠.

يقول ابن جرير الطبري ت٣١٠هـ: «القول في تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ ، يقول تعالى ذكره: إن الذي له الألوهية ، التي لا تنبغي لغيره ، المستحق عليكم إخلاص الحمد لله ، بآلائه عندكم أيها الناس ، الذي يعدل به كفاركم من سواه ، هو الله الذي هو في السماوات ، وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ، فلا يخفى عليه شيء ، يقول: فربكم الذي يستحق عليكم الحمد ، ويجب عليكم إخلاص العبادة له ، هو هذا الذي صفته ، لا من لا يقدر لكم على ضر ولا نفع ، ولا يعمل شيئاً ، ولا يدفع عن نفسه سوءاً أريد بها »[١].

وقول الطبري هذا يدل على أنه يرى أن تفسير الآية هو أن الله تعالى في السماء ، ويعلم سر أهل الأرض وجهرهم ، وهو الوجه الثالث من الأوجه السابقة في تفسير الآية.

ونسب هذا القول إلى الطبري: البغوي ت٥١٦هـ[٢] ، وابن كثير[٣] ، والشنقيطي[٤] ، وغيرهم.

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٩٥.

(٢) انظر معالم التنزيل ٢/ ٨٤.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٩٥.

(٤) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ١٨٢.

والبغوي رحمه الله يرى القول الأول ، فقد قال في تفسير الآية: «يعني وهو إله السماوات والأرض، كقوله: «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله » [١].

ويقول الآجري ت٣٦٠هـ في معرض رده على الحلولية: «وعند أهل العلم من أهل الحق ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾[٢] ، فهو كما قال أهل العلم ، مما جاءت به السنن: أن الله عز وجل على عرشه ، وعلمه محيط بجميع خلقه ، يعلم ما تسرون وما تعلنون، يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون» [٣].

يفهم من كلامه رحمه الله أنه يقول بالقول الثالث في تفسير الآية ، أي أن الوقف تام على السماوات ، فيكون المعنى وهو الله في السماوات ، وهو سبحانه يعلم سركم وجهركم وما تكسبون ، فهو جل وعلا فوق سماواته ، مستو على عرشه ، وعلمه محيط بخلقه.

ويذكر ابن كثير أقوال أهل العلم في تفسير الآية ، فيقول: «... ، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ ، اختلف

---

(١) معالم التنزيل ٢/ ٨٤.

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣.

(٣) الشريعة ص٢٩٧.

مفسرو هذه الآية، على أقوال، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول، القائلين بأنه – تعالى عن قولهم علواً كبيراً – في كل مكان ، حيث حملوا الآية على ذلك.

فالأصح من الأقوال: أنه المدعو الله في السماوات وفي الأرض ، أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السماوات ومن في الأرض ، ويسمونه الله ، ويدعونه رغباً ورهباً ، إلا من كفر من الجن والإنس ، وهذه الآية على هذا القول ، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [١]... ، وعلى هذا فيكون قول ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ خبراً أو حالاً.

والقول الثاني: أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض ، من سر وجهر ، فيكون قوله ﴿ يَعْلَمُ ﴾ متعلقاً بقوله: ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾، تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم ، في السماوات وفي الأرض ، ويعلم ما تكسبون.

والقول الثالث: أن قوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ وقف تام ، ثم استأنف الخبر ، فقال: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ وهذا اختيار ابن جرير [٢] » [٣].

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٨٤.

(٢) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٩٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٩٥ ، وانظر هذه الأقوال في معالم التنزيل ٢/ ٨٤ ، ٨٥.

وابن كثير بهذا التفسير يرى أن الأصح هو الوجه الأول من تفسيرات أهل العلم للآية.

هذه هي تفسيرات أهل العلم للآية ، ليس فيها شيء مما ذكره أصحاب الحلول ، بل الحق أن الآية تعد رداً عليهم؛ إذ هو وحده سبحانه المعبود لأهل السماء والأرض ، ويعلم سرهم وجهرهم وهذا يدل على مباينته من خلقه ، واتصافه عز وجل بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص.

* * *

المطلب السابع

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ (١)

وقوله: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ (٢)

قالت بعض طوائف الحلولية بأن يعقوب عليه السلام كان واسطة لحلول الإله في جسد يوسف عليه السلام؛ ولهذا قال يعقوب لأبنائه ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ ، ثم قال يوسف لإخوته ، بصفته إلها: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ، فلم يعلق الأمر بغيره؛ لأنه علم أنه هو الإمام المتصرف.

وذلك أن حلول الإله قد حدث في سلسلة من الأشخاص ، تبتدئ بآدم ، وعند بعضهم بشيث ، وتنتهي بعلي بن أبي طالب ، وقد تنتقل إلى أولاده من بعده، كما زعم بعضهم، ويطلقون على الشخص الذي حل الله فيه «المعنى»، وعلى واسطة هذا الحلول «الاسم» ، فالاسم عندهم في أول الناس آدم ، والمعنى شيث ، والاسم يعقوب ، والمعنى يوسف ، ويستدلون على زعمهم هذا بالآيتين السابقتين ، فيقولون: أما يعقوب فإنه كان «الاسم» فما قدر أن يتعدى منزلته فقال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ ، وأما يوسف فكان «المعنى»

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٩٨.

(٢) سورة يوسف ، الآية ٩٢.

المطلوب فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، فلم يعلق الأمر بغيره؛ لأنه علم أنه هو الإمام المتصرف، وهكذا لا بد من وجود الاسم والمعنى في كل عصر[١].

* النقض:

استدلال الحلولية على دعواهم بهاتين الآيتين من أغرب الاستدلال وأبعده، وكل استدلالاتهم غريبة وبعيدة.

فإن الآيتين كليهما ترجعان المغفرة وقبول التوبة إلى الله تعالى.

ففي الأية الأولى يخبر الله جل وعلا عن يعقوب عليه السلام أنه قال وتعالى لأبنائه المذنبين التائبين: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢]، فأضاف السبب إلى نفسه وهو الاستغفار، وأضاف قبول التوبة، وفعل المغفرة إلى الله تعالى، إذ قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، أي من تاب إلى الله تعالى تاب عليه عز وجل[٣]، فعلق قبول التوبة بالله جل وعلا ولم يعلقها بقبول يوسف عليه السلام لها، كما زعمت الحلولية.

يقول أبو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: قال ولد

---

(١) انظر دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص٢٤٨، وطائفة النصيرية ص١٢٤، والجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص٣٠ و مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية.

(٢) سورة يوسف، الآية ٩٨.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٤٦٨.

يعقوب الذين كانوا فرقوا بينه وبين يوسف: يا أبانا سل لنا ربك يعف عنا ، ويستر علينا ذنوبنا ، التي أذنبناها فيك وفي يوسف ، فلا يعاقبنا بها في القيامة ، إنا كنا خاطئين فيما فعلناه به ، فقد اعترفنا بذنوبنا ، قال ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ يقول جل ثناؤه: قال يعقوب: سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي أذنبتموها فيّ وفي يوسف...، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يقول: إن ربي هو الساتر على ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم ، الرحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها »[1].

وفي الآية الثانية يخبر الله جل وعلا عن يوسف عليه السلام أنه قال لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2] ، وذلك أنهم لما أقروا له بأنهم أساؤوا إليه وأخطأوا في حقه، قال لهم ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي لا تأنيب عليكم ، ولا عتب عليكم اليوم ، ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم ، ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة ، متوجهاً بطلب الدعاء من الله تعالى وحده ، فقال ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ، أي يستر الله عليكم فيما فعلتم[3] ، فلو كان يوسف عليه

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ١٣/ ٤٢.

(٢) سورة يوسف ، الآية ٩٢.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٤٦٦ ، ١٤٦٧.

السلام إلهاً أو أن الإله حال فيه ، أو نحو ذلك مما تقوله الحلولية ، لغفر لهم ، ولم يطلب المغفرة من الله تعالى ، فدل ذلك على أن يوسف عليه السلام نبي لا يملك من خصائص الألوهية شيئاً ، فبطل استدلالهم بالآيتين.

قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: «يقول تعالى ذكره: قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾: يقول: لا تغيير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الأخوة ، ولكن لكم عندي الصفح والعفو... ، وقوله ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وهذا دعاء من يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم ، فيما أتوا إليه ، وركبوا منه ، من الظلم ، يقول: عفا الله عنكم ذنبكم وظلمكم ، فستره عليكم ، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ، يقول: والله أرحم الراحمين لمن تاب عن ذنبه، وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته»[(١)].

فالله تعالى وحده الذي يملك الرحمة والمغفرة وقبول التوبة ، فهو وحده الرب والإله المعبود بحق ، لا إله إلا هو ، وغيره لا يملك من ذلك شيئاً ، فكيف يكون إلهاً؟!.

* * *

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ١٣/ ٣٧.

المطلب الثامن

استدلالهم بقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [١]

استدلت الحلولية بهذه الآية على جواز حلول الإله في الأجساد ، وزعمت أن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم؛ لأنه كان قد حل في آدم ، وسبب حلوله فيه أنه خلقه في أحسن تقويم؛ ولهذا قال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [٢] ؛ فهؤلاء يقولون بحلول الإله في الأشخاص الحسنة؛ فإذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها؛ لاعتقادهم بأن الإله قد حل فيها[٣].

يقول عبد القاهر البغدادي في حديثه عن طوائف الرافضة: «رأيت بعض هؤلاء يستدل على جواز حلول الإله في الأجساد بقوله تعالى للملائكة في آدم: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ ، وكان يزعم أن الإله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم؛ لأنه كان قد حل في آدم ، وإنما حله؛ لأنه خلقه في أحسن تقويم ، ولهذا قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [٤].

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٢٩.

(٢) سورة التين ، الآية ٤.

(٣) انظر الفرق بين الفرق ص١٩٦ ، ١٩٧ ، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٩٢ ، وحركة الغلو وأصولها الفارسية ص٢٥.

(٤) الفرق بين الفرق ص١٩٦.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن إحدى طوائف الحلولية: «وقالوا: الأئمة آلهة، وقالوا في أنفسهم مثل ذلك، وقالوا: ولدُ الحسين أبناء الله وأحباؤه، ثم قالوا ذلك في أنفسهم، وتأولوا قول الله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾، قالوا: فهو آدم ونحن ولده»[1]. ثم عبدوا زعيم نحلتهم، زاعمين أنه إله[2].

وقالت طائفة من الحلولية، من غلاة الشيعة والصوفية، ومن اتبعهم، بأن أرواح العباد قديمة، ولهذا قالوا بأن إضافة الروح إلى الله كإضافة الكلام والقدرة، والكلام والقدرة صفاته فكذلك الروح، وقالوا في قول الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ دليل على أن روح العبد صفة لله قديمة، وبالتالي زعمت هذه الطائفة الحلولية بأن كل مخلوق قد حل فيه جزء من الألوهية[3].

*** النقض:**

ذكر عبد القاهر البغدادي أنه رأى بعض الحلولية، الذين يستدلون بهذه الآية على جواز حلول الإله في الأجساد، فقال له: «أخبرني عن الآية التي استدللت بها في أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، والآية الناطقة بأن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم: هل أريد بهما جميع الناس على

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢/ ٥٠٦.

(٢) انظر المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٧/ ١٥٠.

العموم، أم أريد بهما إنسان بعينه؟ فقال: ما الذي يلزمني على كل واحد من القولين، إن قلت به؟ »، فقال له البغدادي: « إن قلت إن المراد بهما كل الناس على العموم لزمك أن تسجد لكل إنسان، وإن كان قبيح الصورة؛ لدعواك أن الإله حل في جميع الناس، وإن قلت: إن المراد به إنسان بعينه، وهو آدم عليه السلام، دون غيره، فَلِمَ تسجد لغيره من أصحاب الصور الحسنة، ولم تسجد للفرس الرائع، والشجرة المثمرة، وذوات الصور الحسنة من الطيور والبهائم؟، وربما كان لهب النار في صورة رائعة وإذا لم تسجد للنار، ولا للماء، ولا للهواء، ولا للسماء، مع حسن صور هذه الأشياء في بعض الأحوال، فلا تسجد للأشخاص الحسنة الصور» [1].

يقول البغدادي: «وقلت له أيضاً: إن الصور الحسنة في العالم كثيرة، وليس بعضها بحلول الإله فيه أولى من بعض، وإن زعمت أن الإله حال في جميع الصور الحسنة، فهل ذلك الحلول على طريق قيام العرض بالجسم؟ أو على طريق كون الجسم في مكانه؟ ويستحيل حلول عرض واحد في محال كثيرة، ويستحيل كون شيء واحد في أمكنة كثيرة، وإذا استحال هذا استحال ما يؤدي إليه » [2].

---

(١) الفرق بين الفرق ص١٩٦، ١٩٧.

(٢) المصدر السابق ص١٩٧، وانظر أصول الدين ص٧٧، ٧٨، وأنبه إلى أن«العرض والجسم» من الألفاظ المجملة التي لا تثبت ولا تنفى عن الله تعالى، لعدم ورود الدليل في ذلك؛ ولعل مراد البغدادي ضرب المثل، ولله المثل الأعلى.

أما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم في قوله: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.

مع أن السجود لغير الله تعالى شرك ، فإن سجود الملائكة لآدم لم يكون سجود عبادة ، وإنما هو سجود تحية وسلام وإكرام.

يقول أبو جعفر الطبري في تفسير الآية السابقة: «يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون ، فإذا سويته ، يقول: فإذا صورته ، فعدلت صورته ، ونفخت فيه من روحي ، فصار بشراً حياً ، فقعوا له ساجدين ، سجود تحية وتكرمة ، لا سجود عبادة »[١].

وقال في موضع آخر: «وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة وطاعة لله ، لا عبادة لآدم»[٢] ، ونقل عن قتادة قوله: «فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته»[٣].

وبمثل هذا قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية عندما ذكر قصة سجود الملائكة لآدم ، وسجود إخوة يوسف له ، قال: «وهذا تشريف له.. ، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة له ، وقربة يتقربون بها إليه ، وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم ، وسجود إخوة يوسف له تحية وسلام»[٤].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/ ٢٢.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٨١.

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٣٥٨ ، ٣٦٠.

وقال ابن كثير: «والسجدة لآدم إكراماً وإعظاماً واحتراماً وسلاماً ، وهي طاعة لله عز وجل؛ لأنها امتثال لأمره تعالى»[١].

ولابن القيم كلام نحو السابق ، يبين رحمه الله فيه أن السجود كان إكراماً وتحية لا سجود عبادة[٢].

ونقل القرطبي ت٦٧١هـ رحمه الله الاتفاق على أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة[٣].

وذلك أن السجود كان تحية مشروعة في الأمم الماضية ، ولكنه نسخ في شرعنا ، كما أخبر الله تعالى عن يوسف عليه السلام ، بقوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ ﴾[٤]، فقد كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض[٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أبو يوسف وإخوته خروا له سجداً ، ويقال: كانت تحيتهم ، فكيف يقال: إن السجود حرام مطلقاً؟ وقد كانت البهائم تسجد للنبي ﷺ، والبهائم لا تعبد الله، فكيف يقال: يلزم من السجود

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٥ ، وانظر ٣/ ٨٧.

(٢) انظر بدائع الفوائد ٢/ ١٣٨.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٩٣.

(٤) سورة يوسف ، الآية ١٠٠.

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٧٥ ، والتفسير الكبير ١/ ٢٣١.

لشيء عبادته ، وقد قال النبي ﷺ : « **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، لعظم حقه عليها** » [(١)]، ومعلوم أنه لم يقل: لو كنت آمراً أحداً أن يعبد... ، أما الخضوع والقنوت بالقلب والاعتراف بالربوبية والعبودية ، فهذا لا يكون على الإطلاق إلا لله سبحانه وتعالى وحده ، وهو في غيره ممتنع باطل.

وأما السجود ، فشريعة من الشرائع ، إذ أمرنا الله أن نسجد له ، ولو أمرنا أن نسجد لأحد من خلقه غيره لسجدنا لذلك الغير ، طاعة لله عز وجل ، إذ أحب أن نعظم من سجدنا له ، ولو لم يفرض علينا السجود ، لم يجب ألبتة فعله ، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله ، وطاعة له ، وقربة يتقربون بها إليه ، وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم ، وسجود إخوة يوسف له تحية وسلام [(٢)].

فإن قيل: إن آدم لم يسبق له فعل ما يوجب الإكرام له بالسجود!

فإنه يقال بأن هذا: «لغو من القول هذى به بعض من اعتزل الجماعة ، فإن نعم الله تعالى وأياديه وآلائه على عباده ليست بسبب منهم ، ولو كانت بسبب منهم ، فهو المنعم بذلك السبب ، فهو المنعم به ، ويشكرهم على نعمه » [(٣)].

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة ح١٨٥٣ ، وابن حبان ح١٣٩٠ ، والبيهقي ٧/ ٢٩٢ ، وقال الألباني: حسن صحيح ، انظر صحيح سنن ابن ماجة ح١٥٠٣.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٣٥٨-٣٦٠.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٣٦١.

أما قوله تعالى في خلق آدم عليه السلام: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[(١)] ، واستدلال الحلولية بهذه الآية على أن أرواح العباد قديمة وأنها جزء من الله تعالى ، فهو استدلال باطل ، وكذلك استدلالهم بقوله تعالى ، إخباراً عن خلق عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[(٢)] ، فإن أهل العلم ذكروا في تفسير إضافة الروح إلى الله تعالى ما يلي:

١. قال بعضهم بأن إضافة الروح إلى الله تعالى؛ لأنها كانت بأمره عز وجل ، وإرادته ومشيئته.

٢. وقال بعضهم بأن قوله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي وحياة منه ، بمعنى إحياء الله إياه بتكوينه ، فقد أصبح إنساناً بإحياء الله له.

٣. وقال بعضهم بأن قوله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي ورحمة منه ، لأن أنبياء الله تعالى رحمة وهداية من الله تعالى لمن اتبعهم واقتدى بهم.

٤. وقال آخرون بأن إضافة الروح إلى الله ، في الآيتين إضافة خلق وتصوير وتشريف من الله جل وعلا ، ولعل هذا القول الرابع أقواها ، ولا ينافي الأقوال التي قبله[(٣)].

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٢٩.

(٢) سورة النساء ، الآية ١٧١.

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٧/ ١٥١ ، ١٥٢ ، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٨١٠.

قال أبو جعفر الطبري بعد أن ذكر هذه الأقوال: «ولكل هذه الأقوال وجه ومذهب، غير بعيد من الصواب»[١].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية، من قبل الحلولية عن إضافة الروح إلى الله تعالى، ثم بين في جوابه أن إضافتها إلى الله تعالى، لكونها مخلوقة مملوكة، لا لكونها صفة لله، أو جزءاً منه، وذلك مثل قولنا: بيت الله، وناقة الله، ومال الله ونحو ذلك.

يقول شيخ الإسلام: وقد سئلت عن ذلك من جهة الحلولية تارة ومن جهة المعطلة تارة...، والمقصود هنا أن الفارق بين المضافين أن المضاف إن كان شيئاً قائماً بنفسه أو حالاً في ذلك القائم بنفسه، فهذا لا يكون صفة لله؛ لأن الصفة قائمة بالموصوف، فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها تمتنع أن تكون صفات لله، فإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة، لكن أضيفت لنوع من الاختصاص المقتضي للإضافة، لا لكونها صفة، والروح الذي هو جبريل من هذا الباب، كما أن الكعبة والناقة من هذا الباب، ومال الله من هذا الباب، وروح بني آدم من هذا، وذلك كقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٢]، وقوله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٦/ ٢٥، وانظر تفسير القرآن العظيم ١/ ٨١٠، وانظر هذه الأقوال في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ٤٩٤، ٤٩٥.

(٢) سورة مريم، الآية ١٧.

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[(١)]، وقوله ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾[(٢)]، وقوله ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾[(٣)]، ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[(٤)].

وأما إن كان المضاف إليه لا يقوم بنفسه، بل لا يكون إلا صفة كالعلم والقدرة والكلام والرضا والغضب، فهذا لا يكون إلا إضافة صفة إليه، فتكون قائمة به سبحانه، فإذا قيل: « **أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك** »[(٥)]، فعلمه صفة قائمة به، وقدرته صفة قائمة به، وكذلك إذا قيل: « **أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك** »[(٦)]، فرضاه وسخطه قائم به، وكذلك عفوه وعقوبته[(٧)].

ثم قال رحمه الله تعالى: «**وأما أثر ذلك وهو ما يحصل للعبد من النعمة، واندفاع النقمة، فذاك مخلوق منفصل عنه، ليس صفة له، وقد يسمى هذا باسم ذاك، كما في الحديث الصحيح: « يقول الله للجنة: أنت رحمتي أرحم**

---

(١) سورة الحجر، الآية ٢٩.

(٢) سورة الحج، الآية ٢٦ .

(٣) سورة الشمس، الآية ١٣.

(٤) سورة الحشر، الآية ٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب دعاء الاستخارة ح٦٣٨٢.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ح٤٨٦.

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٧/ ١٥١، ١٥٢.

بك من أشاء من عبادي »[١] ، فالرحمة هنا عين قائمة بنفسها ، لا يمكن أن تكون صفة لغيرها.

فهذا هو الفارق بين ما يضاف إضافة وصف ، وإضافة ملك.

وإذا قيل: المسيح كلمة الله ، فمعناه أنه مخلوق بالكلمة ، إذ المسيح نفسه ليس كلاماً ، وهذا بخلاف القرآن؛ فإنه نفسه كلام ، والكلام لا يقوم بنفسه ، إلا بالمتكلم ، فإضافته إلى المتكلم إضافة صفة إلى موصوفها ، وإن كان يتكلم بقدرته ومشيئته ، وإن سمي فعلاً بهذا الاعتبار ، فهو صفة باعتبار قيامه بالمتكلم »[٢].

والخلاصة أن استدلال الحلولية بهذا الدليل ، استدلال باطل ، لا يؤيده القرآن ولا السنة ولا اللغة ، وأقوال العلماء في تفسير الآية تتضمن الرد على المنحرفين في تفسير كلام الله تعالى.

فسجود الملائكة لآدم كان بأمر من الله تعالى ، وهو سجود تحية وسلام ، وليس سجود عبادة وذل وخضوع ، لأنه كان بأمر شرعه الله لهم ، ليحيوا به آدم عليه السلام ، فهو طاعة لله وامتثال لأمره ، لا لكون آدم -كما يزعم الحلولية- إلهاً أو فيه جزء من الإله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب (وتقول هل من مزيد) ح٤٨٥٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ح٢٨٤٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٧/ ١٥٢.

وكذلك الروح التي نفخت في آدم ، أضيفت لله تعالى ، لكونه سبحانه خالقها ومالكها ، لا لكونها – كما يزعم الحلولية- صفة لله أو جزءاً منه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* * *

المطلب التاسع

استدلالهم بقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[(١)]

قال أصحاب الحلول بأن الله سبحان وتعالى حلّ في خمسة أشخاص، وهم: النبي ﷺ، وعلي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن والحسين، رضي الله عنهم، فأصبحوا بذلك الحلول آلهة، واستدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قالوا: فأذهب الله عنهم رجس الدنيا، أو رجس الناسوتية، فطهرهم بحلوله تعالى فيهم، فتطهروا تطهيراً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقالوا بأن هؤلاء الخمسة شيء واحد، والروح حالة فيهم بالسوية، لا فضل لواحد منهم على الآخر؛ فمن ذهب عنه الرجس، وطهر، بلغ درجة الكمال الإلهي، واستحق حلول الإله فيه، فهؤلاء الخمسة هم مصدر الإرادة الإلهية في أفعالهم وأقوالهم ونوايا قلوبهم[(٢)].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) انظر جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص١٢٤، ١٦٢، وطائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ص٥٠، والهفت الشريف ص١٢١، ومقالات الإسلاميين ١/ ٨٢، ٨٣.

* النقض :

هذه الآية التي استدلوا بها ، وهي تسمى آية الطهارة ، ليس فيها إخبار بطهارة أهل البيت ، وذهاب الرجس عنهم ، وإنما فيها الأمر من الله تعالى بما يوجب طهارتهم وذهاب الجرس عنهم ، فالإرادة هنا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ ﴾ ، هي الإرادة المتضمنة للأمر والمحبة والرضا ، وهذا ما يدل عليه سياق الكلام في الآيات التي قبلها وبعدها ، فهي كالإرادة في قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾[1] ، وقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[2]. فالإرادة في هذه الآيات هي الإرادة الشرعية المتضمنة للأمر والمحبة ، وليست هي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد ، فإنه لو كان كذلك لكان قد طهّر كل من أراد الله طهارته ، وهو على قول الحلولية المستدلين بهذه الآية ، وهم من غلاة القدرية الشيعة ، أوجه ، فإن عندهم أن الله يريد ما لا يكون ، ويكون ما لا يريد.

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦.

(٢) سورة النساء ، الآيات ٢٦-٢٨.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، هو بفعل المأمور وترك المحظور ، فيكون ذلك متعلقاً بإرادتهم وأفعالهم؛ فإن فعلوا ما أمروا به طهروا وإلا فلا ، والله قادر على ذلك؛ فإذا ألهمهم فعل ما أمر ، وترك ما حظر حصلت الطهارة وذهاب الرجس[1].

ومما يبين أن هذا مما أمروا به، لا مما أخبروا بوقوعه، ما ثبت في الحديث الصحيح الذي روته عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل[2] ، من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3].

وفي رواية أخرى عن عمر بن أبي سلمة – ربيب النبي ﷺ – قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4] في بيت أم سلمة ، فدعا فاطمة وحسناً

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٤/ ٢١ ، ٢٢ ، و٧/ ٧١-٧٣.

(٢) مرط مرحل: مرط مفرد مروط ، والمرط هو الكساء ، والمرحل هو الموشى ، المنقوش عليه صور رحال الإبل ونحوها. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ص٨٦٦ ، ٣٥٢.

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ ح٢٤٢٤.

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٣٣.

وحسيناً، فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره، فجلله بكساء ، ثم قال: « **اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً** » ، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: « **أنت على مكانك ، وأنت على خير** »(١).

وفي رواية ثالثة عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ، ثم قال: « **اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً** » ، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: « **إنك إلى خير** »(٢).

والمعنى: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ويطهركم من الدنس ، الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً ، فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء ، وخصهم برحمة منه ، وقيل دعا لهم الرسول بأن يذهب عنهم الشيطان والشرك ويطهرهم تطهيراً(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، باب: ومن سورة الأحزاب ح ٣٢٠٥، وقال: هذا حديث غريب ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٣٠٦ ، ح٣٢٠٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في فضل فاطمة بنت محمد ﷺ ح٣٨٧١ وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٣ ، ٦/ ٢٩٨ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٥٧٠ ح٣٨٧١.

(٣) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ٢٢/ ٥.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح الحديث: «ولم يكن ذلك لأنهم أفضل الأمة؛ بل لأنهم أخص أهل بيته»[١] ، فالآية عامة في أهل البيت كلهم[٢] ، أما دعاء الرسول ﷺ لهؤلاء فهو خاص لمن جللهم ؛ لكونهم أخص أهل البيت ، لا أنهم أفضل الأمة ، أو أنهم كما تزعم الحلولية ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وهذا الحديث الصحيح يدل على ضد قول الحلولية وأمثالهم ، ممن يستدل على عقيدته الباطلة بآية الطهارة ، سابقة الذكر ، وذلك من وجهين:

أحدهما: أن الرسول ﷺ دعا لهم بذهاب الرجس والطهارة ، مما يدل على أن الآية لم تخبر بوقوع ذلك، فإنه لو كان قد وقع لما اقتصر الرسول ﷺ على مجرد الدعاء به ، بل لكان قد أثنى على الله تعالى بوقوعه وشكره على ذلك.

الثاني: أن دعاء الرسول به ، وطلبه من الله تعالى ، يدل على أن الله وحده القادر على إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم ، وأنه سبحان وتعالى وحده

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٤١٩ ، وانظر منهاج السنة النبوية ٤/ ٢٣ ، ٢٤.

(٢) وقد اختلف في المراد بأهل البيت في الآية ، فقيل هم الخمسة فقط ، وقيل معهم زوجات الرسول ﷺ ، وقيل هم زوجات الرسول خاصة. قال القرطبي: «والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم» الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٣٤ ، وانظر جامع البيان في تفسير القرآن ٢٢/ ٤-٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٦٥ – ٤٦٨ ، ومنهاج السنة النبوية ٤/ ٢٣ ، ٢٤ ، و٧/ ٧٤.

خالق العباد وأفعالهم ، وأنهم لا يملكون من خصائص الربوبية والألوهية شيئاً ، فكيف يزعم فيهم الحلول ، والعياذ بالله تعلى ، كما أنه لا يدل على عصمتهم ولا إمامتهم فضلاً عن ألوهيتهم(١).

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «إن الله تعالى لم يخبر أنه طهر جميع أهل البيت ، وأذهب عنهم الرجس؛ فإن هذا كذب على الله ، كيف ونحن نعلم أن من بني هاشم من ليس بمطهر من الذنوب، ولا أذهب عنهم الرجس لا سيما عند الرافضة؛ فإن عندهم كل من كان من بني هاشم ، يحب أبا بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، فليس بمطهر.

والآية إنما قال فيها: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾.. ، فيه بيان أن الله يحب ذلك لكم ، ويرضاه لكم ، ويأمركم به ، فمن فعله حصل له هذا المراد المحبوب المرضي ، ومن لم يفعله لم يحصل له ذلك »(٢).

مما سبق تبين أن إرادة الله ، المذكورة في الآية ، متضمنة لمحبة الله تعالى لذهاب الرجس عن أهل البيت وطهارتهم ، ورضاه بذلك، وأنه شرعه لأهل البيت وأمرهم به ، وليس في الآية أن الله خلق هذا المراد ، ولا أنه قضاه وقدره ، ولا أنه لا يكون لا محالة ، يدل على ذلك سياق الآيات السابق لها واللاحقة ، كما يدل عليه دعاء النبي ﷺ وطلبه من الله لهم إذهاب الرجس ،

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٤/ ٢٢ ، ٢٣ ، و٧/ ٧١.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٥٩ ، ٢٦٠.

والتطهير ، فلو كانت الآية تتضمن إخبار الله بأنه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم ، لم يحتج إلى الدعاء والطلب.

ثم إذا سلمنا جدلاً ، بأن الآية تدل على طهارتهم ، وإذهاب الرجس عنهم ، كما أن الدعاء المستجاب لا بد أن يتحقق معه طهارة المدعو لهم وإذهاب الرجس عنهم ، لكن ليس في ذلك ما يدل على الإمامة والعصمة ، فضلاً عن الألوهية ، «والدليل عليه أن الله لم يرد بما أمر به أزواج النبي ﷺ أن لا يصدر من واحدة منهن خطأ، فإن الخطأ مغفور لهن ولغيرهن ، وسياق الآية يقتضي أنه يريد ليذهب عنهم الرجس ، الذي هو الخبث كالفواحش ، ويطهرهم تطهيراً من الفواحش ، وغيرها من الذنوب ، والتطهير من الذنب على وجهين: كما في قوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[١] ، وقوله : ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[٢] ، فإنه قال فيها: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[٣]، والتطهير عن الذنب ، إما بأن لا يفعله العبد ، وإما بأن يتوب منه ، كما في قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٤] ، لكن ما أمر الله به من الطهارة ابتداء وإرادة فإنه يتضمن نهيه عن الفاحشة ، لا يتضمن الإذن فيها بحال ، لكن

---

(١) سورة المدثر ، الآية ٤.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٨٢.

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٣٠.

(٤) سورة التوبة ، الآية ١٠٣.

هو سبحانه ينهى عنها ، ويأمر من فعلها بأن يتوب منها... ، وبالجملة لفظ الرجس أصله القذر ، ويراد به الشرك.. ، ونحن نعلم أن الله أذهب عن أولئك السادة الشرك والخبائث ، ولفظ الرجس عام يقتضي أن الله يريد أن يذهب جميع الرجس؛ فإن النبي ﷺ دعا بذلك ، وأما قوله ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فهو سؤال مطلق بما يسمى طهارة »[١] ، وليس من شرط المتطهرين ونحوهم أن لا يقع منهم ذنب ، ولا أن يكونوا معصومين من الخطأ والذنوب ، فضلاً عن أن يكونوا آلهة ، أو يكون الإله حالاً بهم.

فدعاء النبي ﷺ بأن يطهرهم تطهيراً ، كدعائه بأن يزكيهم ويجعلهم متقين ونحو ذلك ، وقد يكون من تمام تطهيرهم صيانتهم عن الصدقة التي هي أوساخ الناس ، فالتطهير الذي أراده الله والذي دعا به النبي ﷺ ليس هو العصمة أو الإمامة بالاتفاق ، فكيف يقال بأنه دلالة على حلول الإله فيهم.

وإذا كان ذلك كذلك امتنع أن يكون التطهير المدعو به للأربعة مع رسول الله ﷺ متضمناً للعصمة لهم ، ولا لما ادعاه الحلولية فيهم[٢] ، وبهذا يتبين أنه لا حجة لهم في الآية والحديث على الحلول ، بل يدلان على خلافه.

* * *

---

(١) منهاج السنة النبوية ٧/ ٧٩-٨١.

(٢) انظر المصدر السابق ٧/ ٨٢-٨٥.

المطلب العاشر

استدلالهم بقوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[١]

قالت طوائف من الحلولية بأن هذه الآية تدل على حلول الله بذاته في السماء، وفي الأرض، بدليل قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، فيدل على حلوله بذاته في الأرض، في كل مكان فيها، وأنه تعالى موجود في الأرض، كما أنه موجود في السماء، قالوا: وهذا يدل على إمكانية حلول الله تعالى فيما يشاء من الأشخاص، وبالتالي فهم أهل للتعظيم والخضوع[٢].

يقول الآجري عند حديثه عن حجج الحلولية: «ومما يلبسون به على من لا علم معه... قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾، وهذا كله إنما يطلبون به الفتنة، كما قال الله عز وجل: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[٣]...[٤].

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٨٤.

(٢) انظر أخبار القرامطة ص٤٤٥، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ١٧٥، واجتماع الجيوش الإسلامية ص١٤٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٤) الشريعة ص٢٩٧.

* النقض :

يقال لهؤلاء الحلولية: ليس لكم حجة في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ ؛ لأن معنى الآية: أنه يعبده أهل السماء والأرض فالإله في القرآن المعبود كما أجمع على ذلك المفسرون المعتبرون[1] ، ولا تدل الآية بأي وجه من الوجوه على ما ذكرتم فأين الحجة لكم فيها!؟

يقول الآجري: «وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ معناه: أنه جل ذكره إله من في السماوات ، وإله من في الأرض ، هو الإله يعبد في السماوات ، وهو الإله يعبد في الأرض ، وهكذا فسره العلماء »[2].

ثم روى بسنده عن قتادة ت١١٧هـ قوله في تفسير الآية: «هو إله يعبد في السماء ، وإله يعبد في الأرض »[3].

ويقول أبو جعفر الطبري ت٣١٠هـ: «وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهية ، في السماء معبود ، وفي

(١) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٧ ، وجامع البيان في تفسير القرآن ٢٥/ ٦٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ١٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٨٨ ، وفتح القدير ٤/ ٥٦٧.

(٢) الشريعة ص٢٩٧.

(٣) المصدر السابق ٢٩٨ ، وانظر إلى قول قتادة في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٥/ ٦٢، وكتاب الصواعق المرسلة ٤/ ١٤١٨.

الأرض معبود كما هو في السماء معبود ، لا شيء سواه تصلح عبادته ، يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة ، ولا تشركوا به شيئاً غيره»[١].

وقال ابن كثير في تفسير الآية: «وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض ، يعبده أهلهما ، وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه ، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ، أي هو المدعو الله في السماوات والأرض»[٢].

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت٧٢٨هـ: «وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾: أي هو إله من في السماوات، وإله من في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٣] ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾[٤] ، كما فسره أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره ، أنه المعبود في السماوات والأرض »[٥].

---

(١) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ٢٥/ ٦٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٤٥٩.

(٣) سورة الروم ، الآية ٢٧.

(٤) سورة الأنعام ، الآية ٣.

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٩٥ ، وانظر كلام الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٧.

وقال في موضع آخر: «قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ، لم يقل في السماء ثم قطع ، كما قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم قطع فقال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ ، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ يعني إله أهل السماء وإله أهل الأرض ، وذلك موجود في اللغة ، تقول: فلان أمير في خراسان ، وأمير في بلخ ، وأمير في سمرقند ، وإنما هو في موضع واحد ، ويخفى عليه ما وراءه ، فكيف العالي فوق الأشياء ، لا يخفى عليه شيء من الأشياء ، يدبره ، فهو إله فيهما ، إذ كان مدبراً لهما وهو على عرشه وفوق كل شيء ، تعالى عن الأشياء والأمثال»[١].

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[٢] ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾[٣].

لا يمكن أن يظن أن معناه أن السماء تقله أو تظله جلا وعلا ، أو أن يتوهم أن يكون الله تعالى في داخل السماوات؛ فإن هذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان ، ومن زعم ذلك فهو جاهل ضال بالاتفاق[٤].

فإن حرف ﴿فِى﴾ متعلق بما قبله وما بعده ، فهو بحسب المضاف إليه ،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/ ٧١ ، ٧١.

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨٤.

(٣) سورة الملك ، الآية ١٦.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣/ ٥٢ ، ١٤٣.

ولهذا يفرق بين كون الشيء في المكان ، وكون الجسم في الحيز ، وكون العرض في الجسم ، وكون الوجه في المرآة ، وكون الكلام في الورق ، ونحو ذلك ، فإن كل نوع من هذه الأنواع خاصة يتميز بها عن غيره ، وإن كان حرف ﴿فِي﴾ مستعملاً في ذلك.

فإذا قيل: العرش في السماء ، والجنة في السماء ، فلا يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السماوات ، بل ولا الجنة ، ولا يقتضي أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق ، ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى ، وأنه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله: إنه في السماء: أنه في العلو ، وأنه فوق كل شيء ، وإذا قيل: في العلو؛ فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها ، فما فوقها كلها هو في السماء ، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به ، إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله، وإن قدر أن السماء المراد بها الأفلاك: كان المراد أنه عليها ، كما قال تعالى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[(١)] ، وكما قال: ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[(٢)] ، وقوله: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [(٣)] ، فإن ﴿فِي﴾ هنا بمعنى على ، كما يقال فلان في الجبل ، وفي السطح ، وإن كان على أعلى شيء فيه[(٤)].

---

(١) سورة طه ، الآية ٧١.

(٢) سورة النحل ، الآية ٣٦.

(٣) سورة التوبة ، الآية ٢.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣/ ٥٢ ، ٥٣.

فلا يمكن أن يتوهم متوهم أن المعنى أنه تعالى حال وداخل في السماء ، وأنها تحويه وتحيط به ، فلا يدل على ذلك الشرع ، ولا اللغة ، ولا يفهم من النصوص البتة ، بل دلت النصوص الشرعية على خلافه ، من علو الله تعالى وفوقيته ، وكيف يتوهم ذلك والله قد وسع كرسيه السماوات والأرض ، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، قال تعالى، ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[1] ، تعالى الله عن قول الحلولية وأمثالهم علواً كبيراً[2].

وهذا أيضاً ورد في نصوص كثيرة ، أعني الإخبار بأن الله في السماء ، كما في الآيتين السابقتين ، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[3] ، والحديث المذكور في قبض روح المؤمن ، وأنه يصعد بها إلى « السماء التي فيها الله »[4] ، وكذلك ما ثبت أن رسول الله ﷺ قال لجارية معاوية بن الحكم: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال ﷺ: « من أنا؟ » قالت: أنت رسول الله ، فقال ﷺ لمعاوية: « أعتقها

---

(١) سورة الروم ، الآية ٢٥.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣/ ١٤٣.

(٣) سورة الملك ، الآية ١٧.

(٤) الحديث أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت ، ح٢٨٧٢ ، وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨.

فإنها مؤمنة »[١] ، فهو ﷺ أقرها على أن الله تعالى في السماء ، وكل ذلك بمعنى العلو ، وقد تكون ﴿فِي﴾ بمعنى على ، إذا قيل بأن السماء هي البناء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس المراد بذلك أن السماء تحصر الرب وتحويه ، كما تحوي الشمس والقمر وغيرهما؛ فإن هذا لا يقوله مسلم ، ولا يعتقده عاقل ، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٢]، والسماوات في الكرسي كلحقة ملقاة في أرض فلاة ، والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، والرب سبحانه فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته[٣] ، وقال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، وقال:﴿ فَسِيحُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وقال: ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٤]، وليس المراد أنهم في جوف النخل ، وجوف الأرض ، بل معنى ذلك أنه فوق السماوات ، وعليها ، بائن من مخلوقاته ، كما أخبر في كتابه عن نفسه ، أنه خلق السماوات والأرض

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ح٥٣٧.

(٢) من آية الكرسي.

(٣) ورد في ذلك حديث أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٧٩٤) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٠٤-٤٠٥ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح١٠٩ وضعفه شعيب الأرناؤوط ، انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٠.

(٤) سورة المائدة ، الآية ٢٦.

في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، وقال: ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[٢]، وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[٣]، وأمثال ذلك في الكتاب والسنة »[٤].

وقال في موضع آخر: «ثم من توهم أن كون الله في السماء ، بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه ، فهو كاذب إن نقله عن غيره ، وضال إن اعتقده في ربه ، وما سمعنا أحداً يفهم هذا من اللفظ ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد ، ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله ورسوله: إن الله في السماء ، أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا ، وإذا كان الأمر هكذا ، فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه ، ثم يريد أن يتأوله ، بل عند الناس أن الله في السماء، وهو على العرش واحد، إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله في العلو، لا في السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله ، لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته ، فكيف

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٥.

(٢) سورة المعارج ، الآية ٤.

(٣) سورة النساء ، الآية ١٥٨.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٢٧١ ، ٢٧٢.

يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه »[١].

والخلاصة أن الإخبار بأن الله تعالى في السماء ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، يراد به أنه جل وعلا في العلو ، وفوق المخلوقات ، ولا يراد به أن شيئاً يحويه ويحصره ، أو أنه داخل السماء المبنية ، فمعنى ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾أي في العلو دون السفل ، وهو العلي الأعلى ، فله أعلى العلو ، وهو ما فوق العرش ، وليس هناك غيره العلي الأعلى ، سبحانه وتعالى ، وقد ذكر بعض أهل العلم بأن المراد بقوله ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي على السماء ، ولا حاجة إلى هذا مع وجود المعنى الأول ، وهو أن المراد بالسماء: العلو ، كما ذكر شيخ الإسلام وغيره[٢].

وإذا كان ذلك كذلك علمنا بأن قوله ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ لا يمكن أن يخطر على بال أحد ما يقوله أصحاب الحلول، وإنما أراد أن أهل الأرض يعبدونه، وأنه سبحانه وتعالى هو وحده الذي يعبد بحق من قبل أهل السماء والأرض.

* * *

(١) المصدر السابق ٥/ ١٠٦ ، ١٦/ ١٠٠ ، ١٠١.

(٢) انظر المصدر السابق ١٦/ ١٠١.

المطلب الحادي عشر

استدلالهم بقوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [(١)]

زعم بعض أصحاب الحلول بأن قوله تعالى ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ يدل على أن الله تعالى يحل في خلقه، وأنه عز وجل، يكون له في كل زمان ظاهر وباطن، فالظاهر واسطة والباطن هو من يحل فيه الإله، فيصبح إلهاً، كما زعم بعضهم بأن «الباطن» يعني المخالط والممازج[(٢)].

قال أبو بكر الآجري ت٣٦٠هـ: «ومما يحتج به الحلولية، مما يلبسون به على من لا علم معه، قول الله: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ .. »[(٣)].

* النقض:

لا تدل هذه الآية على الحلول، ولا يفهم منها ذلك، بل هي دليل صريح على نقيض عقيدة الحلول، فهي تتضمن إثبات صفة العلو لله تعالى، وذلك في قوله تعالى ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ﴾، فهذا الاسم لله عز وجل يدل على صفة الظهور والعلو والفوقية، وهذا ما فسره به أعلم الأمة بالله تعالى وهو الرسول محمد ﷺ، كما أن اسم ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ لا يدل على ما ذكره أصحاب الحلول.

---

(١) سورة الحديد، الآية ٣.

(٢) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ١٤٦، والشريعة ص٢٨٨، ٢٩٧.

(٣) الشريعة ص٢٩٧.

قال أبو بكر الآجري: «وقد فسر أهل العلم هذه الآية ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾: قبل كل شيء، من حياة وموت، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾: بعد كل شيء بعد الخلق، « وهو الظاهر » : فوق كل شيء، يعني ما في السماوات، « وهو الباطن » : دون كل شيء، يعلم ما تحت الأرضين، دل على هذا آخر الآية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾، كذا فسره مقاتل بن حيان (ت١٥٠هـ)، ومقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، وبينت ذلك السنة »[١].

ثم روى بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: « **اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء** »[٢].

وكل واحد من الآية، والحديث، دل على علو الله تعالى على خلقه، فإن الظهور مقارن للعلو، وكلما كان الشيء أظهر فهو أعلى، وكل واحد من العلو والظهور يتضمن المعنى الآخر، فالظهور يتضمن العلو والفوقية، ولهذا جاء في الحديث: « **وأنت الظاهر فليس فوقك شيء** »، ولم يقل فليس أظهر منك شيء[٣].

يقول أبو القاسم الأصبهاني ت٥٣٥هـ: «ومذهب أهل السنة والمقتدين بالسلف أن الله تعالى كان ولا شيء معه، وهو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخرته انقضاء، قال الله عز وجل:

---

(١) الشريعة ص٢٩٧، وانظر جامع البيان في تفسير القرآن ٢٧/ ١٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب الدعاء عند النوم ح٢٧١٣.

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٦/ ٢٠٨.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[(١)] ، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [(٢)] ، لم يزل ربنا عز وجل ، ولا يزال ، وكان أبداً عالماً سميعاً بصيراً »[(٣)].

ويقول ابن القيم ت٧٥١هـ: «وأما عبوديته باسمه الظاهر ، فكما فسره النبي ﷺ بقوله: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء** »؛ فإذا تحقق العبد علوه المطلق على كل شيء بذاته ، وأنه ليس فوقه شيء البتة وأنه قاهر فوق عباده ، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[(٤)] ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[(٥)] ، صار لقلبه أمماً يقصده ، ورباً يعبده ، وإلهاً يتوجه إليه ، بخلاف من لا يدري أين ربه؛ فإنه ضائع مشتت القلب..، والمقصود أن التعبد باسمه «الظاهر» يجمع القلب على المعبود، ويجعل له رباً يقصده، وصمداً يصمد إليه في حوائجه، وملجأ يلجأ إليه ، فإذا استقر ذلك في قلبه ، وعرف ربه باسمه الظاهر ، استقامت له عبوديته ، وصار له معقل وموئل يلجأ ليه ، ويهرب إليه ، ويفر كل وقت إليه »[(٦)].

---

(١) سورة الرحمن ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧.

(٢) سورة القصص ، الآية ٨.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٤٢٦ ، وانظر ص٤٦٩.

(٤) سورة السجدة ، الآية ٥.

(٥) سورة فاطر ، الآية ١٠.

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص٢٢ ، ٢٣.

ثم يتحدث رحمه الله عن معنى اسمه تعالى: ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾، فيقول: «وأما تعبده باسمه « الباطن » فأمر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته ، ويكل اللسان عن وصفه ، وتصطلم[١] الإشارة إليه ، وتجفو العبارة عنه ، فإنه يستلزم معرفة بريئة من شوائب التعطيل ، مخلَّصة من فرث التشبيه ، منزهة عن رجس الحلول والاتحاد ، وعبارة مؤدية للمعنى كاشفة عنه ، وذوقاً صحيحاً سليماً من أذواق أهل الانحراف ، فمن رزق هذا فهم معنى اسمه «الباطن» ، وصح له التعبد به ، وسبحان الله كم زلت في هذا المقام أقدام ، وضلت فيه أفهام، وتكلم فيه الزنديق بلسان الصديق، واشتبه فيه إخوان النصارى بالحنفاء المخلصين...

وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة إحاطة الرب تبارك وتعالى بالعالم ، وعظمته ، وأن العوالم كلها في قبضته ، وأن السماوات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾[٢] ، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾[٣]؛ ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذين المعنيين ، اسم العلو الدال على أنه الظاهر ، وأنه لا شيء فوقه ، واسم العظمة الدال على الإحاطة ، وأنه لا شيء دونه ،

---

(١) تصطلم: الاصطلام: الانقطاع والاستئصال ، انظر معجم مقاييس اللغة ص٥٤٩.

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٦٠.

(٣) سورة البروج ، الآية ٢٠ ، والشورى ، الآية ٤.

كما قال الله : ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[١] ، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[٢] .. »[٣].

ويذكر آثار التعبد باسمه الباطن ، فيقول: «وأما التعبد باسمه «الباطن» فإذا شهدت إحاطته بالعوالم ، وقرب البعيد منه ، وظهور البواطن له ، وبدو السرائر له ، وأنه لاشيء بينه وبينها ، فعامله بمقتضى هذا الشهود ، وطهر له سريرتك ، فإنها عنده علانية ، وأصلح له غيبك ، فإنه عنده شهادة ، وزك له باطنك؛ فإنه عنده ظاهر »[٤].

فهذه الآية تدل على نقيض قول الحلولية ، تدل على علو الله تعالى ، وعلوه سبحانه من صفات المدح اللازمة له ، فلا يجوز اتصافه بضد العلو البتة ، ولهذا قال ﷺ: « **أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء** » ، ولم يقل: تحتك[٥] ، ولهذا فاستدلالهم بهذه الآية باطل ، مخالف للنقل والعقل والفطرة والإجماع ، وكل هذه الأدلة دالة على علو الله تعالى.

* * *

---

(١) سورة البقرة ، ٢٥٥.

(٢) سورة سبأ ، الآية ٢٣.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص٢٣ ، ٢٤ ، وانظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٠٣.

(٤) المصدر السابق ص٥٩.

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٦/ ١٠٠.

المبحث الثالث

الأحاديث التي استدل بها أصحاب الحلول ونقض استدلالهم بها

المطلب الأول

استدلالهم بحديث[١] «أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر»

قال بعض أصحاب الحلول بأن قول الرسول ﷺ : «والله يتولى السرائر» المراد به هنا علي بن أبي طالب ، وذلك أن الإله حل فيه ، «فظهور الروحاني في الجسد الإنساني لا ينكره عاقل» ؛ ولذا فإن الله أيضاً يظهر بصورة أشخاص ، ولما كان علي بن أبي طالب وأولاده وأحفاده أفضل العالمين فقد ظهر الله بصورهم ، ونطق بألسنتهم ، ولهذا فقد اختص علي فيما يتعلق ببواطن الأسرار[٢].

* النقض :

هذا الحديث الذي استدلت به الحلولية؛ لا أصل له ، فمن نسبه إلى الرسول

(١) أصحاب الحلول رووه بصفته حديثاً ، وإلا فإنه لا أصل له ، كما هو تخريجه في المتن.

(٢) انظر الجذور التاريخية للنصيرية العلوية - ص١٢ ، والملل والنحل ١/ ١٣٥ ، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص٢٤٩ ، وعقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة ١/ ٨٥ ، وطائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ص٤٨ ، ٤٩ ، والهفت الشريف ص١٢١ ، ١/ ٨٥ ، والألوهية في المعتقدات الإسلامية ص١١١ .

ﷺ فقد أخطأ، كالقاضي ابن العربي[١] ت٥٤٣هـ، وتابعه عليه تلميذه القاضي عياض[٢] ت٥٤٤هـ، حيث أورداه بدون سند، ونسباه إلى الرسول ﷺ.

بل قد وهم بعض أهل العلم، كالسخاوي[٣] ت٩٠٢هـ، والعجلوني[٤] ت١١٦٢هـ، وغيرهما[٥]، عندما ذكروا بأن النووي ت٦٧٦هـ نسب الحديث إلى الرسول ﷺ، عندما قال رحمه الله: «قوله ﷺ: « **إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم** »[٦] معناه: أني أمرت بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، كما قال النبي ﷺ: فإذا قالوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله... »[٧]، فجملة (كما قال النبي ﷺ) مرتبطة بما بعدها، لا بما قبلها، كما فهمه بعضهم[٨].

---

(١) انظر أحكام القرآن ١/ ١٤٣.

(٢) انظر ترتيب المدارك ١/ ١٠١.

(٣) انظر المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص٩١.

(٤) انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ١/ ١٩٢.

(٥) انظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص٥٨، ٥٩.

(٦) سيأتي تحقيقه بعد قليل.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ح٢٥ ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله... ح٢١.

(٨) انظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص٥٨، ٥٩، وانظر كلام النووي في صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ١٦٣.

وقال السخاوي: «اشتهر بين الأصوليين والفقهاء... ، ولا وجود له في كتب الحديث المشهورة ، ولا الأجزاء المنثورة»[١] ، ولعله اشتهر بصفته قولاً له معنى ، وليس بصفته حديثاً.

وقال العجلوني: «وجزم الحافظ العراقي بأنه لا أصل له ، وكذا المزي وغيره ، وقال القاري: وممن أنكره الحافظ ابن الملقن في تخريج أحاديث البيضاوي ، وقال الزركشي: لا يعرف بهذا اللفظ ، وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في تخريج أحاديث المختصر: لم أقف له على سند»[٢].

وممن حكم بأنه لا أصل له: السخاوي[٣] ، ونقله عنه الزرقاني ت١١٢٢هـ ، وابن الديبع[٤] ، ت٩٤٤هـ ، والعجلوني[٥] ، والكرمي[٦] ، وملا علي القاري[٧] ت١٠١٤هـ.

---

(١) المقاصد الحسنة ص٩١.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/ ١٩٢ ، ١٩٣.

(٣) انظر مختصر المقاصد الحسنة ص٦٨.

(٤) انظر تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ص٣٢.

(٥) انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ١/ ١٩٢.

(٦) انظر الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة ص٧٠.

(٧) انظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص٥٨ ، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص١١٤.

وبهذا يتبين أن الحديث لا أصل له ، ولم يقله رسول الله ﷺ ، فلا وجه لاستدلال أصحاب الحلول به.

أما معنى هذه العبارة فصحيح ، وهو أن الرسول ﷺ يحكم على الناس بالظاهر، ولم يؤمر بأن يبحث عن أسرارهم ، ولا أن ينقب عن قلوبهم ، والله سبحان وتعالى وحده عليم بأسرارهم ومقاصدهم ، وهو وحده يحاسبهم على ذلك.

ويدل على صحة هذا المعنى قوله ﷺ : « **إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم** »(١) ، ولهذا قال النووي عند شرحه هذا الحديث بأن «معناه: إني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر» (٢).

كما قد يدل على معناه حديث أم سلمة ، وهو قوله ﷺ : «**إنكم تختصمون إلي فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه ، فلا يأخذ منه شيئاً** »(٣) ، وكذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم » (٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح١٠٦٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ١٦٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب من أقام البينة بعد اليمين ح٢٦٨٠ ومسلم ، كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ح١٧١٣ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب الشهداء العدول ح٢٦٤١ .

ولهذا قال الشافعي بعد أن أورد حديث أم سلمة السابق: « إنكم تختصمون إلي... » : «فأخبرهم ﷺ بأنه إنما يقضي بالظاهر ، وأن أمر السرائر إلى الله تعالى » [١] ، ولذا فقد ظن بعض أتباع الشافعي ، بأنه حديث [٢] ، يقول السخاوي: «ظن بعض من لا يميز هذا حديثاً منفصلاً عن حديث أم سلمة ، فنقله كذلك ، ثم قلده من بعده» [٣].

فالحديث موضوع ، لا تجوز نسبته إلى الرسول ﷺ ، ثم على فرض صحته ، فإن معناه ما ذكرته آنفاً ، ولهذا فلا حجة لأهل الحلول به ، إذ ليس المقصود بقوله: «والله يتولى السرائر» : علي بن أبي طالب، فالعبارة صريحة بقولها: «والله» ، فكيف يزعم بأن المراد أحد من الخلق؛ إلا من يقرر عقيدة من تلقاء نفسه أو تأثراً بالملل المنحرفة والنحل الضالة ، ومن ثم يبحث عن أي كلام يؤيد به عقيدته ، حتى لو أدى ذلك إلى الكذب على الرسول ﷺ ، أو تحريف كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، أو تحريف كلام أهل العلم وعباراتهم.

ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى ، فوق سماواته ، مستو على عرشه ، عال على خلقه ، وهو سبحانه يتولى السرائر ، ويحيط بالناس علماً ، ولا يعزب

---

(١) في كتابه الأم ، نقلاً عن كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١/ ١٩٣ ، والفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة ص٧٠.

(٢) انظر كشف الخفاء ومزيل الإلتباس ١/ ١٩٣.

(٣) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص٩١.

عن علمه مثقال ذرة في السماوات، ولا في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٢].

أما القائلون بالحلول، فإنهم كذبوا على الله ورسوله، حينما زعموا أن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ يدلان على عقيدتهم الباطلة، وتأمل ما ذكره الله من وعيد لمن يكذب على الله، وذلك في الآية التي تسبق الآية المذكورة آنفاً في سورة يونس، قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[٣].

فهو وعيد وتهديد للكاذبين على الله تعالى، أي: أيحسبون أن الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه[٤].

فلا يعلم السرائر ويتولاها إلا الله جل وعلا، فسبحان من قال مخبراً عن

---

(١) سورة يونس، الآية ٦١.

(٢) سورة سبأ، الآية ٣.

(٣) سورة يونس، الآية ٦٠.

(٤) انظر معالم التنزيل ٢/ ٣٥٨، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٠٣.

كماله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

* * *

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

المطلب الثاني

استدلالهم بحديث[١] «كنت كنزاً مخفياً لا أعرف ، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً؛ لأعرف، فعرفتهم بي، فعرفوني»

وقالوا به:بأن مفهوم الحديث مأخوذ ومستفاد من قوله تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[٢]...[٣].

يقول عبد الكريم الجيلي ت٨٢٦هـ: «وسوف أنبهك على مقدمة ، تعرف بها معنى كل ما يرد في هذه النبذة التي جمعت جميع ما في الباب الرابع ، من كتاب الفتوحات المكية ، وذلك: أن الله تعالى لما أحب في شأن ذاته البطوني أن يظهر في كنزيته ، لما يقتضيه شأن ذاته الظهوري ، من الظهور على حكم شؤونه الذاتية ، فتشكل وتصور بأشكال العالم وصوره ، ونسبه وإضافاته وأحكامه جميعاً ، صورة ومعنى ، بطوناً وظهوراً ، فناء وبقاء ، عيناً وحكماً ، وجوداً وشهوداً »[٤].

---

(١) الحديث موضوع ، لا أصل له ، انظر كلام أهل الحديث عنه في المتن.

(٢) سورة الطلاق ، الآية ١٢.

(٣) انظر عقائد علماء الديوبند ص١٦ ، والرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٧ وروح المعاني ٢٧/ ٢١

(٤) شرح مشكلات الفتوحات المكية ص١١١ ، وانظر ص١٥٥.

* النقض:

الحديث موضوع ، لا أصل له ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف ، كما قال أهل العلم.

قال علي القاري الهروي ت١٠١٤هـ: «نص الحفاظ كابن تيمية والزركشي والسخاوي على أنه لا أصل له »[١].

وقال الألوسي ت١٢٧٠هـ: «في تفسيره،عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] : «وقد جاء: « **كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق لأعرف** » .. الخبر بهذا اللفظ ذكره سعد الدين سعيد الفرغاني، في «منتهى المدارك» ، وذكره غيره كالشيخ الأكبر في الباب المئة والثمانية والتسعين من الفتوحات ، بلفظ آخر.

وتعقبه الحفاظ ، فقال ابن تيمية: إنه ليس من كلام النبي ﷺ ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف.

وكذا قال الزركشي ت٧٩٤هـ والحافظ ابن حجر ت٨٥٢هـ وغيرهما.

ومن يرويه من الصوفية معترفٌ بعدم ثبوته نقلاً ، لكن يقول: إنه ثابت كشفاً ، وقد نص على ذلك الشيخ الأكبر في الباب المذكور ، والتصيح الكشفي شنشنة لهم »[٣].

---

(١) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص١٤١.

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٥٦.

(٣) روح المعاني ٢٧/ ٢١.

وقال السخاوي ت٩٠٢هـ «لا أصل له »[١] ، ونقله عنه الزرقاني[٢].

وقال العجلوني: «كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً، فعرفتهم بي فعرفوني» ، وفي لفظ: «فتعرفت إليهم ، فبي عرفوني» ، قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف[٣] ، وتبعه الزركشي، والحافظ ابن حجر في اللآلئ[٤]، والسيوطي[٥]، وغيرهم، والمشهور على الألسنة: «كنت كنزاً مخفياً ، فأحببت أن أعرف ، فخلقت خلقاً ، فبي عرفوني» ، وهو واقع كثيراً ، في كلام الصوفية ، واعتمدوه ، وبنوا عليه أصولاً لهم»[٦].

وممن حكم أيضاً بأنه لا أصل له: ابن عراق[٧] ت٩٦٣هـ ، وابن الديبع[٨] ت٩٤٤هـ ، والكرمي[٩] ت٩٤٧هـ ، والفتني[١٠] ت٩٨٦هـ ، والألباني[١١].

---

(١) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص٣٢٧.

(٢) مختصر المقاصد الحسنة ص١٥٣.

(٣) أحاديث القصاص ص٩٩.

(٤) كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس٢/ ١٣٣.

(٥) انظر تدريب الراوي ص٣٧٠.

(٦) كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ٢/ ١٣٢.

(٧) انظر تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ١/ ١٤٨.

(٨) انظر تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ص١٢٢.

(٩) انظر الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة ص٧٨.

(١٠) انظر تذكرة الموضوعات ص١١.

(١١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/ ١٦٦ ، وانظر رقم ٦٠٢٣.

فالحديث موضوع، وبالتالي يتبين بطلان استدلال أصحاب الحلول به؛ إذ لم يقله ﷺ، ولم يروه عن ربه تعالى.

أما الآية التي زعموا أن حديثهم مأخوذ منها، فهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾(١).

فأين دلالتها على الحديث الموضوع الذي ذكروه؟!، وإنما تفسيرها، كما قال كبار المفسرين: إن الله تعالى هو الذي خلق سبع سماوات، ومن الأرض مثلهن، لا ما يعبده المشركون من الآلهة والأوثان، التي لا تقدر على خلق شيء، وينزل قضاء الله وأمره بين ذلك؛ كي تعلموا أيها الناس قدرة الله وسلطانه، وأنه لا يتعذر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه أمر شاءه، ولكنه على كل شيء قدير، ولتعلموا أيها الناس أن الله تعالى بكل شيء من خلقه محيط علماً، لا يعزب عنه مثال ذرة في الأرض، ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فخافوا أيها المخالفون أمر ربكم عقوبته؛ فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع، وهو على ذلك قادر ومحيط، أيضاً بأعمالكم، فلا يخفى عليه منها خاف، وهو محصيها عليكم؛ ليجازيكم بها يوم تجزى كل نفس ما كسبت(٢).

---

(١) سورة الطلاق، الآية ١٢.

(٢) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ٢٨/ ٩٩، ١٠٠، ومعالم التنزيل ٤/ ٣٦١، وفتح القدير ٥/ ٢٤٨.

فهذه الآية العظيمة تخبر عن خلق الله تعالى الدال على «قدرته التامة، وسلطانه العظيم؛ ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم»[١].

فليس في الآية دلالة على حديثهم، وهي أبعد ما يكون عن تصور الحلول، أو تخيله فضلاً عن أن يطرأ على قلب عاقل.

يقول الإمام أحمد: «وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان، دون مكان، فذلك قول الله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ ...»[٢].

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٨٥.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٧.

المطلب الثالث

استدلالهم بحديث : « إن أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له: أدبر ، فأدبر ، فقال: وعزتي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك ، فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب ، وعليك العقاب » (١)

قالت طائفة من الحلولية بأن المراد بالعقل هنا عيسى بن مريم ، وأنه ابن الله، خلقه أولاً!! ، ثم حلّ فيه أيضاً! ، فهو الذي عناه الرسول ﷺ بقوله: « إن أول ما خلق الله العقل... » ، فكان المسيح عقلاً ، ثم تدرع جسداً ، فحلّ فيه الإله.

وطائفة منهم زعمت أن العقل جوهر قائم بنفسه ، كالعاقل ، ومنه انبثقت جميع المخلوقات ، ومنه فاضت جميع الموجودات ، وربما سموه «العقل الأول» ، أو «العقل الفعال »(٢).

والعقل الأول عندهم مقارن لرب العالمين ، أزلاً وأبداً ، ويرون أنه مبدع لكل ما سواه ، أو بتوسطه حصل كل ما سواه ، وعن العقل الفعال يصدر كل شيء ، ويفيض منه ، وما فاض منه يكون فيه جزء من حقيقته.

---

(١) الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

(٢) انظر الملل والنحل ١/ ٥٢ ، ومعجم الفرق الإسلامية ص٨٩ ، والجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص٤١ ، وشرح مشكلات الفتوحات المكية ص٦٧ والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٧٧ ، ٧٨ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٤٤.

هذا هو قول طوائف من الحلولية ، كبعض الفلاسفة وغلاة الرافضة ، وإخوان الصفا ، وغلاة الصوفية ، وغيرهم ممن «يدعون أن العقول قديمة أزلية ، وأن العقل الفعال هو رب كل ما تحت هذا الفلك ، والعقل الأول هو رب السماوات والأرض وما بينهما »[١].

يقول عبد الكريم الجيلي ت٨٢٦هـ ، شارحاً كلام محيي الدين بن عربي ت٦٣٨هـ: «الحقيقة المحمدية هي النور الذي يقع به التميز ، ومن ثم عبر رسول الله ﷺ عن روحه الكريمة بالعقل، فقال: «أول ما خلق الله العقل...»، فعلمنا أن روحه هي العقل الذي به ظهر الوجود ، وتميز العابد من المعبود؛ لأن الله تعالى جعل العقل الأول جامعاً لحقائق الوجود ، وأبرزها منه على الترتيب ، الذي أراده في علمه ، وقضى به في حكمه... ، ثم نبه الشيخ ، رضي الله عنه «يعني ابن عربي» على تحقيق ظهور صفات العقل الأول في كل قطب كامل بقوله: في كل عصر له شخيص تجري بأنفاسه الدهور ، يعني: لظهور صفات الحقيقة المحمدية في كل عصر ، إمام مستكمل الشروط القطبية ، تجري بأنفاسه الدهور ، أي: يتحكم في حركات الوجود وسكناته ، حسبما يقتضيه الكمال الإلهي ، خلافة محمدية.

وكان أول ظاهر بهذا المقام ، أبونا آدم عليه الصلاة والسلام ، وهو لنا بحكم الوراثة لنا ، وسيكون آخر من يظهر بهذا المقام ، عيسى عليه الصلاة والسلام »[٢].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١/ ٢٤٤ ، و١٧/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، و١٨/ ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، و٣٥/ ١٥٣.

(٢) شرح مشكلات الفتوحات المكية ص٦٧ ، ٦٨.

* النقض :

الحديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ، كما قرر ذلك أهل العلم والمعرفة بالحديث[١]، ومن ذلك أن ابن الجوزي ت٥٩٧هـ روى الحديث بأسانيد مختلفة ثم قال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، قال يحيى ابن معين: الفضل رجل سوء، قال ابن حبان: وحفص بن عمر يروي الموضوعات، لا يحل الاحتجاج به، وأما سيف فكذاب بإجماعهم»[٢]، ثم روى ابن الجوزي الحديث من طريق آخر وقال بأن غير صحيح[٣]، ثم قال: «وقد رويت في العقول أحاديث كثيرة ليس فيها شيء يثبت»[٤]، وممن أشار إلى أنه موضوع السيوطي[٥] ت٩١١هـ، والسخاوي[٦] ت٩٠٢هـ، والشوكاني[٧] ت١٢٥٠هـ، والألباني[٨] وغيرهم[٩].

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٨/ ١٥، ١٦، و مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٧/ ١٣٣، و١٨/ ٣٣٦، ٣٣٨.

(٢) الموضوعات ١/ ١٧٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٧٥، ١٧٦.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٧٧.

(٥) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ١٢٩، ١٣٠.

(٦) المقاصد الحسنة ص١١٨، ١٣٤.

(٧) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص٤٧٦.

(٨) مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٠٦.

(٩) انظر كشف الخفاء ١/ ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٦٣، والموضوعات ص٢٧، ٣٠.

ثم إنه على فرض صحته فإنه لا يدل على ما ذكروه ، بل هو حجة عليهم.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «والحديث الذي ذكروه في العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ، كما ذكره أبو حاتم البستي ، والدارقطني؛ وابن الجوزي، وغيرهم، وليس في شيء من دواوين الحديث، التي يعتمد عليها.

ومع هذا فلفظه لو كان ثابتاً حجة عليهم؛ فإن لفظه: «أولَ ما خلق الله تعالى العقل» قال: ويروى: «لما خلق الله العقل قال له... »[١] ، فمعنى الحديث: أنه خاطبه في أول أوقات خلقه، وليس معناه أنه أول المخلوقات، و«أول» منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر «لما» ، وتمام الحديث: « ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك » ، فهذا يقتضي أنه خلق قبل غيره ، ثم قال: « فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب، وعليك العقاب»، فذكر أربعة أنواع من الأعراض ، وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل ، فأين هذا من هذا »[١].

ثم بين أحد أسباب غلطهم فقال: «وسبب غلطهم: أن لفظ العقل في لغة

---

(١) قال الألباني: «هو حديث موضوع كما قال ابن الجوزي وابن تيمية ، وغيرهما ، وكل ما روي في العقل من الأحاديث الخفاء يصح منها شيء ، بل أطلق ابن تيمية عليها كلها الوضع » تحقيق مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٠٦ ، ح٥٠٤٦ ، وسبقت الإشارة إلى مصدري كلام ابن الجوزي وابن تيمية.

المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان؛ فإن العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل، كما في القرآن: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [(١)]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [(٢)]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [(٣)]، ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها، وأما أولئك، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل، وليس هذا مطابقاً للغة الرسل والقرآن... » [(٤)].

وقال في موضع آخر: «...، وفي لفظ: «لما خلق الله العقل قال له... »، ومعنى هذا اللفظ أنه قال للعقل في أول أوقات خلقه، ليس فيه أن العقل أول المخلوقات، لكن المتفلسفة القائلين بقدم العالم، أتباع أرسطو، هم ومن سلك سبيلهم من باطنية الشيعة والمتصوفة والمتكلمة، رووه: أول ما خلق الله العقل، بالضم؛ ليكون ذلك حجة لمذهبهم، من أن أول المبدعات هو العقل الأول، وهذا اللفظ لم يروه به أحد من أهل الحديث، بل اللفظ

---

(١) سورة الملك، الآية ١٠.

(٢) سورة الرعد، الآية ٤.

(٣) سورة الحج، الآية ٤٦.

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٧٦-٧٨، وانظر منهاج السنة النبوية ٨/ ١٧-١٩، و مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١/ ٢٤٤، ٢٤٥، و١٨/ ٣٣٧، و٣٥/ ١٣٥.

المروي مع ضعفه يدل على نقيض هذا المعنى؛ فإنه قال: «ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك » فدل على أنه قد خلق قبله غيره ، والذي يسميه الفلاسفة العقل الأول ، ليس قبله مخلوق عندهم.

وأيضا فإنه قال: «بك آخذ ، وبك أعطي ، وبك الثواب ، وبك العقاب» ، فجعل به هذه الأعراض الأربعة ، وعند أولئك المتفلسفة الباطنية أن جميع العالم صدر عن العقل الأول، وهو رب السماوات والأرض وما بينهما عندهم، وإن كان مربوباً للواجب بنفسه ، وهو عندهم متولد عن الله ، لازم لذاته...

وأيضاً فإن العقل في لغة المسلمين عرض من الأعراض ، قائم بغيره ، وهو غريزة ، أو علم ، أو عمل بالعلم ، ليس العقل في لغتهم جوهراً قائماً بنفسه ، فيمتنع أن يكون أول المخلوقات عرضاً قائماً بغيره ، فإن العرض لا يقوم إلا بمحل ، فيمتنع وجوده قبل وجود شيء من الأعيان ، وأما أولئك المتفلسفة ففي اصطلاحهم أنه جوهر قائم بنفسه ، وليس هذا المعنى هو معنى العقل في لغة المسلمين ، والنبي ﷺ خاطب المسلمين بلغة العرب ، لا بلغة اليونان ، فعلم أن المعنى الذي أراده المتفلسفة لم يقصده الرسول ، لو كان تكلم بهذا اللفظ ، فكيف إذا لم يتكلم به »[(١)].

فالحديث كذب موضوع ، وهو بلفظ «أوّل ما خلق الله العقل» ، بنصب كلمة أول على الظرف ، كما روي «لما خلق الله العقل» إلا أن الحلولية

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٨/ ٣٣٧ ، ٣٣٨.

حرفوا لفظه ، وجعلوه «أول ما خلق الله العقل» بالضم ، ليوافقوا قول الفلاسفة أتباع أرسطو وغيره ، في أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل ، ومنه فاضت بقية الأشياء ، وبذلك يكونون قد استدلوا على عقيدتهم الحلولية[١] ، إلا أن دليلهم موضوع لم يثبت عن رسول الله ﷺ ، وبالتالي فإنه لا حجة لهم به ، ولو فرضت صحته فإنه لا حجة لهم به ، إذ معناه يخالف ما استدلوا به عليه.

* * *

(١) انظر المصدر السابق ٢٧/ ٢٤٢ ، و٣٥/ ١٣٥ .

المطلب الرابع

استدلالهم بحديث « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه »[(١)]

وبعض طوائف الحلولية حرفوا «مولاه» الثانية إلى (معناه) ، وذلك أنهم زعموا أن الألوهية لها «اسم» و«معنى» ، أي «ظاهر» و«باطن» ، وأن باطنها ومعناها هو علي بن أبي طالب ثم أولاده من بعده ، ولهذا حرفوا «مولاه» إلى (معناه) أي إلهه ، فهو عندهم إمام في الظاهر ، وإله في الباطن ، وذلك أنهم يعتقدون أن حلول الإله يحدث في سلسلة أشخاص منذ آدم ، وفي كل زمان يكون هناك اسم ومعنى ، أو ظاهر وباطن ، فالاسم أو الظاهر ، هو الواسطة ، والمعنى أو ما قد يعبرون عنه بالباطن ، هو الشخص الذي حل فيه الإله[(٢)] ، كما سبق توضيح عقيدتهم هذه في المطلب السابع[(٢)].

* النقض :

أما تحريف كلمة «مولاه» إلى (معناه) فكذب ، فلم ترد في أي كتاب من كتب السنة ، فلم يقلها رسول الله ﷺ قطعاً ، بل هي من وضع طائفة النصيرية الحلولية ونحوهم.

---

(١) انظر تخريجه في المتن.

(٢) انظر عقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة ١/ ٤٧ ، والجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص١٧ ، ١٨ ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص٢٤٨ ، وطائفة النصيرية ص١٢٤.

وكذلك زيادة «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ، فلا ريب أنها كذب، كما قرر أهل العلم بالحديث والسنة[١].

وأما قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٢] ، فيقول شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية: «ليس هو في الصحاح ، لكن هو مما رواه العلماء ، وتنازع الناس في صحته ، فنقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضعفوه ، ونقل عن أحمد بن حنبل أنه حسّنه كما حسنه الترمذي... ، قال ابن حزم: «وأما حديث من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فلا يصح من طريق الثقات أصلاً»[٣]....

ونحن نجيب بالجواب المركب فنقول: إن لم يكن النبي ﷺ قاله فلا كلام ، وإن كان قاله فلم يرد به قطعاً الخلافة بعده؛ إذ ليس في اللفظ ما يدل

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٥/ ٣١٩.

(٢) الوارد في هذا الحديث الذي ذكروه فقط قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقد أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ح٣٧١٣ ، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٦٨، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، وأخرجه ابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ح٩٣ ، وقال ابن الجوزي: «وهذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به » ، انظر العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ١/ ٢٣٣ وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن الترمذي ٤/ ٥٢٢، ح٣٧١٣ ، وفي صحيح الجامع الصغير ٢/ ١١١٢، ح٦٥٢٣.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٢٢٤.

عليه ، ومثل هذا الأمر العظيم يجب أن يبلّغ بلاغاً مبيناً ، وليس في الكلام ما يدل دلالة بينة على أن المراد به الخلافة »[1] ، قال ذلك شيخ الإسلام راداً على من زعم أن هذا الحديث يدل على النص على خلافه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وإذا كان ذلك كذلك فالرد على من استدل به على حلول الله فيه أولى؛ إذ لا دلالة فيه على ذلك ألبتة ، إلا عند من يقرر عقيدة من تلقاء نفسه ثم يحرف النصوص الشرعية لتتوافق مع ما قرره من عقيدة تخالف المنقول والمعقول والفطر السليمة.

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: «وأما قوله: « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه.. إلخ » فهذا ليس في شيء من الأمهات ، إلا في الترمذي ، وليس فيه إلا: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ، وأما الزيادة فليست في الحديث، وسئل عنها الإمام أحمد فقال: «زيادة كوفية»، ولا ريب أنها كذب »[2].

ومن دلائل كذبها وعدم ثبوتها، «أن الحق لا يدور مع معين إلا النبي ﷺ؛ لأنه لو كان كذلك لوجب اتباعه في كل ما قال ، ومعلوم أن علياً ينازعه الصحابة وأتباعه في مسائل وجد فيها النص يوافق من نازعه ، كالمتوفى عنها زوجها وهي حامل »[3].

---

(١) منهاج السنة النبوية ٥/ ٢١٩ - ٣٢٢.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٤١٨.

(٣) المصدر السابق ص٤١٨.

فقوله « اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه» «مخالف لأصل الإسلام؛ فإن القرآن قد بين أن المؤمنين إخوة مع قتالهم وبغي بعضهم على بعض.

أما قوله: « من كنت مولاه فعلي مولاه » فمن أهل الحديث من طعن فيه كالبخاري وغيره ، ومنهم من حسنه؛ فإن كان قاله فلم يرد به ولاية مختصاً بها بل ولاية مشتركة ، وهي ولاية الإيمان التي للمؤمنين ، والموالاة ضد المعاداة ، ولا ريب أنه يجب موالاة المؤمنين على سواهم ، ففيه رد على النواصب »[1].

وبهذا نعرف بطلان استدلال أصحاب الحلول بهذا الدليل.

* * *

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

المطلب الخامس

استدلالهم بحديث[(١)] « كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان »

هذا الحديث يستدل به أصحاب الاتحاد ووحدة الوجود، على أنه ما ثم إلا وجود واحد، وهو وجود الله، إذ هو عين وجود المخلوقات، فالخالق والمخلوق عين واحد، وما ثم اثنينية ولا تعدد[(٢)].

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «ومن أعظم الأصول التي يعتمدها هؤلاء الاتحادية الملاحدة، المدعون للتحقيق والعرفان، ما يأثرونه عن النبي ﷺ قال: « **كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان** »... »[(٣)].

ثم بين رحمه الله «أن منهم من يتأولها على أنه ليس معه الآن موجود، بل وجوده عين وجود المخلوقات، كما يقوله أهل وحدة الوجود الذين يقولون: عين وجود الخالق هو عين وجود المخلوق »[(٤)].

* **النقض :**

أول الحديث الذي ذكروه ثابت وهو قوله ﷺ: « **كان الله ولا شيء معه** »،

---

(١) انظر تخريجه في المتن.

(٢) انظر حقيقة مذهب الاتحاديين ص٩٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٢٤.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ٢٧٢.

(٤) المصدر السابق ١٨/ ٢٢١، ٢٢٢.

أما آخره، وهو قوله: « **وهو الآن على ما عليه كان** » فهي عبارة زائدة، موضوعة، وضعها بعض الناس، وليست في شيء من الروايات ألبتة[(١)].

أما الثابت فعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **يا بني تميم اقبلوا البشرى** » قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، فأقبل على أهل اليمن فقال: « **يا أهل اليمن، اقبلوا البشرى، إذ لم يقبلها بنو تميم** »، فقالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: « كان الله ولم يكن شيء قبله، وفي لفظ «معه»، وفي لفظ: «غيره»، «وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض»، وفي لفظ « ثم خلق السماوات والأرض »، يقول الراوي: ثم جاءني رجل فقال: أدرك ناقتك، فذهبت فإذا السراب ينقطع دونها، فوالله لوددت أني تركتها ولم أقم[(٢)].

هذا هو الحديث، ليس فيه العبارة التي ذكرها الحلولية، وإنما هي من وضعهم، ليستدلوا بها على عقيدتهم الباطلة، وليس في هذا الحديث الصحيح، ما يدل على قولهم ألبتة، بل هو يناقض عقيدة الحلول والاتحاد

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٨/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ ح٣١٩١، وفي كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) ح٧٤١٨.

ووحدة الوجود؛ فمراده ﷺ في الحديث« **إخباره عن خلق هذا العالم المشهود ، الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش ، كما أخبر القرآن العظيم بذلك في غير موضع فقال تعالى:** ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[١].

وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: « **قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء** »[٢] ، فأخبر ﷺ أن تقدير خلق هذا العالم المخلوق في ستة أيام ، وكان حينئذ عرشه على الماء[٣] ، وكل هذا يدل دلالة واضحة على أن الخلق غيره سبحانه وتعالى ، وعدم حلوله أو اتحاده فيه ، ولهذا استدل العلماء بقوله ﷺ : « **كان الله ولم يكن شيء غيره** » وفي رواية « **ولم يكن شيء قبله** » ، وأخرى « **ولم يكن شيء معه** » على حدوث العالم ، لأن كل ما سوى الله وجد بعد أن لم يكن موجوداً ، كما استدل به على أولية الله وأزليته[٤].

---

(١) سورة هود ، الآية ٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح٢٦٥٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٨/ ٢١٠-٢١٢.

(٤) انظر فتح الباري ١٣/ ٤٠٥ - ٤١٠.

فالثابت عن رسول الله ﷺ في هذه المسألة، ما رواه عمران ابن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض** » وفي رواية « **ثم خلق السماوات والأرض** »(١).

وهذا هو لفظ الحديث المعروف عند علماء الحديث، الذي أخرجه أصحاب الصحيح.

وهذا الحديث إنما ينفي وجود المخلوقات من السماوات والأرض، وما فيها من الملائكة، والإنس والجن، ولا ينفي وجود العرش ألبتة؛ ولهذا ذهب كثير من السلف والخلف إلى أن العرش متقدم على القلم واللوح، مستدلين بهذا الحديث، وحملوا قوله ﷺ: « **أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة** »(٢)، على هذا الخلق المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾(٣).

---

(١) سبق تخرجه قبل قليل.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، ح٤٧٠٠، والترمذي في سننه، كتاب القدر، باب ١٧، ح٢١٥٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٤٥٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ح١٣٣.

(٣) سورة هود، الآية ٧.

وهذا نظير حديث أبي رزين العقيلي أنه سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال ﷺ: « **كان في عماء ، ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء** »[١]؛ فالخلق المذكور في هذا الحديث لم يدخل فيه العماء[٢].

أما زيادة قوله: « وهو الآن على ما عليه كان » فهي زيادة باطلة لا تثبت ، ولم ترد عن الرسول ﷺ ، يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «وهذه الزيادة وهو قوله: « وهو الآن على ما عليه كان » كذب مفترى على رسول الله ﷺ ، اتفق أهل العلم بالحديث على أنه موضوع مختلق ، وليس هو في شيء من دواوين الحديث ، لا كبارها ولا صغارها ، ولا رواه أحد من أهل العلم بإسناد ، لا صحيح ولا ضعيف ، ولا بإسناد مجهول ، وإنما تكلم بهذه الكلمة بعض متأخري متكلمة الجهمية ، فتلقاها منهم هؤلاء [يشير إلى الاتحادية الملاحدة] ، الذين وصلوا إلى آخر التجهم ، وهو التعطيل والإلحاد ، ولكن أولئك [بعض متأخري متكلمة الجهمية] يقولون: كان الله ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن على ما عليه كان ، فقال هؤلاء [الاتحادية

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة هود ، ح٣١٠٩ ، وقال: هذا حديث حسن ، وأخرجه ابن ماجة ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ح٢٨١ ، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ١١ ، ١٢ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص٣٢٨ ، وضعيف ابن ماجة ح٢٨١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ٢٧٥.

الملاحدة] كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان »[(١)].

وبعض هؤلاء الاتحادية اعترف بأن قوله « وهو الآن على ما عليه كان » ليست من كلام رسول الله ﷺ ، وإنما هي من زيادة رؤوس الجهمية ونحوهم ، فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن محيي الدين بن عربي ، وهو أحد غلاة الصوفية قوله: «وكذلك جاء في السنة: « كان الله ولا شيء معه » وزاد العلماء: « وهو الآن على ما عليه كان » ، فلم يرجع إليه من خلقه العالم وصف لم يكن عليه ، ولا عالم موجود ، فاعتقد فيه من التنزيه مع وجود العالم ما تعتقده فيه ولا عالم ولا شيء سواه »[(٢)] ، يقول شيخ الإسلام: «وهذا الذي قاله هو قول كثير من متكلمي أهل القبلة ، ولو ثبت على هذا لكان قوله من جنس قول غيره ، لكنه متناقض ، ولهذا كان مقدم الاتحادية الفاجر التلمساني يرد عليه في مواضع يقرب فيها إلى المسلمين ، كما يرد عليه المسلمون المواضع التي خرج فيها إلى الاتحاد »[(٣)].

ثم قال شيخ الإسلام ، مرة أخرى عن الزيادة ، بأنها: (كذب مختلق على النبي ﷺ لم يقلها ، ولم يروها أحد من أهل العلم ، ولا هي في شيء من دواوين الحديث ، بل اتفق العارفون بالحديث على أنها موضوعة ، ولا

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ٢٧٢ وانظر ١٨/ ٢٢١ ، ٢٢٢.

(٢) انظر المصدر السابق ٢/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، وانظر كلام ابن عربي في كتابه: ما لا بد للمريد منه.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ٢٧٣.

تنقل هذه الزيادة عن إمام مشهور في الأمة بالإمامة ، وإنما مخرجها ممن يعرف بنوع من التجهم ، وتعطيل بعض الصفات »[١].

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الجهمية وضعوا تلك الزيادة في الحديث ، ويقصدون بها نفي صفات الله تعالى ، التي وصف بها نفسه ، كصفة الاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ، ونحو ذلك ، فقالوا: كان في الأزل ليس مستوياً على العرش ، وهو الآن على ما عليه كان ، أي ليس على العرش ، إذ يقتضي القول بأنه عليه تحولاً وتغيراً ، وذلك مخالف للحديث ، أي للزيادة التي وضعوها[٢].

ويجيبهم أهل السنة والإثبات -كما يقول شيخ الإسلام- بجوابين: «أحدهما: أن المتجدد نسبة وإضافة بينه وبين العرش: بمنزلة المعية... ، وتجدد النسب والإضافات متفق عليه بين جميع أهل الأرض ، من المسلمين ، وغيرهم؛ إذ لا يقتضي ذلك تغيراً ولا استحالة.

والثاني: أن ذلك وإن اقتضى تحولاً من حال إلى حال ، ومن شأن إلى شأن ، فهو مثل مجيئه ، وإتيانه ، ونزوله ، وتكليمه لموسى ، وإتيانه يوم القيامة في صورة ، ونحو ذلك مما دلت عليه النصوص ، وقال به أكثر أهل السنة والحديث ، وكثير من أهل الكلام ، وهو لازم لسائر الفرق »[٣].

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٧٤ ، ٢٧٥.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٧٤.

هذا هو أصل وضع الزيادة ، وسببه ، أما عند الجهمية الاتحادية ، الذين تابعوهم عليها فقالوا: « وهو الآن على ما عليه كان » ، أي ليس معه غيره ، كما كان في الأزل ولا شيء معه ، يقصدون بذلك أن الكائنات ليست غيره ولا سواه ، فليس إلا هو ، ليس معه شيء آخر ، لا أزلاً ولا أبداً ، قالوا ذلك ليتوصلوا إلى الاستدلال على عقيدتهم الباطلة ، التي قرروها ، ثم حرفوا النصوص الشرعية ومعانيها ، ليوهم تحريفهم أنها تدل على تلك العقيدة ، وهي القول بأن الله تعالى عين الموجودات ، ونفس الكائنات ، فجعلوا المخلوقات المصنوعات هي نفس الخالق البارئ المصور(١).

ثم ذكر شيخ الإسلام أن زيادتهم عبارة « وهو الآن على ما عليه كان » باطلة مخالفة للكتاب والسنة والإجماع والاعتبار ، والدليل على بطلانها ومخالفتها عدة وجوه:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه مع عباده ، عموماً وخصوصاً ، وذلك في آيات كثيرة ، هي آيات المعية التي سقتها في غير هذا الموضع من هذا البحث.

فلو كان الخلق عموماً وخصوصاً ليسوا غيره ، ولا هم معه ، بل ما معه شيء آخر: امتنع أن يكون هو مع نفسه وذاته؛ فإن المعية توجب شيئين: كون أحدهما مع الآخر ، فلما أخبر الله أنه مع هؤلاء ، علم بطلان زيادتهم (وهو

---

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

الآن على ما عليه كان) لا شيء معه، بل هو عين المخلوقات، وأيضاً فن المعية لا تكون إلا من الطرفين، فإن معناها المقارنة والمصاحبة؛ فإذا كان أحد الشيئين مع الآخر: امتنع أن لا يكون الآخر معه، فمن الممتنع أن يكون الله مع خلقه، ولا يكون لهم وجود معه، ولا حقيقة أصلاً، بل هم هو.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾[2]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

فنهاه الله تعالى أن يجعل أو يدعو معه إلهاً آخر، ولم ينهه أن يثبت معه مخلوقاً، أو يقول: إن معه شيئاً موجوداً خلقه، كما قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولم يقل: لا موجود إلا هو، أو لا هو إلا هو، أو لا شيء إلا هو: بمعنى أنه تعالى نفس الموجودات وعينها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[4]، أثبت وحدانيته في الألوهية، ولم يقل: أن الموجودات واحد.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٣.

(٣) سورة القصص، الآية ٨٨.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

فنهيه في الآيات السابقة أن يجعل معه أو يدعو معه إلهاً آخر دليل على أن ذلك ممكن ، كما فعله المشركون الذين دعوا مع الله آلهة أخرى ، فلو كانت تلك الآلهة هي إياه ، ولا شيء معه أصلاً ، امتنع أن يدعى معه آلهة أخرى.

فهذه النصوص الشرعية تدل على أن معه سبحانه وتعالى أشياء ليست بآلهة، ولا يجوز أن تجعل آلهة، أما عند الاتحاديين فيجوز أن يعبد كل شيء، ويدعى كل شيء؛ إذ لا يتصور أن يعبد غيره؛ فإنه هو الأشياء ، فما حرمه الله ، وجعله شركاً ، جعلوه هم توحيداً ، والشرك عندهم لا يتصور بحال.

الوجه الثالث: أن الله تعالى لما كان ولا شيء ، لم يكن معه سماء ، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جن ولا إنس، ولا دواب ولا شجر، ولا جنة، ولا نار، ولا جبال ولا بحار، فإن كان «الآن على ما عليه كان»، يجب أن لا يكون معه شيء من هذه الأعيان ، وهذا مكابرة للعيان ، وكفر بالقرآن والإيمان.

الوجه الرابع: أن الله كان ولا شيء معه،ثم كتب في الذكر كل شيء ، كما جاء في الحديث الصحيح ، فإن كان لا شيء معه سبحانه فيما بعد ، فما الفرق بين حال الكتابة وقبلها ، وهو عين الكتابة واللوح عند الاتحاديين وأصحاب وحدة الوجود[1].

وبهذا يبطل استدلال الحلولية والاتحادية ، وأصحاب وحدة الوجود وأمثالهم.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٢/ ٢٧٦-٢٧٨ بتصرف يسير.

المطلب السادس

استدلالهم بحديث « إن الله تعالى خلق آدم على صورته »[(١)]

قالت الحلولية بأن معنى الحديث: إن الله خلق آدم على صورة الله نفسه ، وبذلك يكون آدم إلهاً كالصورة التي خلق عليها ، وعند بعضهم أن المراد بالله في الحديث هو عيسى بن مريم ، فهو الذي خلق آدم على صورته ، لأن المسيح عيسى ابن مريم – على حد زعمهم – ابن الله على معنى دون الولادة، ففيه جزء إله ، وأن هذه الألوهية انتقلت منه إلى آدم[(٢)].

* **النقض :**

الحديث ثابت عن رسول الله ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: « **خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال: السلام عليكم ، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستئذان ، باب بدء السلام ، ح٦٢٢٧ ، وأخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن ضرب الوجه ، ح٢٦١٢.

(٢) انظر الملل والنحل ١/ ٥١ ، وخبيئة الأكوان ص١٩ ، ومعجم الفرق الإسلامية ص٨٩ ، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٨٩ ، ٩٠ ، والتقمص ص٤٦ ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٦٠.

آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن »[١].

وفي رواية أخرى: « إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته »[٢].

وفي رواية ثالثة: « لا تقبحوا الوجه ، فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن »[٣].

أما استدلال الحلولية بهذا الحديث فباطل من أساسه ، إذ أن الأصل الذي بنوا عليه استدلالهم باطل لا أصل له ، وهو زعمهم ألوهية المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، موافقة لقول النصارى ، والكتاب والسنة والعقل والفطرة على خلاف قولهم؛ إذ ينزه الله تعالى عن الشرك في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، كما ينزه سبحان وتعالى عن التمثيل والتشبيه والتعطيل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستئذان؛ باب بدء السلام ، ح٦٢٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن ضرب الوجه ح٢٦١٢.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ١/ ٢٦٨ ح٤٩٨ ، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ ح٥١٧ و٥١٨ ، وابن خزيمة في التوحيد ص٣٨ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٩ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وصححه إسحاق بن راهوية وأحمد بن حنبل ، والذهبي انظر ميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٠ ، وفتح الباري ٥/ ١٨٣.

وهذا الدليل الذي ذكروه ليس فيه إشارة إلى عقيدتهم الباطلة ، بل وليس فيه ما يدل على أن الضمير في قوله ﷺ « على صورته » يعود إلى عيسى بن مريم ، ولم يقل هذا أحد من أهل العلم ألبتة ، ولا قرينة تدل على ذلك ، لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما هي كعادة أهل الإلحاد والتحريف ، يقررون عقيدة من أنفسهم ، ثم يلوون أعناق النصوص الشرعية بتفسيراتهم المنحرفة لتتوافق مع ما قرروه.

وقد رد الله تعالى على النصارى الذين قالوا بان المسيح ابن الله ، وكفرهم بهذا القول ، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[1] ، وذلك في آيتين من كتاب الله تعالى.

كذلك رد عليهم وكفرهم حين زعموا ألوهية المسيح ، وأن الله أصبح بذلك ثالث ثلاثة ، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[2].

ثم تأمل قول الله تعالى في تمام الآية الأولى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١٧ ، وكذلك الآية ٧٢.

(٢) سورة المائدة ، الآية ٧٣.

(٣) سورة المائدة ، الآية ١٧.

يقول ابن كثير ت٧٧٤هـ ، في تفسير هذه الآية: « يقول الله مخبراً وحاكما بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم ، وهو عبد من عباد الله ، وخلق من خلقه ، أنه هو الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء ، وكونها تحت قهره وسلطانه: « قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً » ، أي لو أراد ذلك فمن ذا الذي يمنعه منه ، أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ، ثم قال: « ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء » ، أي جميع الموجودات ملكه وخلقه ، وهو القادر على ما يشاء ، لا يسأل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته ، وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة »[(١)].

وقوله تعالى في تمام الآية الثانية: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[(٢)]، ثم قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٨٧٢.

(٢) سورة المائدة ، الآية ٧٢.

ﭐبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[١] ، إلى آخر الآيات التي بين الله فيها بطلان عقيدتهم الحلولية في عيسى بن مريم عليه السلام.

يقول ابن كثير عند تفسيره للآيات السابقة: «يقول تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى ، من الملكية واليعقوبية والنسطورية ، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله ، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً ، هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد الله ورسوله ، وكان أول كلمة نطق بها ، وهو صغير في المهد أن قال: إني عبد الله ، ولم يقل: أنا الله ولا ابن الله ، بل قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾[٢] ، إلى أن قال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[٣] ، وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته ، آمراً لهم بعبادة ربه وربهم ، وحده لا شريك له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾[٤] ، أي فيعبد معه غيره ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[٥] ، أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة »[٦].

---

(١) سورة المائدة ، الآيات ٧٣-٧٥.

(٢) سورة مريم ، الآية ٣٠.

(٣) سورة مريم ، الآية ٣٦.

(٤) سورة المائدة ، الآية ٧٢.

(٥) سورة المائدة ، الآية ٧٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٣٦.

أما حديث: « إن الله خلق آدم على صورته » ، فقد قال بعض أهل العلم بأن الضمير في قوله: « على صورته » يعود إلى آدم ، ويكون المراد بأن الله خلق آدم على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط ، وإلى أن مات؛ وذلك رفعاً لتوهم من قد يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى ، أو ابتدأ خلقه كما وجد ، لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة ، أو أنه رد على الدهرية والطبائعيين ، المنكرين وجود الله وخلقه وتصويره(١).

وقال بعضهم بأن الضمير يعود إلى المضروب ، لأنه تقدم الأمر بإكرام وجهه(٢).

وبعضهم أنكر ثبوت الحديث ، ولذا نهى عن التحدث به(٣).

والصحيح أن الضمير في قوله « على صورته » يعود إلى الله ، ولهذا فإن «الصورة» صفة ثابتة لله عز وجل ، كما يليق بجلاله وعظمته بلا كيف(٤).

يقول ابن قتيبة: «والذي عندي والله أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين ، والأصابع ، والعينين؛ فإنما وقع الألف لتلك لمجيئها في القرآن ، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ، ونحن نؤمن بالجميع ، ولا نقول في شيء منه بكيفية »(٥).

---

(١) انظر التوحيد لابن خزيمة ص٣٦-٤١ ، وفتح الباري ١١/ ٣ ، وتأويل مختلف الحديث ص٢١٩.

(٢) انظر التوحيد لابن خزيمة ص٣٧ ، وفتح الباري ٥/ ١٨٣.

(٣) انظر الضعفاء الكبير ٢/ ٢٥١ ، ٢٥٢ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٤١٩.

(٤) انظر التوحيد لابن خزيمة ص٣٨ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٤٠ ، وفتح الباري ٥/ ١٨٣.

(٥) تأويل مختلف الحديث ص٢٢١.

وقال ابن حجر ت٨٥٢هـ: «والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر، وغير ذلك، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء»[1].

وقال أبو بكر الآجري ت٣٦٠هـ: «باب: الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف»، فساق الأدلة من كلام الرسول ﷺ على ذلك، ثم قال: «هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين»[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الحديث لم يكن بين السلف نزاع في أن الضمير عائد إلى الله؛ فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك»[3].

وقال قوّام السنة أبو القاسم الأصبهاني ت٥٣٥هـ: «ومن مذهب أهل السنة أن كل ما سمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله نحو حديث النبي ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته**»، وأشباه ذلك، فعليه التسليم والتصديق

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣.

(٢) الشريعة ص٣١٤، ٣١٥.

(٣) نقض تأسيس الجهمية، نقلاً عن عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن ص٥٤.

والتفويض والرضا ، لا يتصرف في شي منها برأيه وهواه ، من فسر من ذلك شيئاً برأيه وهواه فقد أخطأ وضل »[١] ، فنصوص الأسماء والصفات لله تعالى يؤمن بألفاظها الواردة في الكتاب والسنة ، وبما دلت عليه من معان ، أما كيفياتها فتفوّض إلى الله تعالى؛ إذ لا نعلمها.

وقال الأصبهاني أيضاً في موضع آخر: «فصل في الرد على الجهمية الذين أنكروا صفات الله عز وجل ، وسموا أهل السنة مشبهة ، وليس قول أهل السنة أن لله وجهاً ويدين ، وسائر ما أخبر الله تعالى به عن نفسه موجباً تشبيهه بخلقه ، وليس روايتهم حديث النبي ﷺ: **«خلق الله آدم على صورته»** بموجبة نسبة التشبيه إليهم ، بل كل ما أخبر الله به عن نفسه ، وأخبر به رسوله ﷺ وحق، وقول رسوله حق، والله أعلم بما يقول ورسوله ﷺ أعلم بما قال، وإنما علينا الإيمان والتسليم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل »[٢].

فهذا الحديث لا يقتضي مشابهة ولا مماثلة لله تعالى ، وبالتالي فهو من باب أولى لا يقتضي حلولاً ، أو وصفاً بالألوهية لآدم عليه السلام ، أو لأحد من الخلق.

* * *

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٤٣٥.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٨٥-٢٨٧ ، وانظر ١/ ٢٩٠ ، ٢٩١.

المطلب السابع

استدلالهم بحديث « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون في رؤيته »[(١)]

زعمت بعض طوائف الحلولية المنتسبة إلى الإسلام أن قوله ﷺ: « إنكم سترون ربكم... » الحديث ، معناه أنكم سترون عيسى بن مريم ، إذ هو ربكم ، حيث أصبح كذلك عندما حل فيه الإله ، فالمسيح تدرع بالجسد الجسماني ، فهو الكلمة القديمة المتجسدة.

وعند بعضهم أن المراد بقوله: « **إنكم سترون ربكم** » أي سترون العقل الأول الذي هو – على حد زعمهم- أول مبدع ، وهو ما يسمونه بالعقل الفعال ، «الذي منه فاضت الصور على الموجودات» ، فهو الذي يظهر يوم القيامة ، وترتفع الحجب بينه وبين الصور التي فاضت منه ، فيرونه كمثل القمر ليلة البدر[(٢)].

---

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) ح٤٥٨١ ، وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ح٧٤٣٧ ، ٧٤٣٩ ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ح١٨٣.

(٢) انظر الملل والنحل ١/ ٥٢ ، ومعجم الفرق الإسلامية ص٨٩ ، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٨٩ ، ٩٠ ، وخبيئة الأكوان ص١٩ ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٦٠.

* **النقض :**

الحديث لا يدل على ما ذكره الحلولية ، ولم يقل بذلك أحد من أهل العلم ، ولا يحتمله اللفظ ، ولا قرينة تدل على ذلك ، فمن أين لهم الزعم بأن المراد برؤية الرب ، أي عيسى بن مريم ، أو العقل الأول ، فالحديث يقول فيه رسول الله ﷺ ، الذي لا ينطق عن الهوى: « **إنكم سترون ربكم** » ، وهؤلاء الحلولية يأبون إلا أن يحرفوا الكلام عن موضعه الصحيح إلى عقيدة باطلة من أساسها ، وإلا فكيف يزعمون ألوهية المسيح عيسى بن مريم ، أو ألوهية العقل الأول ، أو حلول الرب في كل مكان ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وإنما الحديث يدل على ظاهره من أن المؤمنين يرون الله حقيقة عياناً بالأبصار يوم القيامة ، في الجنة ، كما دل على ذلك كتاب الله تعالى ، في مثل قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] ، فقد قال أهل اللغة بأن النظر إذا قرن بالوجه وعدي بحرف الجر اقتضى نظر العين[2] ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[3] ، فالحسنى الجنة والزيادة هي النظر إلى الله جلا وعلا ، كما روى صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « **إذا دخل**

(١) سورة القيامة ، الآية ٢٣.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٩.

(٣) سورة يونس ، الآية ٢٦.

أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تروه ، قال فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ، ويزحزحنا عن النار ، ويدخلنا الجنة ، قال فيكشف الحجاب عز وجل ، فينظرون إليه ، فو الله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم مما هم فيه ، ثم قرأ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »[(١)] ، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[(٢)] ، قال الشافعي ت٢٠٤هـ: «لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا »[(٣)].

أما الأدلة من السنة على أن المراد بهذا الحديث هو رؤية الله تعالى في الآخرة ، فكثيرة جداً ، حتى قال بعض أهل العلم بأنه قد روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية نحو من ثلاثين نفساً[(٤)] ، وقال يحيى بن معين ت٢٣٣هـ: «عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية ، كلها صحاح »[(٥)].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ح١٨١.

(٢) سورة المطففين ، الآية ١٥.

(٣) انظر طبقات الشافعية ٢/ ٨١ ، الاعتقاد ص٥٣ ، والروح ص٢٣٧ ، والحجة في بيان المحجة ٢/ ٢٤٨.

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٥٤٨ ، والحجة في بيان المحجة ٢/ ٢٤٥ ، والروح ص٢٢٣ ، وشرح العقدية الطحاوية ١/ ٢١٧ ، ٢١٨.

(٥) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٥٤٩ ، والحجة في بيان المحجة ٢/ ٢٤٦ ، والروح ص٢٣٣.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « **هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ هل تضارون في القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا ، قال: « **فكذلك ترونه** »[(١)].

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « **إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها** » ، وقرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[(٢)].

وكذا قوله ﷺ: « **أسألك لذة النظر إلى وجهك** »[(٣)] ، والنبي ﷺ لا يسأل سؤالاً مستحيلاً[(٤)].

فهذا الحديث الصحيح يقرر بأن أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ح٧٤٣٧ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ح١٨١.

(٢) سورة ق ، الآية ٣٩ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ ح٤٨٥١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٩١ ، وابن أبي عاصم في السنة ح٤٢٤ ، وقال الألباني: إسناده صحيح ، انظر كتاب السنة ١/ ١٨٥.

(٤) انظر الحجة في بيان المحجة ٢/ ٢٥٠.

سبحان وتعالى ، نسأل الله من فضله ، وهو صريح في ذلك وكذلك الأدلة الأخرى ، فكيف يزعم بأن المرئي هو العقل الأول ونحو ذلك من تحريفات الفلاسفة وأتباعهم؟!

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد، أما بعد:

فقد جلّى هذا البحث أموراً مهمة، منها:

١- أن الحلول، هو اعتقاد بعض الفرق الضالة بأن الله تعالى حال في خلقه، أو في بعضهم، أو أنه حال في الكون كله، ومتحد به، وعند بعضهم أن الوجود واحد، فما ثم خالق ومخلوق.

٢- اعتنقت طوائف كثيرة تنتسب إلى الإسلام، عقيدة الحلول، وقررها أتباعها في كتبهم، وهم فرق عديدة من الرافضة، وغلاة الصوفية، والبهائية والقاديانية، ونحوهم.

٣- أن القول بالحلول مناقض لكلمة التوحيد، فو كفر صريح بالله تعالى، تضمن الإشراك بالله في ربوبيته وألوهيته، كما تضمن وصف الله بالعيوب والنقائص، تعالى الله عما يقوله الحلوليون علواً كبيراً.

٤- للقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود فروع ولوازم خطيرة، تؤدي بأصحابها إلى تصورات شنيعة وأفكار مخالفة لصريح القرآن والسنة.

٥- استدل أصحاب الحلول على عقيدتهم بأحاديث موضوعة، هي إما من وضعهم؛ لتقرير عقيدتهم، أو من وضع غيرهم، وإنما استدلوا بها ليضعوا أصلاً للحلول، ولا أصل له في دين الله تعالى، بل هو مناقض له.

٦- استدل أصحاب الحلول ببعض الآيات القرآنية ، وحرفوا معانيها ، لتتوافق مع عقيدتهم الحلولية؛ ليوهموا العامة والأتباع.

٧- استدل أصحاب الحلول ببعض الأحاديث الصحيحة ، بعد أن حرفوا معانيها ، من أجل أن يخدعوا بها الجهلة من الأتباع.

٨- أن تفسيرهم للآيات ، وكذلك شرحهم للأحاديث التي استدلوا بها على عقيدة الحلول ، هو تفسير وشرح لا يؤيده الكتاب ولا السنة ولا اللغة العربية ، ولم يقل به أحد من المفسرين والعلماء المتبعين ، وأن حقيقته تحريف للكلم عن مواضعه ، وإبعاده عن مراد الله تعالى ، ومراد رسوله ﷺ.

أسأل الله إخلاص النية ، وصلاح العمل ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

* * *

فهرس المصادر المراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة ، أبو الحسن الأشعري ، أشرف على طبعه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢. ابن سبأ حقيقة لا خيال ، سعدي الهاشمي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣. إثبات صفة العلو ، ابن قدامة المقدسي ، الدار السلفية ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، مطبعة الإمام ، مصر.

٥. أخبار القرامطة ، سهيل زكار ، دار الكوثر ، الرياض ، ١٤١٠هـ.

٦. أصول الدين ، عبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

٧. أضواء على العقيدة الدرزية ، أحمد الفوزان ، بدون ذكر دار نشر ، ١٩٧٩م.

٨. الاعتصام ، أبو إسحاق الشاطبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

٩. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، فخر الدين الرازي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٠. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٧٦م.

١١. الأم ، الإمام محمد بن إدريس الشافعي دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٢. الإنسان الكامل، عبد الكريم الجيلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.

١٣. البابية عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمات السنة، لاهور، باكستان، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ.

١٤. الباكورة السليمانية، سليمان أفندي الأذني، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٥. البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة خياط، بيروت، بدون تاريخ.

١٦. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مطبعة كروستان، مصر، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

١٧. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، أبو الفضل السكسكي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٨. بهاء الله والعصر الجديد، إسلمنت البهائي، بدون دار نشر ولا تاريخ.

١٩. البهائية تاريخها وعقيدتها، عبد الرحمن الوكيل، دار المدني، جدة، والقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٢٠. بيان تلبيس الجهمية، أبو العباس أحمد بن تيمية، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٢١. تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب، جار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢٢. تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون ذكر المكان، ١٩٨٧م.

٢٣. تأويل مختلف الحديث ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

٢٤. التبصير في الدين ، أبو المظفر الإسفراييني ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٢٥. التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٦. تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي ، منشورات الأعلمي ، طهران ، بدون تاريخ.

٢٧. التقمص ، أمين طليع ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٢٨. التمهيد ، أبو عمر يوسف بن عبد البر ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ١٣٨٧هـ.

٢٩. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، أبو الحسين محمد الملطي ، رمادي للنشر ، الدمام ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٠. تهذيب تاريخ دمشق ، علي بن الحسن ابن عساكر ، تهذيب عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ.

٣١. جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ، عبد الأمير مهنا وعلي خريس ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٣٢. الحاوي للفتاوي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المكتبة التجارية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ.

٣٣. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، قوم السنة الأصبهاني ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٤. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد أحمد الخطيب، عالم الكتب، الرياض ١٤٠٤هـ.

٣٥. حركات الغلو والتطرف في الإسلام، أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٦. حركة الغلو وأصولها الفارسية، نظلة الجبوري، مكتبة ابن تيمية.

٣٧. خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان، محمد صديق حسن خان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٨. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧١م.

٣٩. درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، أشرف على طبعه جامعة الإمام، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٤٠. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٤١. دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، بد الله الأمين، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٢. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، أحمد محمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٠٦هـ.

٤٣. ديوان ابن هانئ الأندلسي، أبو القاسم محمد بن هانئ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.

٤٤. ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين، عبد الله بن أسعد اليافعي، دار البخاري، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٥. رد الدارمي عثمان بن سعيد علي بشر المريسي العنيد، الإمام الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

٤٦. الرد على الجهمية، أبو سعيد الدارمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.

٤٧. الرد على الجهمية والزنادقة، الإمام أحمد بن حنبل، دار اللواء، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٤٨. الرسائل السبع في العقائد شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، شرح أبو منصور الماتريدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد، الهند ١٣٦٧هـ.

٤٩. سنن ابن ماجة، أبو عبدا لله محمد بن يزيد بن ماجة، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٥٠. سنن أبي داود، أبو داود سليمان في الأشعث السجستاني، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٥١. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٥٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٥٣. السنة، عبد الله بن الإمام أحمد، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٥٤. السنة، ابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٥٥. السنة، أبو بكر أحمد الخلال، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٥٦. سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٥٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، هبة الله اللالكائي ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ.

٥٨. شرح الشفاء للقاضي عياض ، شرح الملا علي القاري ، دار الباز ، مكة المكرمة ، ودار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ.

٥٩. شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن أبي العز الحنفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٦٠. شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.

٦١. شرح مشكلات الفتوحات المكية لابن عربي ، شرح عبد الكريم الجيلي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٦٢. شرح المقاصد ، سعود بن عمر التفتازاني ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

٦٣. شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن أبي الحديد ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.

٦٤. الشريعة ، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٦٥. شعر ابن الفارض ، عبد الخالق محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.

٦٦. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٦٧. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٦٨. صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٦٩. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٧٠. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٧١. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمي والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٧٢. صراع بين الحق والباطل، سعد صادق محمد؟، دار اللواء، الرياض، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ.

٧٣. طائفة الإسماعيلية، محمد كامل حسين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩م.

٧٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٥. ظهر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.

٧٦. عقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة، سهير محمد علي الفيل، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٧٧. عقيدة الدروز ، محمد أحمد الخطيب ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٧٨. عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، أبو عثمان الصابوني ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٧٩. العقيدة الطحاوية ، أبو جعفر الطحاوي ، شرح وتعليق الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٨٠. العلو للعلي الغفار ، الإمام الذهبي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.

٨١. العلويون أو النصيرية، عبد الحسين مهدي العسكري ، شركة الشعاع للنشر، الكويت ، ١٤٠٠هـ.

٨٢. الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ، عبد الله سلوم ، دار الحرية ، بغداد ١٩٧٢م.

٨٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت.

٨٤. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٨٥. الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٨٦. فرق الشيعة ، الحسن بن موسى النوبتجي ، دار الأضواء ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٨٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٨٨. فصوص الحكم ، محيي الدين بن عربي ، تعليق أبي العلاء العفيفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٨٩. الفقه الأبسط (العالم والمتعلم) ، الإمام أبو حنيفة النعمان ، تحقيق زاهد الكوثري ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ.

٩٠. الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٠م.

٩١. القاديانية دراسات وتحليل ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة السادسة عشرة ١٤٠٤هـ.

٩٢. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٣٩٨هـ.

٩٣. كتاب الطواسين ، الحسين بن منصور الحلاج ، دار النديم ، القاهرة ، ١٩٨٩م.

٩٤. كنز الولد ، إبراهيم بن الحسين الحامدي ، تحقيق مصطفى غالب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩١هـ.

٩٥. لسان العرب ، ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت.

٩٦. لوامع الأنوار البهية ، محمد بن أحمد السفاريني ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٩٧. مجمع الزوائد، الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

٩٨. مجموعة الرسائل والمسائل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار الباز للنشر والتوزيع.

٩٩. مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب ابن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٠٠. مختصر الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض.

١٠١. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله النيسابوري الحاكم، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

١٠٢. المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

١٠٣. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

١٠٤. المعجم الأوسط، الحافظ أبو القاسم الطبراني، مطبعة الوطن العربي في بغداد، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

١٠٥. معجم الفرق الإسلامية، شريف يحيى الأمين، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٠٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٠٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه أحمد حسن الزيات وآخرون، دار الدعوة، استانبول، بدون تاريخ.

١٠٨. معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المكتبة التجارية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

١٠٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن الأشعري ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

١١٠. الملل والنحل ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ.

١١١. منهاج السنة النبوية ، أبو العباس أحمد بن تيمية ، أشرف على طباعته جامعة الإمام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١١٢. المواقف في علم الكلام ، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ.

١١٣. المواقف والمخاطبات ، محمد بن عبد الجبار النفري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م.

١١٤. الموسوعة العربية الميسرة ، بإشراف محمد شفيق غربال ، دار إحياء التراث العربي ، ودار الشعب القاهرة.

١١٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، محمد بن أحمد الذهبي ، دار المعرفة ، بيروت.

١١٦. النجوم الزاهرة، يوسف بن تغري بردي ، وزارة الثقافة المصرية ، القاهرة، بدون تاريخ.

١١٧. الهفت الشريف ، المفضل الجعفي ، تحقيق مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، بدون تاريخ.

* * *

ملخص بحث

الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب الحلول عرضها ونقض استدلالهم بها

بدأ هذا البحث بتعريف الحلول في اللغة والاصطلاح، مع ذكر أشهر القائلين به من الفرق المنتسبة للإسلام، وهي فرق كثيرة تتفرع عن الرافضة وغلاة التصوف، والبهائية والقاديانية، ونحوهم.

ثم ذكر الباحث حكم القول بالحلول واعتقاده، وأنه كفر بالله العظيم، مناقض لكلمة التوحيد متضمن للاشتراك بالله في ربوبيته وألوهيته، ووصف لله تعالى بالنقائص والعيوب، ثم أعقب الباحث ذلك بذكر فروع ولوازم خطيرة تلحق بمن قال بالحلول ووحدة الوجود، وتؤدي به إلى تصورات شنيعة.

وقد استعرض الباحث الآيات القرآنية التي استدل بها أولئك الحلولية مبيناً كيف أنهم حرفوا معانيها لتتوافق مع عقيدتهم، كما ذكر الباحث جملة من الأحاديث الموضوعة، التي استدل بها، وهي إما من وضعهم أو من وضع غيرهم، كما أنهم استدلوا بأحاديث صحيحة بعد أن حرفوا معانيها، من أجل أن يخدعوا بها الجهلة من الأتباع.

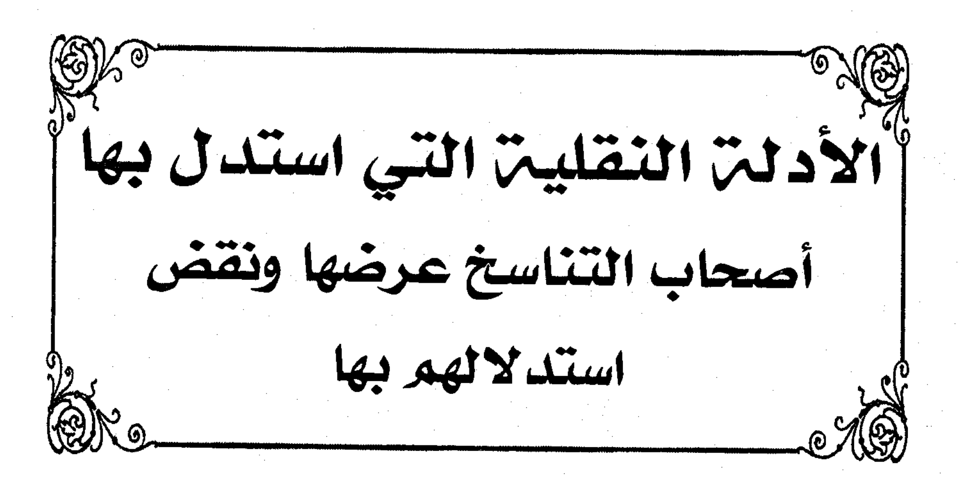
ثم بين الباحث أن تفسيرهم للآيات وكذلك شرحهم للأحاديث التي

استدلوا بها، هو تغيير وشرح لا يؤيده الكتاب ولا السنة، ولا اللغة العربية، ولم يقل به أحد من المفسرين والعلماء المعتبرين، وأن حقيقة تحريف للكلم عن مواضعه وإبعاده عن مراد الله تعالى، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم.

* * *

فهرس الموضوعات

* * *



الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب التناسخ عرضها ونقض استدلالهم بها

إعداد

أ. د. محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في

كلية أصول الدين بالرياض



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فمن المعلوم أن أركان الإيمان ستة، هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، فمن أنكرها، أو أنكر واحداً منها خرج من الإيمان بالكلية، وعُدّ من الكافرين، يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[1].

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والنشور، وهو إحياء الله الخلق بعد موتهم للحساب والجزاء، ثم إلى الجنة أو إلى النار والعياذ بالله تعالى.

وقد دل على البعث والمعاد كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، والعقل والفطرة، وأجمع المسلمون على ثبوته، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية ١٣٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان ١٥ – ١٦.

وقد وجد من ينكر البعث قديماً وحديثاً، من أهل الفلسفة والملل المنحرفة، فمنهم من أنكر معاد الأبدان دون الأرواح، ومنهم من أنكر معاد الأبدان والأرواح جميعاً، ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[1]. وأنكروا الحساب والجزاء.

ومن ملل الكفر من أنكر المعاد وزعم أن الحساب والجزاء يقع في هذه الدنيا فقط، وللأرواح فحسب، فالأرواح الصالحة تنتقل بعد الموت من بدنها إلى أبدان شريفة فاضلة، وهكذا تتنقل الروح بين الأبدان على قدر صلاحها، والأرواح الكافرة والمنحرفة تنتقل بعد موت أبدانها إلى أبدان وضيعة موحشة؛ جزاء على كفرها وانحرافها، وهذا ما يسمى بعقيدة تناسخ الأرواح.

وقد انتقلت هذه العقيدة الفاسدة إلى بعض الفرق التي تنتسب إلى الإسلام، وتأثروا بها، ودرسوها للعوام والأتباع، ومن أجل أن تجد قبولاً عند هؤلاء الجهلة من العوام والأتباع استدلوا على هذه العقيدة الباطلة بأدلة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، بعد أن فسروا تلك النصوص وشرحوها، شرحاً تناسب مع عقيدتهم التناسخية؛ تحريفاً منهم للكلم عن مواضعه، وتأويلاً باطلاً لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ .

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٤.

هذا ومن البلية اعتناء أتباع بعض تلك الفرق بعقيدتهم، وبخاصة في هذه العصور المتأخرة، حيث قاموا بتحقيق كتبهم، وطباعتها ونشرها.

كما أن كثيراً من كتب الملل والنحل والفرق الإسلامية التي تعد مراجعاً يستفيد منها طالب العلم، فيها تصوير لتلك العقيدة، وعرض لبعض تلك الأدلة التي استدل بها أصحاب التناسخ، دون أن نجد نقضاً لها في تلك المصادر والمراجع إلا أشتاتاً متفرقة.

ولهذا رأيت أن أقوم بتتبع الأدلة النقلية، من الكتاب و السنة، التي استدل بها أصحاب التناسخ على عقيدتهم، فأعرضها، ثم أنقض استدلالهم بها مبيناً القول الحق في تفسيرها؛ مستفيداً بذلك من أقوال كبار المفسرين والعلماء المعتبرين.

وللمصلحة العامة فقد رأيت أن أغفل تعيين أسماء تلك الفرق المنتسبة للإسلام، التي تقول بعقيدة التناسخ، إذ الغرض من هذا البحث هو نقض استدلالهم بالأدلة النقلية، بغض النظر عمن استدل بها.

وبخاصة أني وجدت شبه اتفاق من أصحاب التناسخ على الاستدلال بهذه الأدلة، وإن اختلفت تفسيراتهم لمفهوم التناسخ أحياناً.

وقد بدأت البحث بمقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره إجمالاً، والخطة المتبعة في إعداده.

ثم كتبت تمهيداً ذكرت فيه مفهوم الإيمان بالغيب وأهمية الإيمان به.

ثم قسمت البحث إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: مفهوم التناسخ في اللغة و الاصطلاح.

الفصل الثاني: الآيات التي استدل بها أصحاب التناسخ، ونقض استدلالهم بها، وقسمت هذا الفصل إلى مباحث؛ كل دليل ونقض الاستدلال به في مبحث.

الفصل الثالث: الأحاديث التي استدل بها أصحاب التناسخ، ونقض استدلالهم بها، وقد قسمته إلى مباحث؛ كل حديث ونقض استدلالهم به في مبحث.

الفصل الرابع: بينت فيه حكم القول بتناسخ الأرواح.

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وأتبعتها بذكر قائمة بأسماء المصادر و المراجع التي أفدت منها.

أسأل الله إخلاص النية، وصلاح العمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

* * *

التمهيد

الإيمان بالغيب وأهميته

الإيمان بالغيب:

هو الإيمان بكل ما غاب عن العباد، مما جاء خبره في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فيتضمن الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والبعث، والحياة بعد الموت، ولقاء الله تعالى، والجنة والنار، والقدر[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ): « والغيب الذي يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته ،والجنة والنار، فالإيمان بالله ورسله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب، فإن وصف الرسالة هو من الغيب، وتفصيل ذلك هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر »[٢].

ويقول السعدي (ت ١٣٧٦ هـ): « ويدخل في الإيمان بالغيب: الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك، فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفيتها »[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٣/ ٢٣٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٧

فيجب على كل مسلم الإيمان والتسليم الكامل لكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

أهمية الإيمان بالغيب :

للإيمان بالغيب أهمية عظيمة في الدين؛ ولهذا فهو من أبرز صفات عباد الله المتقين، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب »[3].

ويقول السعدي: « ثم وصف الله المتقين بالعقائد والأعمال الباطنة، والأعمال الظاهرة، لتضمن التقوى لذلك فقال: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ فحقيقة الإيمان هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس؛ فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله.

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات ١-٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٣/ ٢٣٢.

فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديق مجرد لله ورسله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به أو أخبر به رسوله، سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء فهمه عقله أو لم يهتدِ إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية؛ لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتدِ إليها، فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله »[(١)].

ولهذا جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: « والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب »[(٢)]، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٣)].

فيجب الإيمان بالغيب، والانقياد لكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٣، ٢٤.

(٢) رواه سعيد بن منصور ٢/ ٥٤٤ رقم ١٨٠، وقال البوصيري: رجاله رجال الصحيحين، انظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٣/ ٦٩، رقم ٢٨٩٩، وصححه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦٠، وصححه المناوي في الفتح السماوي ١/ ١٣٥ رقم ٣٢.

(٣) سورة البقرة الآيات ١-٥.

ﷺ، وعدم التقدم والافتيات عليه بشيء حتى يقضيه الله على لسانه ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول، ولا يتقدم بين يديه؛ بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعلمه تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قال الله والرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل »[2].

ومن الإيمان بالغيب الإيمان باليوم الآخر، الذي هو أحد أركان الإيمان الستة؛ ولأهميته ومكانته العظيمة أكثر الله من ذكره في القرآن الكريم، وسماه بأسماء متعددة، وربط ﷻ الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾[3]،

---

(١) سورة الحجرات الآية ١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٣/ ٦٢، ٦٣.

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٧.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾(١).

وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾(٢).

ومعنى الإيمان باليوم الآخر: التصديق الجازم بإتيانه والعمل بموجبه، ويدخل في الإيمان به: الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وتفاصيل المحشر، ونشر الصحف، ونصب الموازين، والشفاعة، والجنة، والنار(٣).

* * *

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٢.

(٢) سورة الطلاق الآية ٢.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٥٨٨، ٥٨٩، ونواقض الإيمان القولية والعملية ص٢١٩.



الفصل الأول

مفهوم التناسخ في اللغة والاصطلاح

التناسخ في اللغة:

النسخ: الإزالة والتحول والتغيير.

يقال: نسخه به، ينسخه وانتسخه: أزاله به، والشيء ينسخ الشيء نسخاً أي: يزيله ويكون مكانه، كما تقول العرب: نسخت الشمس الظل وانتسخته: أزالته، بمعنى أذهبت الظل وحلت محله، وكذا معنى نسخ الآية بالآية: إزالة حكمها.

والنسخ: نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو، ونسخه: غيّره، ونسخت الريح آثار الديار: غيّرتها، ونسخه: أبطله وأقام شيئاً مقامه.

وقال بعض أهل اللغة: النسخ أن تزيل أمراً كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره.

والنسخ: أن تعمل بالآية ثم تنزل آية أخرى فتعمل بها وتترك الأولى، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[1]، فالآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة.

والنسخ: اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف، والكاتب ناسخ ومنتسخ، والمكتوب المنقول منه النسخة وهو الأصل المنتسخ منه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٦.

ويأتي النسخ في اللغة بمعنى: تبديل الشيء من الشيء وهو غيره، يقال: نُسخ قرداً ومسخ قرداً بمعنى واحد.

والتناسخ والمناسخة في الفرائض: أن تموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم، وكذلك تناسخ الأزمنة: تداولها [١].

مفهوم التناسخ اصطلاحاً:

لقد شاعت عقيدة تناسخ الأرواح في ملل ونحل منحرفة كثيرة، ويعنون بها:

انتقال الروح - بعد موت صاحبها - من جسد إلى جسد آخر في دورات متتالية، وتعيين الجسد الذي تحل فيه ثانية رهن بسلوكها في حياتها الأولى.

ويعرّف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) التناسخ بقوله: «التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر، من غير تخلّل زمان بين التعلقين، للتعشق الذاتي بين الروح والجسد» [٢].

فعقيدة التناسخ تفترض وجودات سابقة لذاتية مستمرة تدخل في مجال صور متباينة، حاملة معها نتائج سلوكها في تلك الحقب والوجودات، فهي إذن عقيدة الأعمال والنتائج [٣].

---

(١) انظر: لسان العرب ٣/ ٦٢٤، وتاج العروس ٢/ ٢٨٢، والتعريفات ص ٢٥٠.

(٢) التعريفات ص ٨١.

(٣) انظر: الملل والنحل ١/ ٦١، ٦٢، والأخلاقيات في محيط الفكر والديانات ص ٦٦.

وقد ذكر ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) أن بعض القائلين بتناسخ الأرواح يعتقدون أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت.

كما ذكر أن بعضهم منع من انتقال الأرواح إلى غير جنس أجسادها التي فارقت[١].

فعلى القول الأول تنتقل الأرواح بعد فناء الأجساد الأولى، إلى أجساد أخرى، سواء كانت من جنس الأجساد الأولى أو غيرها، وذلك على حسب عملها في حياتها الأولى، فقد تنتقل إلى أجساد أنواع من الحيوانات أو النباتات أو الجمادات، بل قد تنتقل إلى أرواح آلهة وملائكة وشياطين كما تزعم بعض الديانات والملل المنحرفة.

أما على القول الثاني، فإن الأرواح تنتقل بعد فناء أجسادها الأولى إلى أجساد من جنس الأجساد الأولى، إلا أنها تختلف على حسب عملها، فقد تنتقل إلى جسد أمير أو حاكم أو غني ونحو ذلك، وقد تنتقل إلى جسد وضيع أو مريض وضعيف ونحوه[٢].

ويرى بعض القائلين بهذه العقيدة استمرار تلك التحولات والدورات وعدم انقطاعها عقوبة على الأعمال في الحياة الأولى.

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٩٠-٩١.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٣-٢٠٨، والموت والخلود في الأديان المختلفة ص١٤٦، والأخلاقيات في محيط الفكر والديانات ص٧٣، ودائرة المعارف ٦/ ٢٢٥.

أما بعضهم الآخر، فيرى أن تلك التحولات والتنقلات كفارات للأعمال السيئة، فتستمر حتى يتطهر من ذنوبه، ويستحق عندئذ الاتحاد بالإله، أو يكون هو إلهاً، أو يستحق دخول الجنة ونحو ذلك[١].

ولهذا يعرف بعضهم التناسخ بأن مؤداه:

« أن الروح بعد مفارقتها للأبدان تعود إلى أبدان أخرى حيوانية أو إنسانية، لتتم تكملها، وتستأهل الحياة بين الأرواح العالية في حظيرة القدس »[٢].

ويفرق بعضهم بين حالات التناسخ واختلاف درجاته، فيطلق النسخ على تردد الأرواح بالأبدان الإنسانية فقط، أما إذا نزلت الروح من البدن الإنساني إلى بدن حيوان، فيسمى هذا الانتقال مسخاً، وإذا نزلت إلى الأجسام النباتية يسمى رسخاً، وربما نزلت إلى الأجسام الجمادية، كالمعادن ونحوها ويسمى فسخاً، هذا في المتنازلة، أما المتصاعدة فقد تتخلص من الأبدان؛ لصيرورتها كاملة، وقد تعلق ببعض الأجرام السماوية؛ لبقاء حاجتها للاستكمال[٣].

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٩١، والموت والخلود في الأديان المختلفة ص١٥٢،١٤٦، ولتفسير الكبير ١٢/ ٢٢٥، ودائرة المعارف ٦/ ٢٢٥، ودائرة معارف القرن العشرين ١٠/ ١٧٢.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ١٠/ ١٧٢، وانظر: في تعريف التناسخ: تلبيس إبليس ص٨٠، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ١/ ١١٩.

(٣) انظر: المواقف في علم الكلام ص٣٧٤، والتعريفات ص٢٢٥.

يقول أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ): « والتناسخية يسمون تعلق روح الإنسان ببدن إنسان نسخاً، أو ببدن حيوان آخر مسخاً، وبجسم نباتي فسخاً، وبجسم جمادي رسخاً، بناء على أن الأرواح المفارقة عن الأبدان باقية ومتناهية، والدورات الماضية غير متناهية، بناء على قدم العالم، والأبدان الماضية أيضاً غير متناهية؛ لأنها نتائجها، فإذا قسمت على الأبدان يصل بكل منها نفس واحدة »[1].

ويقول أحدهم: « إن كلمة تناسخ تشمل النسخ والفسخ والرسخ، فالنسخ هو انتقال الروح من جسد بشري إلى جسد بشري آخر ....، أما الفسخ فهو إمكان انتقال النفس إلى حيوان ...، ومن ضمن الفسخ المسخ الذي يستعمل على سبيل المجاز، أما الرسخ فمعناه أن الروح الشريرة تنتقل إلى جماد أو نبات »[2].

قالوا: هذه التحولات المذكورة هي مراتب العقوبات، وإليها الإشارة بما ورد من الدركات الضيقة في جهنم.

وقالوا: إن النفس في جميع تلك التنزلات والتحولات تتردد في الأجسام، حتى تنتقل إلى بدن الإنسان، وتتردد في الأمم حتى تبلغ كمالها من العلوم والأخلاق، فتتخلص من الأبدان كلها.

---

(١) الكليات؛ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص٣٠٥.

(٢) التقمص ص١٢.

وقال بعضهم: إن النفوس الكاملة تتصل بعالم العقول، والمتوسطة بأجرام سماوية أو أشباح مثالية؛ لبقاء حاجتها إلى الانشكال، والناقصة تنتقل في أبدان حيوانات تناسبها إلى أن تتخلص من الظلمات.

وقالوا: فالنفوس الناطقة إنما تبقى مجردة عن الأبدان إذا كانت كاملة، بحيث لم يبق شيء من كمالاتها، فصارت طاهرة عن جميع العلائق البدنية، فتخلصت ووصلت إلى عالم القدس، وأما النفوس التي بقي شيء من كمالاتها بالقوة، فإنها تتردد بالأبدان الإنسانية، فتنتقل من بدن إلى آخر حتى تبلغ النهاية، فيما هو كمالها، من علومها وأخلاقها، فحينئذ تبقى مجردة مطهرة عن التعلق بالأبدان.

فهؤلاء يرون أن التناسخ لا ينقطع، ولا تنتهي دورات الروح، وترددها في الأبدان إلا عند تخلصها من الآثام، وانعدام أي رغبة لها في الحياة، عندئذ ينتهي التناسخ، « وأعظم هدف لمن يريد أن يصل إلى تلك الحالة ألا يكون له هدف، وأعظم رغبة هي أن تنتفي عنه كل رغبة، وبدون رغبة ينتفي كل سلطان للمنظور، للخيال الزائل ». فوجود الرغبة واستمرارها لدى الروح هو الذي يجعلها لا تكتمل، بل تحتاج إلى دورات جديدة في أجساد أخرى، حتى تتحرر من آثامها ورغباتها[١].

---

(١) انظر: الموت والخلود في الأديان المختلفة ص١٤٦-١٤٨، والأخلاقيات في محيط الفكر والديانات ص٧٢.

وأشد فتنة وخطورة اعتقاد بعض الفرق تناسخ روح الله - تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً - في أجساد الأنبياء، يقولون: فقد كانت روحه في آدم، ثم من بعده من الأنبياء وهكذا، حتى انتقلت إلى جسد محمد ﷺ، ثم انتقلت بعده إلى أجساد بعض الأشخاص الذين هم أئمة لبعض الفرق المنحرفة[١].

* * *

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص٢٠٤-٢٠٥، والملل والنحل ١/ ١٥١، والبدء والتاريخ ٥/ ١٢٩.



الفصل الثاني
الآيات التي استدل بها أصحاب التناسخ ونقض استدلالهم بها

المبحث الأول

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]

قال أصحاب التناسخ بأن هذه الآية تدل على تناسخ الأرواح وتنقلها في أجساد مختلفة على قدر أعمالها الحسنة أو السيئة، فإن كانت الأعمال حسنة انتقلت الروح إلى أبدان حيوانات فاضلة، وهذا هو حياتها، وإن كانت الأعمال سيئة انتقلت الروح إلى حيوانات وضيعة موحشة، وهذا هو موتها، وهكذا في دورات متتالية حسب صلاح الأعمال أو فسادها[2].

* النقض:

هذه الآية العظيمة تثبت البعث والنشور، وتنفي عقيدة تناسخ الأرواح، بخلاف ما فهمه أصحاب التناسخ وما قرروه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨.

(٢) انظر: مؤامرات وتاريخ وحقائق ص١٨٧-١٨٨.

فإن قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي لم تكونوا شيئاً؛ لأن العرب تقول للشيء الدارس والآمر الخامل الذكر: هذا شيء ميت، وهذا أمر ميت، يراد بوصفه بالموت خمول ذكره، ودروس أثره من الناس، وكذلك يقال في ضد ذلك وخلافه: هذا أمر حي وذكر حي، يراد بوصفه بذلك أنه نابه متعالم في الناس، فكذلك قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أي كنتم خمولاً لا ذكر لكم، وذلك كان موتكم، فأحياكم، فجعلكم بشراً أحياء تذكرون وتعرفون، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بقبض أرواحكم وإعادتكم كالذي كنتم قبل أن يحييكم، من دروس ذكركم، وخمول أموركم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بإعادة أجسامكم إلى هيآتها، ونفخ الروح فيها، وتصييركم بشراً كالذي كنتم قبل الإماتة.

وقد روى الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ)، عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب النبي ﷺ أنهم قالوا في تفسير الآية: « **لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة** »[١].

ثم قال الطبري بعد ذلك في تفسيرها: « معنى قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أموات الذكر، خمولاً في أصلاب آبائكم، نطفاً، لا تعرفون ولا تذكرون، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بإنشائكم بشراً سوياً، حتى ذكرتم، وعرفتم، وحييتم،

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٤٥.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بقبض أرواحكم، وإعادتكم رفاتاً، لا تعرفون، ولا تذكرون، في البرزخ إلى يوم تبعثون، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم، لبعث الساعة وصيحة القيامة، ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك، كما قال: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ لأن الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبل حشرهم، ثم يحشرهم لموقف الحساب، كما قال جل ذكره ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[1] ... »[2].

فهذه الآية الكريمة تنفي التناسخ، مثبتة البعث والحشر، مبينة مع غيرها من الآيات، أن الروح تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى، وتفارقه متى شاء الله تعالى، لا يتوقت ذلك بمرة ولا مرتين؛ فإن النوم أيضاً أخو الموت، والموتة الأولى في الآية السابقة قبل هذه الحياة، والموتة الثانية بعد هذه الحياة، وقوله تعالى ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد الموت، و هذه الآية مثل قوله تعالى في آية أخرى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[4]، وقوله تعالى:

---

(١) سورة المعارج، الآية ٤٣.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٤٨.

(٣) سورة غافر، الآية ١١.

(٤) سورة طه، الآية ٥٥.

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[١] ...»[٢].

وقال البغوي (ت ٥١٦هـ) في تفسيرها: « .. ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾: نطفاً في أصلاب آبائكم، ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾: في الأرحام والدنيا، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾: عند انقضاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: للبعث، ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾: أي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم »[٣].

هذا هو التفسير الحق للآية، التي ذكرت حياتين وموتتين، والمراد من كل منهما واضح جلي كما تبين، فكيف يستدل أصحاب التناسخ على عقيدتهم بهذه الآية، وهم يذكرون دورات كثيرة للتناسخ؛ مخالفة لصريح القرآن الكريم والسنة المطهرة.

* * *

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٥.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(٣) معالم التنزيل ١/ ٥٩.

المبحث الثاني

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1]

قال أصحاب التناسخ: هذا دليل على عقيدة تناسخ الأرواح؛ إذ عاقب الله الذين خالفوا وعصوا بأن مسخهم قردة وخنازير، بقوله تعالى: ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾، وبقوله تعالى في آية أخرى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[2]، وبقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾[3]، قالوا: فهذا دليل على أن العقاب يكون للأرواح في الدنيا بانتقالها إلى أبدان القردة والخنازير، ونحوهما، ولا مجال للتأويل خارج قوانين التناسخ[4].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٦٥، ٦٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٦٦.

(٤) انظر: الإسلام في مواجهة الباطنية ص ٦٢،٦١

* النقض:

هذه الآية العظيمة خطاب من الله تعالى لليهود، يقول سبحانه فيها: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ يا معشر اليهود ما حل من البأس والعذاب بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت، والقيام بأمره، فتحيلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بما وضعوا لها من الحبائل قبل يوم السبت، فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة صادتها تلك الحبائل والحيل، فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت.

فلما فعلوا ذلك مسخهم الله تعالى قردة، وهو مسخ حقيقي؛ خلافاً لمن قال: مسخت قلوبهم، وأنه مسخ معنوي فقط، وهو قول مخالف لظاهر ما دل عليه كتاب الله [(١)].

والصحيح أن الممسوخ لا ينسل، فالذين مسخهم الله قردة هلكوا، ولم يبق لهم نسل؛ لأنهم قد أصابهم السخط والعذاب فلم يكن لهم قرار في الدنيا[(٢)].

هذا وقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال له رجل: يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ؟ فقال النبي ﷺ: « إن الله ﷻ لم

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ٢٦١،٢٦٠، وتفسير القرآن العظيم ١/ ١٠١،١٠٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٤٢،٤٤٠.

يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك »[١]، أي قبل مسخ بني إسرائيل.

إذن، لا دليل لأصحاب التناسخ على عقيدتهم الباطلة من هذه الآية، وتلك الحادثة فهي وقعة حدثت لطائفة معينة من بني إسرائيل ثم هلكوا.

ولو فُرض جدلاً أنهم تناسلوا، وأن القردة الموجودة هي من نسلهم، فليس فيها دليل على التناسخ الذي يقول به أصحابه، ويزعمون أنه للناس عامة.

كيف وهي حادثة معينة لطائفة مخصوصة نقضت عهد الله فعوقبت بذلك.

* * *

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٢١٤.

المبحث الثالث

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[١]

قال أصحاب التناسخ بأن النفوس المنكوسة المغموسة في عالم الطبيعة، المعرضة عن طلب رشدها من تعاليم الديانة مصيرها النار، على معنى أنها تتناسخ في الأبدان الجسمانية، وكلما فارقت جسداً تلقاها آخر، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ على حد زعمهم الباطل[٢].

فنفوس هؤلاء الكافرين تظل في عالم الطبيعة الأرضية، تتناسخها أجسام الكائنات المختلفة، كلما بليت صورة بالفساد كونت أخرى بالكون، فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام، فلا تفارق جسداً إلا ويتلقاها آخر[٣].

جاء في بعض كتبهم بيان لهذه العقيدة؛ إذ قال المؤلف: « إن النفس في عالم الكون والفساد كائنة في محل الأجساد، وهي الأرواح الهابطة للزلة التي كانت منها، والخطيئة التي جنتها، فأهبطت وأبعدت من دار الكرامة،

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٦.

(٢) انظر: القرامطة ص ٦١.

(٣) انظر: حركة الحشاشين ص ١٦١.

فبقيت معذبة مربوطة بالطبيعة الحسية، والتكليفات اللازمة لها في الشرائع الناموسية؛ جزاء لها بما أسلفت، وما ذكره الحكماء من الهيولى والصورة إلا تنبيهاً للنفس اللاهية، والأرواح الساهية الغافلة عن آيات الله وتذكاراً لهم، وإن الهيولى والصورة أعراف، عليها واقفون، وبرازخ لهم إلى يوم يبعثون، كلما بليت صورة بالفساد كونت أخرى بالكون، فهم بين البلاء والنشوء، مترددون ما بين الهيولى الجسمانية والصورة التركيبية »[١].

* النقض:

هذه الآية العظيمة دليل صريح واضح المعنى في عذاب الكافرين يوم القيامة، وأنهم سوف يصلون ناراً تحرق جلودهم، وكلما احترقت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها، أي أعطاهم مكان كل جلد محترق جلداً آخر غير محترق، فإن ذلك أبلغ في العذاب، لأن إحساسه لعمل النار في الجلد الذي لم يحترق أبلغ من إحساسه لعمل النار في الجلد المحترق[٢].

هذا هو تفسير الآية إجمالاً، وليس فيه دليل على التناسخ، بل على النقيض من ذلك، فهذه الآية تنفي التناسخ بإثباتها للبعث والنشور المتضمن لعذاب الكافرين في الآخرة، وهو ما أنكره أصحاب التناسخ، لقصرهم العذاب في هذه الدنيا في دورات متتالية في أجساد مختلفة.

---

(١) كنز الولد ص ١١٣،١١٢ .

(٢) انظر: معالم التنزيل ١/ ٤٤٣ وفتح القدير ١/ ٤٧٩.

يقول الطبري في بيان معنى الآية: « هذا وعيد من الله جل ثناؤه للذين أقاموا على تكذيبهم بما أنزل الله على محمد من يهود بني إسرائيل وغيرهم من سائر الكفار، وبرسوله، يقول الله لهم: إن الذين جحدوا ما أنزلت على رسولي محمد ﷺ من آياتي، يعني من آيات تنزيله ووحي كتابه، وهي دلالاته وحججه على صدق محمد ﷺ فلم يصدقوا به من يهود بني إسرائيل وغيرهم من سائر أهل الكفر به ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ يقول: سوف ننضجهم في نار يصلون فيها، أي يشوون فيها، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ يقول: كلما انشوت جلودهم، فاحترقت ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ يعني: غير الجلود التي قد نضجت فانشوت ...،وذلك أنها تعاد جديدة ، والأولى كانت قد احترقت فأعيدت غير محترقة ...، وأما معنى قوله: ﴿لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾ فإنه يقول: فعلنا ذلك بهم ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته، بما كانوا في الدنيا يكذبون آيات الله ويجحدونها »[1].

* * *

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٩١،٩٠.

المبحث الرابع

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١)

قالوا: دلت هذه الآية على أن الأرواح تتناسخ من بدن إلى بدن، عقاباً على مخالفاتها، إلى أن تصل إلى معرفة تعاليم الديانة والإيمان بها، عندئذ يرتفع عنها الحرج في جميع ما تطعم، وتصل بذلك إلى الكمال والبلاغ(٢).

* النقض:

قول أصحاب التناسخ في هذه الآية لم يدل عليه كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ، ولم يقله أحد من العلماء والمفسرين المتبعين؛ إذ هو قول مخالف لمراد الله تعالى؛ فإن هذه الآية نزلت بسبب أن الله ﷻ لما حرّم الخمر - وكان تحريمها بعد وقعة أحد - قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ؟ فأنزل الله هذه الآية، يبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم تحرم فيها فلا جناح عليه، إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية ٩٣.

(٢) انظر: الملل والنحل ١/ ١٥٢،١٥١.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١١/ ٤٠٤، وانظر: ٢٠/ ١٥٣.

يقول أحد أئمة التفسير، في تفسيره هذه الآية: « يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا إذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [(١)] كيف بمن هلك من إخواننا وهم يشربونها، وبنا وقد كنا نشربها: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ منكم حرج فيما شربوا من ذلك في الحال التي لم يكن الله تعالى حرمه عليهم، ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقول: إذا ما اتقى الله الأحياء منهم، فخافوه وراقبوه في اجتنابهم ما حرم عليهم منه، وصدّقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهياهم، فأطاعوهما في ذلك كله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقول: واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك، مما كلفهم بذلك ربهم ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ يقول: ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضاً، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك، والإيمان به، ولم يغيروا ولم يبدلوا، ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ﴾ يقول: ثم خافوا الله، فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان، وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافل تقربوا بها إلى ربهم؛ طلب رضاه، وهرباً من عقابه، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، يقول: والله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها » [(٢)].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٩٠.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٧/ ٢٤.

قال بعض أهل العلم بأنه يدخل في هذه الكريمة من طعم المحرم، أو فعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه، وتاب إلى الله تعالى، واتقى وعمل صالحاً؛ فإن الله يغفر له، ويرتفع عنه الإثم في ذلك[1].

* * *

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٠٦.

المبحث الخامس

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[2]

قالوا: دلت هاتان الآيتان على أن جميع الطيور والدواب والسباع كانوا أمماً، وأناساً خلت فيهم نذر من الله ﷻ، واتخذ بهم عليهم الحجة، فمن كان منهم صالحاً جعلت روحه بعد وفاته وخراب قالبه وهدم مسكنه إلى بدن صالح فأكرمه ونعمه، ومن كان منهم كافراً عاصياً نقلت روحه إلى بدن خبيث مشوه، يعذبه فيه بالدنيا، وجعل قالبه في أقبح صورة، ورزقه أنتن رزق وأقذره، فالثواب والعقاب على الأرواح دون الأجساد، أما الأجساد فهي مجرد قوالب ومساكن بمنزلة الثياب التي يلبسها الناس، فتبلى وتطرح ويلبس غيرها، وبمنزلة البيوت يعمرها الناس ، فإذا تركوها وعمروا غيرها خربت[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٤.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٧،٢٠٦، والفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٩١،٩٠، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٦٠.

واستدلوا على تفسيرهم، بل تحريفهم هذا بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾[(١)].

وزعموا بأن الحيوانات كلها جنس واحد، وهي في محل التكليف، وإنما ألبست هذه القوالب المختلفة على حسب أعمالها، فأصبح بعضها في صورة الناس، وقوم في صورة الطيور، وقوم في صورة الدواب، وقوم في صورة الحشرات، فدرجاتهم على قدر معاصيهم[(٢)].

قال الرازي (ت ٦٠٤هـ): « ذهب القائلون بالتناسخ إلى أن الأرواح البشرية إن كانت سعيدة مطيعة لله تعالى، موصوفة بالمعارف الحقة وبالأخلاق الطاهرة، فإنها بعد موتها تنقل إلى أبدان الملوك، وربما قالوا: إنها تنقل إلى مخالطة عالم الملائكة، وأما إن كانت شقية جاهلة عاصية؛ فإنها تنقل إلى أبدان الحيوانات، وكلما كانت تلك الأرواح أكثر شقاوة واستحقاقاً للعذاب نقلت إلى بدن حيوان أخس وأكثر شقاءً وتعباً، واحتجوا على قولهم بهذه الآية [أي آية الأنعام السابق ذكرها] فقالوا: صريح هذه الآية يدل على أنه لا دابة ولا طائر إلا وهي أمثالنا، ولفظ المماثلة يقتضي

---

(١) سورة الفجر، الآيتان ١٦،١٥.

(٢) انظر: جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص ٣٠.

حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية، أما الصفات العرضية المفارقة، فالمساواة فيها غير معتبرة في حصول المماثلة...، وقالوا: قد ثبت بهذا أن أرواح جميع الحيوانات عارفة بربها، وعارفة بما يحصل لها من السعادة والشقاوة، وأن الله تعالى أرسل إلى كل جنس منها رسولاً من جنسها، واحتجوا عليه بأنه ثبت بهذه الآية أن الدواب والطيور أمم، ثم إنه تعالى قال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وذلك تصريح بأن لكل طائفة من هذه الحيوانات رسولاً أرسله الله إليها »(١).

* النقض:

إن ما ذكره أصحاب التناسخ في تفسير الآية ما هو إلا تحريف لمعناها ومراد الله تعالى منها؛ إذ كيف يزعمون أن المراد أن الطيور والدواب وسائر الحيوانات كانوا أناساً قبلنا ثم نسخوا.

والحق أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ أي أصناف مصنفة، تعرف بأسمائها، فالطيور أمة، والإنس أمة، والجن أمة، ونحو ذلك، والجميع علمهم عند الله تعالى، ولا ينسى واحداً من جميعها من رزقه وتدبيره، سواء كان برياً أو بحرياً، وذلك

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ٢٢٥، وانظر: خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان ص ١٩،٢٠.

مثل قول الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢]، أي مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها، وحاصر لحركاتها وسكناتها[٣].

فالله ﷻ: « غير غافل عن عمل شيء دب على الأرض، صغير أو كبير، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء، بل جعل ذلك كله أجناساً مجنسة، وأصنافاً مصنفة، تعرف كما تعرفون، وتتصرف فيما سخرت له من أعمالها في أم الكتاب...، وكل دابة، وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء، وبعد بعث القيامة »[٤].

قال الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في تفسير هذه الآية: « الدابة من دبَّ يدبُّ فهو دابٌّ: إذا مشى مشياً فيه تقارب خطو...، ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ معطوف على ﴿دَآبَّةٍ﴾ ...، والمعنى: ما من دابة من الدواب التي تدب في أي مكان من أمكنة الأرض، ولا طائر يطير في أيّ ناحية من نواحيها ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أي جماعات مثلكم، خلقهم الله كما خلقكم، ورزقهم كما رزقكم، داخلة تحت

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٠.

(٢) سورة هود، الآية ٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٢٤ .

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ٧/ ١٢٠، ١١٩.

علمه وتقديره، وإحاطته بكل شيء، وقيل: أمثالنا في ذكر الله والدلالة عليه، وقيل: أمثالنا في كونهم محشورين...، وقيل: أمثالنا في أن لها أسماء تعرف بها، وقيل: أمثالنا في الخلق والرزق والموت والبعث والاقتصاص، والأولى أن تحمل المماثلة على كل ما يمكن وجود شبه فيه كائناً ما كان ...»[١].

وقد قال الرازي بعد أن ساق شبهتهم في استدلالهم بهذه الآية بأنه يكفي في حصول المماثلة، المذكورة بقوله ﴿ أَمْثَالُكُم ﴾، المماثلة في بعض الأمور « فلا حاجة إلى إثبات ما ذكره أهل التناسخ »[٢].

مما سبق تبين لنا أن الآية لا تدل على التناسخ، بل على خلافه تماماً؛ إذ تثبت الحشر لجميع الخلق.

أما قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فإن المراد: وما من أمة من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر، وأزاح عنهم العلل؛ ليؤمنوا به وحده ﷻ، ويتبعوا رسوله ﷺ[٣]، وذلك مثل قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[٥].

---

(١) فتح القدير ٢/ ١١٣- ١١٤.

(٢) انظر: التفسير الكبير ١٢/ ٢٢٥.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٣٠.

(٤) سورة الرعد، الآية ٧.

(٥) سورة النحل، الآية ٣٦.

هذا هو تفسير الآية، ليس فيها شيء من قول أصحاب التناسخ، ولا تدل عليه من قريب ولا من بعيد.

أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ على عقيدتهم التناسخية، وأن آية الأنعام السابق ذكرها تدل على تلك العقيدة؛ فهو استدلال باطل وبعيد؛ إذ أن الله ﷻ يخبر في هاتين الآيتين من سورة الفجر عن طبيعة الإنسان، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر، ولا تزول، ويظن أن إكرام الله تعالى له في الدنيا، وإنعامه عليه، يدل على كرامته، وقربه منه، وأنه إذا ضيق عليه رزقه، فصار يقدر قوته لا يفضل عنه، أن هذا إهانة من الله له.

فرد الله عليه هذا الظن فقال تعالى: (كلا) أي ليس كل من نعمْتُه في الدنيا فهو كريم عليّ، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لديّ، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق ابتلاء من الله تعالى، وامتحان يمتحن به عباده؛ ليرى من يقوم بالشكر، والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ومن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل[1].

---

(١) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٦/ ٥٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٥٤

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « ولفظ (كلا) فيها زجر وتنبيه: زجر عن مثل هذا القول، وتنبيه على ما يخبر به، ويؤمر به بعده؛ وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة، يكون الله ﷻ مكرماً له بها، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء، فقد يعطي النعم الدنيوية لمن لا يحبه، ولا هو كريم عنده؛ ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه لئلا تنقص بذلك مرتبته عنده، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه »[١].

* * *

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١١/ ٣٠١

المبحث السادس

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾(١)

زعم أصحاب التناسخ بأن الآية تدل على مذهبهم، وقالوا بأن الأرواح تتناسخ في الأبدان، فتنتقل من جسد إلى جسد؛ ثواباً لها، أو عقاباً عليها، حتى تأتي بعض آيات الله، وفسروا هذه الآيات بأشياء لم يدل على إتيانها كتاب ولا سنة، وعند إتيان تلك الآيات لا ينفع الإيمان، فتبقى الأرواح المذنبة في الأبدان الموحشة.

* النقض:

يأبى بعض أصحاب الملل المنحرفة إلا أن يحرفوا تفسير ومعاني بعض الآيات، ليتوافق مع عقيدتهم، لعله يجد قبولاً عند العامة، وإلا فإن الآية السابقة -كغيرها من الآيات - لم تدل على ما أرادوه، وإنما على خلافه، إذ هي تشير إلى ظهور إحدى علامات الساعة الكبرى المنذرة بوقوع القيامة، ومن ثم البعث والحشر.

فإن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ معناه: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٨.

وقد دل الدليل الصحيح على أن تلك الآية المشار إليها في الآية الكريمة هي طلوع الشمس من مغربها، وهي إحدى علامات القيامة الكبرى، قال ﷺ: « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً** »(١).

قال الطبري: « وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ذلك حين تطلع الشمس من مغربها.

وأما قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، فإنه يعني أو عملت في تصديقها بالله خيراً، من عَملٍ صالح تصدق قيله، وتحققه، من قبل طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع كافراً لم يكن آمن بالله قبل طلوعها، كذلك إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسله؛ لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله؛ لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال، والبحث والاعتبار، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقاً، ولفرائض الله مضيعاً، وغير

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٣٥٢، ورواه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي٢/ ١٩٤.

مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل، وكسبه إن اكتسب؛ لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك »[١].

* * *

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٨/ ٧٦.

المبحث السابع

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]

زعم بعض أصحاب التناسخ أن الله تعالى خلق الخلق أصحاء سالمين، عقلاء بالغين في دار غير هذه الدار الدنيا التي هم فيها اليوم، وأسبغ عليهم نعمه، وكلفهم شكرها، فأطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به، وعصاه بعضهم في جميع ذلك، وجمع بعضهم بين الطاعة في أمور والمعصية للخالق في أمور أخرى، فمن أطاعه أقره في دار النعيم التي ابتدأهم فيها، ومن عصاه أخرجه من تلك الدار إلى دار العذاب وهي النار، ومن خلط بين الطاعة والمعصية أخرجه إلى دار الدنيا فألبسه هذه الأبدان الكثيفة، وابتلاه بالبأساء والضراء، والآلام واللذات على صور مختلفة من صور الناس، وسائر الدواب والحيوانات على قدر ذنوبهم، فمن كانت معصيته أقل وطاعته أكثر كانت صورته أحسن، وآلامه أقل، ومن كانت ذنوبه أكثر كانت صورته أقبح، وآلامه أكثر، ثم لا يزال يكون الحيوان في الدنيا كرّة بعد كرّة، وصورة بعد أخرى، ما دامت معه ذنوبه وطاعته، وهذا التكرير لا يزال في الدنيا حتى يمتلئ المكيالان: مكيال الخير ومكيال الشر، فإذا امتلأ مكيال

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٤.

الخير، صار العمل لله طاعة، والمطيع خالصاً، فينقل إلى الجنة، وإذا امتلأ مكيال الشر صار العمل لله معصية، والعاصي شريراً محضاً، فينقل إلى النار، وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾...[١].

*** النقض:**

يخبر الله ﷻ في هذه الآية أنه أخرج بني آدم إلى الأرض، وأسكنهم فيها، وجعل لهم أجلاً مسمى، لا تتقدم أمة من الأمم على وقتها المسمى ولا تتأخر، لا الأمم المجتمعة، ولا أفرادها[٢].

هذا هو تفسير الآية إجمالاً، ليس فيه أي إشارة إلى ما زعمه أصحاب التناسخ.

ثم تأمل تفسير أحد كبار علماء التفسير، حين يقول في شرحه لهذه الآية: « قول تعالى ذكره مهدداً للمشركين الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم كانوا إذا فعلوا فاحشة: ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾[٣]، ووعيداً منه لهم على كذبهم عليه، وعلى إصرارهم على الشرك به، والمقام على كفرهم، ومذكراً لهم ما أحل بأمثالهم من الأمم الذين كانوا قبلهم ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾

---

(١) انظر: الملل والنحل ١/ ٦١-٦٣، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٦٠-٦١، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص٣٠.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٢٨.

يقول: ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله وردّ نصائحهم، والشرك بالله، مع متابعة ربهم حججه عليهم أجل، يعني وقتاً لحلول العقوبات بساحتهم، ونزول المثلات بهم على شركهم، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ يقول: فإذا جاء الوقت الذي وقته الله لهلاكهم، وحلول العقاب بهم ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يقول: لا يتأخرون بالبقاء في الدنيا، ولا يتمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم، وحين حلول أجل فنائهم ساعة من ساعات الزمان، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يقول: ولا يتقدمون بذلك أيضاً عن الوقت الذي جعله الله لهم وقتاً للهلاك»[1].

* * *

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٨/ ١٢٣-١٢٤.

المبحث الثامن

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[١]

قالوا: دلت هذه الآية على انتقال الروح في أجسام عديدة بحسب قربها وبعدها عن الخير، فالكفار الذين كذبوا بتعاليم الديانة، واستكبروا عنها يطول تجسدهم في أجسام الحيوانات المشوهة، ولا تنتقل أرواحهم إلى أجسام أعلى وأفضل منها إلا إذا آمنت بالتعاليم.

قالوا: والمراد بالجمل الذي يلج سمّ الخياط، بقة صغيرة، لأن تلك الروح انتقلت بالتناسخ من جسم الجمل وحلّت في البقة[٢].

ولهذا قال بعضهم بأن أرواح الكفار والعصاة تتنقل في الأبدان المشوهة الوحشة عشرة آلاف سنة ما بين الفيل والجمل إلى البقة الصغيرة[٣].

وقالوا في تفسير هذه الآية بأن النفس البرّة لا تزال تنتقل من بدن إلى بدن ألطف منه حتى تصفو « وتصير بحيث تحصل في بدن دودة صغيرة يستطيع جرمها أن ينفذ في الإبرة بعد ما كان في بدن جمل ».

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٤٠.

(٢) انظر: معجم الفرق الإسلامية ص٧٠.

(٣) انظر: المصدر السابق ص١٢١.

قالوا: ونحن نعلم ما هو في خلق الجمل، وما كان مثله من الخلق، لا يقدر أن يلج في سمّ الخياط، وقول الله لا يكذب، ولا بد من أن يكون ذلك، ولا يتهيأ إلا بنقصان خلقه وتصغيره في كل دور حتى يرجع الفيل والجمل إلى حد البقة الصغيرة، فتدخل حينئذ في سمّ الخياط؛ فإذا خرج من سمّ الخياط ردّ إلى الأبدان الإنسية ألف سنة، فصار في الخلق الضعيف المحتاج، وكلف الأعمال والتعب، وطلب المكسب بالمشقة، فبين دباغ وحجّام وكنّاس، وغير ذلك من الصناعات المذمومة القذرة على قدر معاصيهم، فيمتحنون في هذه الأجسام بالإيمان بتعاليم الديانة، فلا يؤمنون، ويكذبون ولا يعرفون، فلا يزالون منتقلين في هذه الأبدان الإنسية على هذه الحال من حال إلى حال ألف سنة، ثم يردّون بعد ذلك العذاب إلى الأمر الأول عشرة آلاف سنة، فهذه حالهم أبد الآبدين، ودهر الداهرين، وأول ما ينكس إليه الكافر إنما يصير في الأنعام حتى يمر بكل شيء في البر من العذاب، ثم يمر في البحر، ثم في الجو والهواء، حتى في كل شيء يدبّ ويدرج، حتى يصير أضيق من فم الخياط؛ لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾، فهذه علة أرواح الكافرين تجعل في المركبات[1].

---

(١) انظر: حركة الغلو وأصولها ص ٢٨، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري، بهامش جامع البيان للطبري ٨/ ٩٥،٩٤.

* النقض:

كلام أصحاب التناسخ في الآية السابقة ليس تفسيراً لها، بل تحريف لمعانيها ودلائلها.

أما التفسير الحق للآية، وبيان ما دلّت عليه، فهو ما ذكره علماء التفسير من أن الله يخبر في الآية الكريمة أن الذين كذبوا بآيات الله، ولم يصدقوا بها، ولم يتبعوا الرسل، واستكبروا عنها، وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبراً، لا تفتّح لهم أبواب السماء، أي لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل؛ لأن أعمالهم خبيثة، وإنما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح؛ كما قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[1].

ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها الجنة، التي أعدها الله لأوليائه المؤمنون، أبداً، كما لا يلج الجمل في سمّ الخياط أبداً، والولوج الدخول؛ بمعنى: لا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في سمّ الإبرة، وهو ثقبها، وذلك لاستحالة دخوله لعظمه وضخامته، وضيق سمّ الإبرة، ثم قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي وكذلك نجزي الذين أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الأليم في الآخرة[2].

---

(١) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ٨/ ١٢٨-١٣٠-١٣٢.

يقول البغوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ « والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبداً؛ لأن الشيء إذا عُلِّق بما يستحيل كونه دل ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب، أو يبيضّ القار، يريد لا أفعله أبداً »[1].

وللسعدي تفسير دقيق لهذه الآية، أنقله بنصه، إذ يقول: « يخبر تعالى عن عقاب من كذب بآياته، فلم يؤمن بها، مع أنها آيات بينات، واستكبر عنها، فلم ينْقَدْ لأحكامها، بل كذّب وتولى، أنهم آيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأرواحهم، إذا ماتوا، وصعدت تريد العروج إلى الله، فتستأذن فلا يؤذن لها، كما لم تصعد في الدنيا إلى الإيمان بالله ومعرفته و محبته، كذلك لا تصعد بعد الموت، فإن الجزاء من جنس العمل.

ومفهوم الآية أن أرواح المؤمنين المنقادين لأمر الله، المصدقين بآياته، تفتح لها أبواب السماء، حتى تعرج إلى الله، وتصل إلى حيث أراد الله في العالم العلوي، وتبتهج بالقرب من ربها، والحظوة برضوانه.

وقوله عن أهل النار: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ وهو البعير المعروف ﴿فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، أي حتى يدخل البعير الذي هو من أكبر الحيوانات جسماً في خرق الإبرة، الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من

---

(١) معالم التنزيل ٢/ ١٦٠.

باب تعليق الشيء بالمحال، أي فكما أنه محال دخول الجمل في سمّ الخياط، فكذلك المكذبون بآيات الله، محال دخولهم الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾(١) وقال هنا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي الذين كثر إجرامهم، واشتد طغيانهم »(٢).

* * *

(١) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٥١.

المبحث التاسع

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾[١]

قال أصحاب التناسخ بأن هذه الآية تدل على عقيدتهم، إذ دلّت على أن الله ﷻ أخذ الميثاق على الناس في تراكيبهم الأولى، وأشهدهم على أنفسهم حينئذ، أن يقولوا في التراكيب الأخرى، عند تناسخهم في الأبدان الجديدة: إنا كنا عن تعاليم الديانة غافلين، وزعموا أن المعرفة غير مكتسبة، وإنما هي تذكّر لما سبق في التراكيب الأولى، فدل ذلك كله على أن بعض ذرية آدم استخرج من غير جنسه[٢].

* النقض:

هذه الآية الكريمة تخبر بأن الله ﷻ أخذ الميثاق على ذرية آدم حين استخرجهم من ظهره حين كانوا في عالم الذرّ، وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك، فاحتج عليهم بما أمرهم به في ذلك الوقت على ظلمهم، في كفرهم، وعنادهم، في الدنيا والآخرة[٣].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٢) انظر: الإسلام في مواجهة الباطنية ٥٧-٥٩.

(٣) انظر: معالم التنزيل ٢/ ٢١١-٢٢١، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٥٠-٢٥١.

وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بنَعمان، يعنى عرفة، فأخرج من صلبه كلَّ ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلّمهم قُبُلاً قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾** »[1].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: « **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك وإقرارهم به** »[2].

وذكر بعض العلماء في تفسيرها أن الله ﷻ أخرج من أصلاب بني آدم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون، ويتوالدون، قرناً بعد قرن، وحين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي قررهم بإثبات ربوبيته بما أودعه في فطرهم من الإقرار بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم، قالوا (بلى) قد أقررنا بذلك فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيّم، فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٧٢، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٢٦-٣٢٧، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ح ١٦٢٣.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٩/ ٧٥.

وتبدل بما يطرأ على العقول من العقائد الفاسدة، ولهذا ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾، أي إنما امتحناكم حتى أقررتم بما تقرر عندكم من أن الله تعالى ربكم؛ خشية أن تنكروا يوم القيامة، فلا تقروا بشيء من ذلك، وتزعمون أن حجة الله ما قامت عليكم، ولا عندكم بها علم، بل أنتم غافلون عنها لاهون، فاليوم قد انقطعت حجتكم، وتثبتت الحجة البالغة لله عليكم[١].

هذا هو تفسير العلماء لهذه الآية، ولا تدل بأي حال من الأحوال على العقيدة التناسخية الباطلة، بل تثبت خلافها، إذ تقرر يوم القيامة والحساب والجزاء، « ولم تشر الآية إلى حيوانات أو نباتات أو جمادات أو حشرات؛ ليقال إن بعض ذرية آدم استخرج من غير جنسه »[٢] كما يزعم أصحاب التناسخ.

* * *

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٧١.

(٢) الإسلام في مواجهة الباطنية ص٥٩.

المبحث العاشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾(١)

قالوا في تفسير هذه الآية: يعني ظهورهم في النسوخية في الكرّات ...، وعذاب الله هو الرجس، وهو تدحرجهم في القوالب من الزنج والقردة والسباع وغيرها من القوالب الممسوخة(٢).

* **النقض:**

في هذه الآية وصف للمنافقين عند نزول القرآن العظيم، وأنه إذا ما أنزلت سورة منه، زادتهم شكاً إلى شكهم، وريباً إلى ريبهم، ومرضاً إلى مرضهم، من حيث إنهم كفروا بها، وعاندوها، وأعرضوا عنها، فازداد لذلك مرضهم، وترامى بهم إلى الهلاك، والطبع على قلوبهم، حتى ماتوا وهم كافرون، وهذا عقوبة لهم؛ لأنهم كفروا بآيات الله تعالى، وعصوا رسوله ﷺ، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه، ولا شك أن هذا من جملة شقائهم، إن ما يهدي القلوب يكون سبباً لضلالهم ودمارهم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٥.

(٢) انظر: مزاج التسنيم ص٨٠، ١٣، ١٠٩.

وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[1]، فعند نزول كل سورة ينكرونها، فيزداد كفرهم ورجسهم[2].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: « يقول تعالى ذكره ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ نفاق وشك في دين الله، فإن السورة التي أنزلت زادتهم رجساً إلى رجسهم، وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله، فلم يؤمنوا بها، ولم يصدّقوا، فكان ذلك زيادة شك حادثة في تنزيل الله لزمهم الإيمان به عليهم، بل ارتابوا بذلك، فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم إلى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق، وذلك معنى قوله ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ ﴾ يعني هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا وهم كافرون، يعني وهم كافرون بالله وآياته »[3].

* * *

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٨٤، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٥/ ٣٣٥، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٣١٣.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ١١/ ٥٣.

المبحث الحادي عشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[١].

زعم أصحاب التناسخ أن هذه الآية تدل على مذهبهم في تناسخ الأرواح، إذ ردَّ الله على الكفار بقوله ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ وهذا يدل - على حد زعمهم - أن عقاب الكافر أن تنتقل روحه إلى الحجارة أو الحديد أو الذهب أو الفضة، أي إنها تنتقل من البدن الإنساني إلى الجمادي عقاباً لها على كفرها بإنكار التناسخ، وتعاليم الديانة.

* النقض:

هذه الآية العظيمة جاءت رداً من الله تعالى على منكري البعث والإعادة، كما أخبر ﷻ عن إنكارهم بقوله: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[٢]، ثم قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[٣].

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ٥٠/ ٥١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٩.

(٣) سورة الإسراء الآيتان ٥٠-٥١.

فالله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء المنكرين استبعاداً ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾؛ لتسلموا بذلك على زعمكم من أن تنالكم قدرة الله، أو تنفذ فيكم مشيئته، فإنكم لن تعجزوا الله في أي حالة تكونون، وعلى أي وصف تتحولون، ﴿ فَسَيَقُولُونَ ﴾ عند إقامة الحجة عليهم ﴿مَن يُعِيدُنَا ﴾، ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فكما فطركم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً، فإنه سيعيدكم خلقاً جديداً، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ أي يهزونها إنكاراً وتعجباً، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾ أي متى وقت البعث، وذلك ليس إقراراً منهم، وإنما هو استهزاء وتعجيز، ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ وذلك أنه ليس في تعيين وقته فائدة، فالمطلوب تقريره والإيمان به، وكلما هو آت فهو قريب[١].

يقول ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) في تفسير هاتين الآيتين: « يقول تعالى مخبراً عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد، استفهام إنكار منهم لذلك: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا ﴾ أي تراباً، ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ أي يوم القيامة بعد ما بلينا، وصرنا عدماً لا نذكر، كما أخبر عنهم في الموضع الآخر: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[٢]،

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١٥/ ٦٨، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٤١١.

(٢) سورة النازعات الآيات ١٠-١٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾[١] الآيتين، فأمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يجيبهم فقال: ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ إذ هما أشد امتناعاً من العظام والرفات ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾...، ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم إلى الموت الذي هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء؛ فإنه لا يمتنع عليه شيء إذا أراده ...

وقوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ﴾ أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً، أو خلقاً آخر شديداً، ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ ﴾ أي الذي خلقكم، ولم تكونوا شيئاً مذكوراً، ثم صرتم بشراً تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم، ولو صرتم إلى أي حال، وقوله تعالى: ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ يحرّكونها استهزاءً، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾ إخباراً عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ....[٢]، وقوله: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ أي احذروا ذلك، فإنه قريب إليكم سيأتيكم لا محالة، فكل ماهو آت آت ... »[٣].

---

(١) سورة يس الآية ٧٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٨، وسورة النمل، الآية ٧١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٥،٤٤ وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٧/ ٢٥١.

فهذه الآية، كما تبين، ترد على منكري البعث والحشر، الذي ينكره أصحاب التناسخ، وتتضمن إبطال عقيدة تناسخ الأرواح، تلك العقيدة التي يزعم أصحابها أنها نتيجة للأعمال الصالحة أو الفاسدة، وأن الأبدان المختلفة هي محلّ الثواب أو العقاب.

* * *

المبحث الثاني عشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾[١]

قال أصحاب التناسخ بأن هذه الآية تدل على أن من كان من الكفار في أول التراكيب أعمى وغير ملتزم بتعاليم الديانة، كان في التركيب الآخر أعمى، وأضل سبيلاً عن معرفة الحقائق الدينية، وبالتالي فهذه الآية تدل على تناسخ الأرواح وتقرره، على حد زعمهم الباطل[٢].

* النقض:

هذا القول الذي زعمه أصحاب التناسخ لم يدل عليه كتاب الله تعالى، ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا لغة العرب، فهو تفسير باطل، وعقيدة دخيلة، أخذت من الفلسفات الهندية واليونانية، ونحوها.

أما هذه الآية الكريمة فهي تخبر بأن من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته، ورؤية الحق، والاعتبار، ضالاً كافراً، فهو في الآخرة أشد عمىً، وأخطأ طريقاً[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٢.

(٢) انظر: عقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة ١/ ٨٣ .

(٣) انظر: معالم التنزيل ٣/ ١٢٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٥١، ٥٢.

قال السعدي في تفسيرها: « ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ ﴾ عن الحق فلم يقبله، ولم ينقد له، بل اتبع الضلال، ﴿ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ عن سلوك طريق الجنة كما لم يسلكه في الدنيا، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾، فإن الجزاء من جنس العمل، كما تدين تدان »[١].

وقال بعض العلماء في تفسيرها بأن الإشارة في قوله ﴿فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى في الآيات قبلها، فيكون تفسير الآية: ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمى، ﴿فَهُوَ فِي﴾ أمر ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾ التي لم يعاين ولم يرَ، ﴿أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾... [٢].

ويقول الطبري في تفسيرها: « معنى ذلك: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، ﴿فَهُوَ فِي﴾ أمر ﴿ ٱلْأَخِرَةِ ﴾، التي لم يرها، ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها ﴿ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ يقول: وأضل طريقاً منه في أمر الدنيا، التي قد عاينها ورآها؛ لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماه عن نعمه ....

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤١٥.

(٢) انظر: معالم التنزيل ٣/ ١٢٦.

وما عدد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم؛ بل عم بالخبر عن عماه في الدنيا، فهو كما عمّ تعالى ذكره »[١].

* * *

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ١٥/ ٨٧.

المبحث الثالث عشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾(١)

زعم أصحاب التناسخ أن هذه الآية تدل على عقيدتهم في تناسخ الأرواح، فهي تدل على تنقل الروح في الأبدان المختلفة؛ جزاءً على أعمالها في أبدانها السابقة، إن خيراً فإلى أبدان خيرة، وإن شراً فإلى أبدان شريرة وقبيحة.

* النقض:

أصحاب التناسخ يعتقدون -كما ذُكر سابقاً- أن الثواب والعقاب في هذه الدنيا، وذلك في تناسخ الأرواح في أبدان كثيرة على حسب إيمانها، ولهذا فهم ينكرون البعث والحشر والحساب والجزاء في الآخرة، والعجيب أن كثيراً من النصوص الشرعية التي يستدلون بها على عقيدتهم هي مما يدل صراحة على اليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحساب، وثواب أو عقاب.

ومن ذلك - غير ما سبق - هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

---

(١) سورة طه الآية ٥٥.

فالله ﷻ يخبر في هذه الآية أنه خلقنا من الأرض، وفيها يعيدنا إذا متنا فدفنا فيها، ومنها يخرجنا تارة أخرى، فكما أوجدنا منها من العدم، وقد علمنا ذلك وتحققناه، فسيعيدنا بالبعث للحساب والجزاء بعد موتنا، ليجازينا بأعمالنا التي عملناها في هذه الدنيا، وهذا دليل شرعي وعقلي على البعث[١].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: « يقول تعالى ذكره من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساماً ناطقة ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾، يقول: وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم، فنصيركم تراباً كما كنتم قبل إنشائكم بشراً سوياً، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾، يقول: ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياءً فننشئكم منها كما أنشأناكم أول مرة، وقوله ﴿ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾، يقول: مرة أخرى ...، فتأويل الكلام إذاً: من الأرض أخرجناكم، ولم تكونوا شيئاً، خلقاً سوياً، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرة أخرى، كما أخرجناكم منها أول مرة »[٢].

* * *

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٥٧.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ١٦/ ١٣٣.

المبحث الرابع عشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[1].

قال أصحاب التناسخ بأن تشبيه النفس بالأرض في هذه الآية إثبات مادي على التناسخ لا يقبل الجدل، « فلنتأمل في أدوار الأرض ومواسمها وموتها ثم حياتها »[2].

* **النقض:**

هذه الآية الكريمة تدل على قدرة الله ﷻ على خلق الأشياء المتقابلة، فإنه ﷻ يذكر فيها، وفي غيرها من الآيات، خلقه الأشياء وأضدادها، ليدل خلقه على قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب، والحب من النبات، والبيض من الدجاج، والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فسبحان الذي هو على كل شيء قدير[3].

يقول الله ﷻ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾[4].

---

(١) سورة الروم، الآية ١٩.

(٢) مؤامرات وتاريخ وحقائق ص ١٨٨ .

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤١٣.

(٤) سورة يس، الآيتان ٣٣-٣٤.

ويقول سبحانه: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[١].

هذا هو تفسير الآية، التي هي دليل نقلي عقلي على البعث، بخلاف تحريف أصحاب التناسخ، الذين فسرو الآية على نقيض ما دلت عليه.

يقول السعدي في تفسيره، بعد تفسير الآية السابقة: « هذا دليل قاطع، وبرهان ساطع أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، يحيي الأموات، فلا فرق في نظر العقل بين الأمرين، ولا موجب لاستبعاد أحدهما مع مشاهدة الآخر »[٢].

* * *

(١) سورة الحج، الآيات ٥-٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٨٨.

المبحث الخامس عشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾[1]

قالوا: فالكافرون ينادون ويصرخون يقولون لربهم: أخرجنا من الأبدان المسوخية، ومن هذا العذاب إلى الأبدان الناسوتية لكي نعمل صالحاً، ونؤمن بتعاليم الديانة[2].

* **النقض:**

يزعم أصحاب التناسخ أن قول الله سبحانه تعالى ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ يراد به أنهم يصطرخون في الأبدان التي تناسخوا فيها، وهذا مخالف لصريح القرآن، الذي يدل على أن الكفار يصطرخون في نار جهنم، في الآخرة، فإن الآية التي تسبق هذه الآية جاء فيها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾[3]، ثم قال سبحانه

---

(١) سورة فاطر، الآية ٣٧.

(٢) انظر: عقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة ١/ ٨٣.

(٣) سورة فاطر، الآية ٣٦.

وتعالى بعدها: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾، أي يسألون الله تعالى الرجعة إلى الدنيا، ليعملوا غير عملهم الأول، فلا يجابون على طلبهم، بل يقال لهم: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ أي أو ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم، وجاءكم النذير وهو الرسول ﷺ، فاحتج عليهم بالعمر والرسل، ثم قال الله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ أي فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء، فمالكم اليوم من نصير ينقذكم مما أنتم فيه من عذاب جهنم[١].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية وما قبلها: «يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم، مخلدين فيها لا حظ لهم في الجنة ولا نعيمها ...، وقوله ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ يقول تعالى ذكره هكذا يكافئ كل جحود لنعم ربه يوم القيامة بأن يدخلهم نار جهنم بسيئاتهم التي قدموها في الدنيا، وقوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾، يقول تعالى ذكره، هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون في النار: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحاً، أي نعمل بطاعتك، غير

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٣٦-٥٣٨.

الذي كنا نعمل قبل من معاصيك، ...، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾، أي أو لم نعمركم يا معشر المشركين بالله ... من السنين ما يتذكر فيه من تذكر من ذوي الألباب والعقول ... وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه من عذاب الله، فلم تتذكروا مواعظ الله، ولم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم ...، ﴿ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ يقول تعالى ذكره فذوقوا عذاب جهنم الذي قد صليتموه أيها الكافرون بالله ﴿ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها غضب الله، بكفرهم بالله في الدنيا، من نصير ينصرهم من الله، ليستنقذهم من عقابه »[1].

فهذه الآية رد على أصحاب التناسخ، إذ فيها إثبات للنار، وعقاب الكافرين، ووصف حالهم فيها، وهذا خلاف عقيدة التناسخ التي تقر بأن عقاب الكافرين في هذه الدنيا، في تناسخ أرواحها في أبدان موحشة ووضيعة.

يقول أبو الهيثم: « أما إذا أصر أصحاب التناسخ على ربط نحلتهم بالقرآن...، فلا عليهم إلا أن يقرؤوا قوله تعالى، عن الكافرين، إذ يقولون لربهم بعد أن رأوا عذاب القيامة: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾، فيسمعون

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٢٢/ ٩٢-٩٣، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٦/ ١٨٨.

الجـواب القـاطع المـانع: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ فهنا كفرة تنكشف لهم عاقبة غيهم، فيودون لو يرجعون كرة أخرى إلى الدنيا، ليستأنفوا حياة جديدة يكفّرون بها عن آثامهم الأولى »[١].

* * *

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية ص ٥٩.

المبحث السادس عشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١)

قالوا: دلت هذه الآية على أن النفس لا تتناهى، والعالم لا يتناهى لأمد، فالنفس متنقلة أبداً في الأبدان، وليس انتقالها إلى نوعها بأولى من انتقالها إلى غير نوعها (٢).

* **النقض:**

هذه الآية الكريمة لا تدل على التناسخ كما زعم أصحابه، وإنما يخبر الله تعالى فيها أنه ﷻ فاطر السماوات والأرض، أي خالق السماوات السبع والأرض، وأنه ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أي زوّجكم ربكم من أنفسكم أزواجاً، وذلك أنه سبحانه خلق حواء من ضلع آدم، فهو من الرجال، وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ ﴾ أي جعل لكم من الأنعام أزواجاً: من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ذكوراً وإناثاً، ومن كل جنس من ذلك، ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ ﴾ أي يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام(٣).

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٩١.

(٣) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ٢٥/ ٨-٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ١٢١.

يقول ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) في تفسير هذه الآية، في معرض رده على أصحاب التناسخ: « ... فإن معناها أن الله تعالى امتن في أن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً نتولد منها، ثم امتن علينا بأن خلق لنا من الأنعام ثمانية أزواج، ثم أخبر تعالى أنه يذرؤنا في هذه الأزواج، يعني التي هي من أنفسنا، فتبين ذلك بياناً ظاهراً، لا خفاء به أن الله تعالى أخبرنا، في هذه الآية نفسها أن الأزواج المخلوقة لنا إنما هي من أنفسنا، ثم فرق بين أنفسنا وبين الأنعام، فلا سبيل إلى أن يكون لنا أزواج نتولد فيها من غير أنفسنا، ويكفي من هذا أن قولهم إنما هو دعوى بلا برهان »[١].

ويقول أن كثيراً في تفسير قوله تعالى ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾: « أي يخلقكم فيه، أي في ذلك الخلق، على هذه الصفة، لا يزال يذرؤكم فيه ذكوراً وإناثاً، خلقاً من بعد خلق، وجيلاً من بعد جيل، ونسلاً من بعد نسل، من الناس والأنعام »[٢].

* * *

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٩٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١١٠.

المبحث السابع عشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١)

قالوا: دلت هذه الآية على التناسخ، فإن الدرجات المذكورة فيها هي أبدان التراكيب، أي ولكلٍ أبدانٌ على حسب أعمالهم الحسنة أو السيئة، فمن كانت أعماله حسنة كانت درجته، أي البدن الذي تنتقل إليه الروح حسناً، ومن كان دون ذلك فروحه إلى بدن دون ذلك، وهكذا تختلف درجاتهم وتراكيبهم(٢).

* النقض:

الآية لا تدل على ما زعمه أصحاب التناسخ، وإنما تدل على أن لكل من أهل الخير وأهل الشر ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ : أي كل على حسب مرتبته في الخير والشر، ومنازلهم في الدار الآخرة على قدر أعمالهم، ولهذا قال ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بأن لا يزاد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

يقول الطبري في تفسير الآية: «وقوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ يقول

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ١٩.

(٢) انظر: عقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة ١/ ٨٣.

تعالى ذكره: ولكل هؤلاء الفريقين، فريق الإيمان بالله واليوم الآخر والبر بالوالدين، وفريق الكفر بالله واليوم الآخر وعقوق الوالدين، اللذين وصف صفتهم ربنا ﷻ في هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة، ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ يعني من عملهم الذي عملوه في الدنيا، من صالح وحسن وسيئ، يجازيهم الله به ...، ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وليعطي جميعهم أجور أعمالهم التي عملوها في الدنيا، المحسن منهم بإحسانه ما وعد الله من الكرامة، والمسيء منهم بإساءته ما أعده من الجزاء، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يقول: وجميعهم لا يظلمون: لا يجازى المسيء منهم إلا عقوبة على ذنبه، لا على ما لم يعمل، ولا يحمل عليه ذنب غيره، ولا يبخس المحسن منهم ثواب إحسانه»[1].

هذا هو تفسير الآية، فليس فيها شيء مما يزعمه أصحاب التناسخ، وإنما هي إخبار أن لكل فريق من الفريقين، المؤمنين والكافرين، من الجن والإنس، مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فدرجات أهل النار تذهب سفلاً، ودرجات أهل الجنة تذهب علواً، كما قال بعض العلماء[2].

* * *

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٢٦/ ١٤.

(٢) انظر: فتح القدير ٥/ ٢١.

المبحث الثامن عشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1]

قال أصحاب التناسخ بأن هذه الآية تدل على عقيدتهم؛ حيث يذكر الله تعالى فيها أنه قدر موت الأبدان، وأنه ليس بعاجز على أن يبدل سبحانه أمثال هذه الأبدان، ثم ينشئ الأرواح نشأة جديدة في أبدان جديدة، في دورة حياة تالية.

* النقض:

رد الله ﷻ على المكذبين بالبعث بقوله جل وعلا: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾[2].

يخاطب الله تعالى منكري البعث قائلاً لهم: « أفرأيتم أيها المنكرون قدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم النطف التي تمنون في أرحام نسائكم، أأنتم تخلقون تلك، أم نحن الخالقون ....، نحن قدرنا بينكم أيها الناس

---

(١) سورة الواقعة، الآيات ٦٠-٦٢ .

(٢) سورة الواقعة الآيات ٥٨-٦٠. وانظر: تناسخ الأرواح أصوله وآثاره ص ٥٥.

الموت، فعجلناه لبعض، وأخرناه عن بعض إلى أجل مسمى. .، وما نحن بمسبوقين أيها الناس في أنفسكم وآجالكم، فمفتات علينا في الأمر الذي قدرناه لها، من حياة وموت، بل لا يتقدم شيء منها أجلنا، ولا يتأخر عنه.

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ يقول: على أن نبدل منكم أمثالكم بعد مهلككم، فنجيء بآخرين من جنسكم، وقوله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ونبدلكم عما تعلمون من أنفسكم فيما لا تعلمون منها من الصور...، وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد علمتم أيها الناس الإحداثة الأولى، التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئاً ...، فهلا تذكرون أيها الناس فتعلموا أن الذي أنشأكم النشأة الأولى ولم تكونوا شيئاً، لا يتعذر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء »[(١)].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات: « يقول تعالى مقرراً للمعاد، وراداً على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، من الذين قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[(٢)]، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٢٧/ ١١٣-١١٤.

(٢) سورة الصافات الآية ١٦.

الأولى والأحرى ؟، ولهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي فهلا تصدقون بالبعث؟ ثم قال تعالى مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أي أنتم تقرونه في الأرحام، وتخلقونه فيها، أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي صرفناه بينكم ....، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي وما نحن بعاجزين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي نغير خلقكم يوم القيامة ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من الصفات والأحوال، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلا تتذكرون، وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة، وهي البداءة، قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة بطريق الأولى والأحرى »[١].

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) سورة الروم الآية ٢٧.

(٣) سورة يس، الآيات ٧٧ – ٧٩.

هذا هو تفسير الآيات[١]، ليس فيها شيء مما يزعمه أصحاب التناسخ، وإنما تدل على تقرير البعث، وإقامة الحجة على الناس بضرب الأمثلة التي تثبت ذلك اليوم العظيم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[٢].

يقول ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) في تفسير هذه الآية: « يقول سبحانه: ﴿ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾ فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون، ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت، والبعث الذي وعتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع، فإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها.

---

(١) انظر: شرحاً وافياً لهذه الآيات في مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٧/٢٤٩-٢٦١.

(٢) سورة الحج، الآية ٥.

وقد أعاد سبحانه المعنى وأبدأه في كتابه وبأوجز العبارات، وأوضحها، وأقطعها للكذب، وألزمها للحجة، كقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فدلهم بالنشأة الأولى على الثانية، وأنهم لو تذكروا لعلموا أن لا فرق بينهما في تعلق القدرة بكل واحدة منهما ... »[1].

* * *

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٤٠-١٤١.

المبحث التاسع عشر

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[١]

زعم القائلون بالتناسخ أن هذه الآية تدل على مذهبهم، وقالوا بأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، وأن الخلق منعمون في هذه الأبدان، أو معذبون فيها، فهم منعمون في الأجسام الحسنة الإنسية المنعمة في حياتهم، ومعذبون في الأجسام الردية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان، على قدر أعمالهم وذنوبهم، وإنما تسقط الأبدان وتبلى، إذ هي مساكنهم، فتفنى الأبدان وترجع الروح مركبة في بدن آخر منعم أو معذب، وهذا هو معنى قوله تعالى: (في أي صورة ما شاء ركبك) على حد زعمهم الباطل[٢].

ولهذا زعم بعضهم - قبحهم الله تعالى - عند تفسير هذه الآية أن أرواح أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ نقلت بموتهم إلى جسد الحمار والبغل والتيس، ولذا فهم يعمدون إلى ضرب هذه الحيوانات المذكورة وتعذيبها بالجوع والعطش ... وغير ذلك[٣].

---

(١) سورة الانفطار، الآيات ٦-٨ .

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٩١، ومعجم الفرق الإسلامية ص ٧٠.

(٣) انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٧٠-٧١.

وقالوا في هذه الآية: « بأن الله يذكر الإنسان بقدرته الصالحة لإيداع روح الإنسان في أية صورة من مخلوقاته السفلى والعليا »[١].

* النقض:

هذه الآيات من سورة الانفطار، هي أكثر ما يكرره أصحاب التناسخ للاستدلال على عقيدتهم، كما بينت ذلك قبل قليل.

والحق أن هذه الآيات تردّ على أصحاب التناسخ، إذ تثبت البعث والجزاء الأخروي، فالله ﷻ يعاتب الإنسان المقصر في عبادة ربه، المتجرئ على معاصيه، فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ ؟ أتهاوناً منك في حقوقه ؟ أم احتقاراً منك لعذابه ؟ أم عدم إيمان منك بجزائه ؟ أليس هو ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ في أحسن تقويم ؟ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ قويماً معتدلاً في أجمل الهيئات، وأحسن الأشكال، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن ؟ إن هذا إلا من جهلك وظلمك، فاحمد الله إذ لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار أو نحوهما، ولهذا قال: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ أي خلقك في أي صورة شاء، طويلاً و قصيراً وحسناً ودون ذلك، وقوّمك، وجعلك معتدل الخلق والأعضاء، وركبك في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم.

---

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية ص٤٦.

ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ أي مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالبعث والجزاء، وإنما حملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب(١).

يقول ابن حزم في معرض رده على استدلال أصحاب التناسخ بآيات من سورة الشورى والانفطار: « وأما احتجاجهم بالآيتين فكفى من بطلان قولهم أيضاً ما ذكرناه من الإجماع، وأن الأمة كلها مجمعون بلا خلاف على أن المراد بهاتين الآيتين غير ما ذكر هؤلاء الملحدون، وأن المراد بقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أنها الصورة التي رتب الإنسان عليها من طول أو قصر أو حسن أو قبح أو بياض أو سواد، وما أشبه ذلك ...»(٢).

* * *

---

(١) انظر: معالم التنزيل ٤/ ٤٥٦، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٨٢ - ٤٨٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٨٤٥.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٩١-٩٢.

المبحث العشرون

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[(١)]

قالوا بأن الله تعالى يشير في قوله: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ إلى الوضع الروحي المجرد بأنه أكمل الأوضاع، ثم يبين سقوطه إلى أرذل الأوضاع؛ جزاءً لمعصيته، وليس الأرذل هنا إلا الأجسام الدنيا التي تتداول روحه بعد التدنس، لا يُستثنى من ذلك إلا الممتازون، إذ يبين ﷻ أن من أرواح البشر ما كان أصله في الأجيال الغابرة من الناس، وما كان أصله من البهائم، فيشير بذلك إلى خَطَيّ الارتفاع والهبوط في مخطط التناسخ[(٢)].

* النقض:

أصحاب التناسخ فسروا هذه الآيات من سورة التين خلاف ما فسرها به جميع المفسرين المتبعين لكتاب رب العالمين، وسنة سيد المرسلين ﷺ.

فإن قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ إخبار منه تعالى أنه خلق الإنسان في أعدل قامة، وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده، مزيناً بالعقل والتمييز[(٣)].

---

(١) سورة التين الآيات ٤-٦.

(٢) انظر: الإسلام في مواجهة الباطنية ص٤٦.

(٣) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/ ١٥٦، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٠٤.

أما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾، فقد قال بعض المفسرين المراد بأسفل السافلين: النار، والمعنى: ثم بعد هذا الاعتدال والحسن في الخلقة فإن مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل؛ ولهذا قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾، ومصيرهم الجنة[1].

وقال بعض العلماء المراد بأسفل السافلين: الهرم وأرذل العمر، حيث ينقص عقله، ويضعف بدنه، والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال.

وقد رجح القول الثاني الطبري، ثم قال: «وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه ابن آدم، وتصريفه في الأحوال؛ احتجاجاً بذلك على منكري قدرته على البعث بعد الموت، ألا ترى أنه يقول ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ يعني هذه الحجج، و محال أن يحتج على قوم كانوا منكرين معنى من المعاني، بما كانوا له منكرين، وإنما الحجة على كل قوم بما لا يقدرون على دفعه مما يعاينونه ويحسّونه أو يقرّون به، وإن لم يكونوا له محسّين.

وإذ كان ذلك كذلك، وكان القوم للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة منكرين، وكانوا لأهل الهرم والخرف من بعد الشباب والجلد شاهدين، عُلم أنه إنما احتج عليهم بما كانوا له معاينين من تصريفه خلقه،

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٢٩.

ونقلهم إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد إلى الهرم والضعف، وفناء العمر، وحدوث الخرف »[١].

فيكون المعنى على هذا القول: رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فإنه يكتب لهم بعد الهرم والخرف، مثل الذي كانوا يعملون في حال الصحة والشباب[٢].

وقد تعقب ابن كثير هذا القول فقال: « ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه [أي أن المراد بأسفل سافلين: النار]، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٣]... »[٤].

وممن رجح القول الأول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية حيث قال: « وفي قوله: ﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ قولان قيل: الهرم، وقيل العذاب بعد الموت، وهذا هو الذي دلت عليه الآية قطعاً، فإنه جعله في أسفل سافلين إلا المؤمنين، والناس

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/ ١٥٧.

(٢) انظر: معالم التنزيل ٤/ ٥٠٥.

(٣) سورة العصر.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٢٩.

نوعان: فالكافر بعد الموت في أسفل سافلين، والمؤمن في عليين ... »[١].

وعلى كلٍّ فالآيات تبطل قول أصحاب التناسخ، إذ هي تقرر البعث؛ فإن الله ﷻ بعد الآيات السابقة، قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾، أي بالجزاء، وهو يتناول جزاءه على الأعمال في الدنيا، والبرزخ، والآخرة[٢].

* * *

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٦/ ٢٧٩.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١١٦، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٦/ ٢٨٣.



الفصل الثالث

الأحاديث التي استدل بها أصحاب التناسخ، ونقض استدلالهم بها

المبحث الأول

استدلالهم بقوله ﷺ: « الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف »[(١)]

زعم بعض أصحاب التناسخ أن هذا الحديث يؤيد عقيدتهم، وقالوا بأن أتباع الديانة يتعارفون في انتقالهم في كل جسد صاروا فيه على ما كانوا عليه مع نوح عليه الصلاة والسلام في السفينة، ومع كل نبي في كل عصر وزمان، وربما سموا أنفسهم بأسماء بعض الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - زاعمين أن أرواحهم فيهم، ويشرحون الحديث شرحاً يتناسب مع مذهبهم، وقال بعضهم بأن تنقل الأرواح مدة ووقت، وهو أن كل دور في الأبدان الإنسية فذلك للمؤمنين خاصة، فتحول إلى الدواب للنزهة مثل الأفراس والشهاري، وفي غيرها مما يكون لمواكب الملوك والخلفاء على قدر أديانهم وطاعتهم لأئمتهم، فيحسن إليها في علفها، وإمساكها، وتجليلها

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب (٢) الأرواح جنود مجندة، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة ح (٢٦٣٨).

بالديباج وغيره من الجلال النظيفة المرتفعة، والسروج المحلاة، وكذلك ما كان فيها لأوساط الناس والعوام، فإنما ذلك على قدر إيمانهم، فتمكث في ذلك الانتقال ألف سنة، ثم تحول إلى الأبدان الإنسية عشرة آلاف سنة، وإنما ذلك امتحاناً لها، لكيلا يدخلهم العجب، فتزول طاعتهم، وأما الكفار والعصاة فتنتقل أرواحهم في أبدان الدواب الوحشة عشرة آلاف سنة [(١)].

* النقض:

هذا الحديث لا يدل بأي حال من الأحوال على التناسخ، وليس فيه أي إشارة إلى ذلك.

فهذا الحديث الشريف يشير إلى معنى التشاكل في الخير والشر، والصلاح والفساد، وأن الخيّر من الناس يحن إلى شكله، والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره، فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جلبت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت.

ولهذا ذكر بعض العلماء أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى لذلك؛ ليسعى في إزالته، حتى يتخلص من الوصف المذموم، وكذلك القول في عكسه.

والأرواح وإن اتفقت في كونها أرواحاً، لكنها تتمايز بأمور مختلفة

---

(١) انظر: معجم الفرق الإسلامية ص٧٠.

تتنوع بها، فتتشاكل أشخاص النوع الواحد، وتتناسب بسبب ما اجتمعت فيه من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبة، ولذلك نشاهد أشخاص كل نوع تألف نوعها، وتنفر من مخالفها، ثم إننا نجد بعض أشخاص النوع الواحد يتآلف وبعضها يتنافر، وذلك بحسب الأمور التي يحصل الاتفاق والانفراد بسببها، لا بسبب تعارفها في أجساد أخرى تناسخت فيها كما يزعم أصحاب التناسخ[١].

قال النووي (ت ٦٧٦ هـ) في شرحه هذا الحديث: « قال العلماء: معناه جموع مجتمعة، أو أنواع مختلفة، وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه، وقيل إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها، وتناسبها في شيمها، وقيل: لأنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها، فمن وافق بشبهه ألفه،ومن باعده نافره وخالفه »[٢].

وذكر الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) أن هذا الحديث إعلام من النبي ﷺ أن الأرواح خلقت أول ما خلقت على قسمين: ائتلاف أو اختلاف، كالجنود المجندة إذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابل الأرواح ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة في مبدأ الكون والخليقة، ثم أخبر ﷺ « **أن الأجساد التي**

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/ ٣٦٩-٣٧٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٨٥.

فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف، على حسب ما جعلت عليه من التشاكل أو التنافر في بدء الخلقة، ولذلك ترى البرّ الخيّر يحب شكله، ويحنّ إلى تِرْبه، وينفر من ضده، وكذلك الرَّهِق الفاجر يألف شكله، ويستحسن فعله، وينحرف عن ضده »[١].

وأشار بعض العلماء إلى احتمال أن يراد بهذا الحديث الإخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ما روي أن الأرواح خلقت قبل الأجسام، وكانت تلتقي فتتشاءم، فلما حلت بالأجسام تعارفت بالأمر الأول، فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم[٢].

ولكن هذا القول خوض في مسألة غيبية، يحتاج إثباتها إلى دليل صحيح.

* * *

(١) انظر: معالم السنن، شرح سنن أبي داود ٥/ ١٦٩.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/ ٣٦٩.

المبحث الثاني

استدلالهم بقوله ﷺ عن الشهداء: « أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل »[١]

وقوله ﷺ : « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجع إلى جسده يوم يبعث »[٢].

زعم أصحاب التناسخ أن هذين الحديثين يدلان على مذهبهما في تناسخ الأرواح، إذ دل الأول على أن أرواح الشهداء في جوف طير خضر، ودل الثاني على أن روح المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة [٣].

* النقض:

إن كل ما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وجب اعتقاده والعمل به.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ح ١٨٨٧.

(٢) رواه ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى ح ٤٢٧١، ورواه النسائي، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ح ٩٩٥، وصحيح سنن ابن ماجة ٣/ ٣٩٠.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٧٧. وكتاب الروح ص ٣٤٦-٣٤٨، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٣/ ٣٣.

وقد دل الحديث الصحيح من كلام المصطفى ﷺ أن أرواح الشهداء «في جوف طير خضر...» الحديث، ودل أيضاً أن روح المؤمن «طائر يعلق في شجر الجنة...» الحديث.

وهذا إنما هو في الحياة البرزخية، ما بين الموت إلى يوم القيامة [١]، والأرواح في البرزخ متفاوتة، فمنها أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في جوف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء؛ لأن من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، وغير ذلك [٢].

وإذا ثبت هذا وجب اعتقاده والأخذ به، ولا يبطله اعتقاد المخالفين بأن هذا من التناسخ الباطل الذي ادعوه، فإن تناسخ الأرواح في الأبدان المختلفة ثواباً للأرواح أو عقاباً لها عقيدة باطلة لم يدل عليها دليل من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ، بل دلت النصوص الشرعية على بطلانها، وكفر معتقدها، فالنصوص الشرعية الكثيرة تثبت البعث والحشر والحساب والجزاء.

قال ابن قيم الجوزية بعد ذكره الحديثين السابقين: «ولا محذور في هذا، ولا يبطل قاعدة من قواعد الشرع، ولا يخالف نصاً من كتاب ولا سنة عن

---

(١) انظر: في هذا الموضوع كتاب الروح ص٣٠١ وما بعدها.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٥٨٤-٥٨٨.

رسول الله ﷺ، بل هذا من تمام إكرام الله للشهداء أن أعاضهم عن أبدانهم التي مزقوها لله أبداناً خيراً منها تكون مركباً لأرواحهم؛ ليحصل بها كمال تنعمهم، فإذا كان يوم القيامة ردّ أرواحهم إلى تلك الأبدان التي كانت فيها في الدنيا، فإن قيل فهذا هو القول بالتناسخ وحلول الأرواح في أبدان غير أبدانها التي كانت فيها، قيل هذا المعنى الذي دلت عليه السنة الصريحة حق يجب اعتقاده، ولا يبطله تسمية المسمي له تناسخاً، كما أن إثبات ما دل عليه العقل والنقل، في صفات الله ﷻ، وحقائق أسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيباً أو تجسيماً، وكذلك ما دل عليه العقل والنقل من إثبات أفعاله وكلامه بمشيئته، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، ومجيئه يوم القيامة للفصل بين عباده حق لا يبطله تسمية المعطلين له حلول حوادث ... فإن هذا شأن أهل البدع، يلقبون أهل السنة وأقوالهم بالألقاب التي ينفّرون منها الجهال، ويسمونها حشواً وتركيباً وتجسيماً، ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزاً وجهة؛ ليتوصلوا بذلك إلى نفي علوه على خلقه، واستوائه على عرشه ...، فليس الشأن في الألقاب، وإنما الشأن في الحقائق.

والمقصود أن تسمية ما دلت عليه السنة الصريحة، من جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تناسخاً، لا يبطل هذا المعنى، وإنما التناسخ الباطل ما تقوله أعداء الرسل، من الملاحدة وغيرهم، الذين ينكرون المعاد: إن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناس الحيوانات والحشرات والطيور التي تناسبها وتشاكلها، فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلى أبدان

تلك الحيوانات، فتنعم فيها أو تعذب، ثم تفارقها وتحل في أبدان أخر تناسب أعمالها وأخلاقها وهكذا أبداً، فهذا معادها عندهم، ونعيمها وعذابها، لا معاد لها عندهم غير ذلك، فهذا هو التناسخ الباطل، المخالف لما اتفقت عليه الرسل والأنبياء، من أولهم إلى آخرهم، وهو كفر بالله واليوم الآخر، وهذه الطائفة [أصحاب التناسخ] تقول: إن مستقر الأرواح بعد المفارقة أبدان الحيوانات التي تناسبها، وهو أبطل قول وأخبثه »[١].

ولابن حزم توجيه لهذين الحديثين، فقد قال في معرض رده على استدلال أصحاب التناسخ بهما: « ولا حجة لهم في هذا الخبر؛ لأن معنى قوله ﷺ «**طائر يعلق ...** » هو على ظاهره، لا على ظن أهل الجهل، وإنما أخبر ﷺ أن نسمة المؤمن طائر بمعنى أنها تطير في الجنة فقط، لا أنها تنسخ في صور طير، فإنْ قيل إنَّ النسمة مؤنثة قلنا: قد صح عن عربي فصيح أنه قال: أتتك كتابي فاستخففت بها، فقيل له: أتؤنث الكتاب ؟ فقال: أو ليس صحيفة، وكذلك النسمة روحٌ، فتذكّر لذلك، وأما الزيادة التي فيها أنها في حواصل طير خضر فإنها صفة تلك القناديل التي تأوي إليها، والحديثان معاً حديث واحد، وخبر واحد »[٢].

لكن هذا التوجيه من ابن حزم ليس وجيهاً، إذ فيه تكلف واضح، ولهذا

---

(١) الروح ص٣٤٨-٣٤٩.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٧٧.

علق عليه ابن القيم قائلاً: « وهذا الذي قاله في غاية الفساد لفظاً ومعنىً، فإن حديث « **نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة** » غير حديث أرواح الشهداء «**في حواصل طير خضر**» والذي ذكره محتمل في الحديث الأول.

وأما الحديث الثاني فلا يحتمله بوجه فإنه ﷺ أخبر أن أرواحهم في حواصل طير، وفي لفظ أجواف طير خضر ...، وأن تلك الطير تسرح في الجنة، فتأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش، هي لها كالأوكار للطائر، وقوله: إن حواصل تلك الطير هي صفة القناديل التي تأوي إليها، خطأ قطعاً، بل تلك القناديل مأوى لتلك الطير، فها هنا ثلاثة أمور صرّح بها الحديث: أرواح، وطير هي في أجوافها، وقناديل هي مأوى لتلك الطير، والقناديل مستقرة تحت العرش لا تسرح وتذهب وتجيء، والأرواح في أجوافها »[(١)].

وخلاصة ما سبق أنه لا دليل لأصحاب التناسخ من هذين الحديثين على عقيدتهم التناسخية، إذ إن هذه المسألة فيها نص نقلي فيجب الإيمان به، ولا يتعداه إلى أحوال أخرى، « وليس للأقيسة والعقول في هذا حكم ...، فإذا أراد الله أن يجعل هذه الروح إذا خرجت من المؤمن أو الشهيد في قناديل أو أجواف طير، أو حيث يشاء كان ذلك وقع ولم يبعد »[(٢)].

---

(١) الروح ص٣٤٦-٣٤٧.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٣-٣٢.

المبحث الثالث

استدلالهم بقوله ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[١]

قال بعض أصحاب التناسخ بأن الناس في هذه الدنيا في تناسخ دائم، وتكرار لا ينقطع، فالروح تنتقل من بدن إلى بدن حسب الأعمال، وهكذا، فإذا كانت أعمالها حسنة واستمرت على ذلك في جميع الأبدان، واتبعت تعاليم الديانة، وبعدت عن المعاصي والآثام، ارتقت في الأبدان الفاضلة، وكل مرة في علو، حتى يمتلئ مكيال الخير، فإذا امتلأ مكيال الخير صار العمل لله طاعة، فيجب نقله إلى الجنة، ولا يلبث طرفة عين، فإن مطل الغني ظلم، قالوا وهذا هو معنى قول الرسول ﷺ: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**»[٢].

* **النقض:**

الحديث لا يدل على ما زعمه أصحاب الناسخ، وإنما هو أمر نبوي كريم بإعطاء الأجير العامل أجره مقابل عمله، «**قبل أن يجف عرقه**» أي ينشف؛

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الرهون، باب (٤) أجر الأجراء، ح(٢٣٣٥)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٥٩.

(٢) انظر: الملل والنحل ١/ ٦٢-٦٣.

« لأن أجره عمالة جسده، وقد عجل منفعته، فإذا عجلها استحق التعجيل.

ومن شأن الباعة إذا سلموا قبضوا الثمن عند التسليم، فهو أحق وأولى، إذ كان ثمن مهجته، لا ثمن سلعته، فيحرم مطله والتسويف به مع القدرة » والأمر بإعطائه أجره قبل جفاف عرقه، إخبار بوجوب المبادرة إلى ذلك عقب فراغ العمل، إذا طلب وإن لم يعرق، أو عرق وجف [(١)].

هذا هو معنى الحديث، ولا علاقة له بما يذكره بعض أصحاب التناسخ، مما هو بعيد كل البعد عن مراد رسول الله ﷺ؛ يقول ابن حزم في معرض رده على أصحاب التناسخ المنتسبين للإسلام: « وإذ قد تعلّق هؤلاء القوم بالشريعة، فحكم الشريعة أن كل قول لم يأت عن نبي تلك الشريعة، فهو كذب وفرية، فإذ لم يأت عن أحد من الأنبياء عليهم السلام القول بتناسخ الأرواح فقد صار قولهم به خرافة وكذباً وباطلاً »[(٢)].

* * *

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/ ٥٦٣.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٩٤.



الفصل الرابع
حكم القول بتناسخ الأرواح

القول بتناسخ الأرواح إنكار لفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وإنكار للبعث والحشر وما بعدهما من الأمور الغيبية التي أخبرنا الله سبحانه وتعالى بها مثل: نشر الصحف، ونصب الموازين، والحوض والصراط، والجنة والنار.

وقد أخبرنا الله تعالى بأن إنكار البعث كفر، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[2].

فالذين يقولون بتناسخ الأرواح وأن ثواب الأعمال الصالحة هو تنقل الروح في الأجساد الفاضلة، وعقاب الكفر والمعاصي تنقلها في الأجساد الرديئة والموحشة، ينكرون المعاد الثابت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهم بهذا يكفرون.

---

(١) سورة الرعد الآية ٥.

(٢) سورة الإسراء الآيتان ٩٧-٩٨.

يقول ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ): « وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما يغني ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت، فلا وجه للإنكار في ذلك »(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بياناً في غاية التمام والكمال.

وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة، فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لتفهم المعاد الروحاني ....، وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان، فإن محمداً ﷺ قد بين ذلك بياناً شافياً قاطعاً للعذر، وتواتر ذلك عند أمته خاصها وعامها »(٢).

وقد ذكر ابن قيم الجوزية أن براهين المعاد في القرآن جاءت مبنية على ثلاثة أصول:

أحدها: تقرير كمال الرب سبحانه وتعالى، كما قال تعالى في جواب من

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٩/ ١١٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٣/ ٣١٤-٣١٥.

قال: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1].

الثاني: تقرير كمال قدرته سبحانه وتعالى، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾، وقوله: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾[2].

ويجمع سبحانه بين الأصلين كما في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

الثالث: كمال حكمته كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[4].

ثم قال ابن القيم بعد تقرير هذه الأصول: « ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب تعالى، وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه، وأنه منزه عما يقوله منكروه، كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص، ثم أخبر سبحانه أن المنكرين لذلك لما كذبوا بالحق

---

(١) سورة يس، الآيتان ٧٨- ٧٩.

(٢) سورة القيامة، الآية ٤.

(٣) سورة يس، الآية ٨١.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان ١١٥-١١٦.

اختلط عليهم أمرهم ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾[١]، مختلط لا يحصلون منه على شيء ... »[٢].

ويقول ابن القيم في موضع آخر: « ومن ظن أن لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازى المحسن فيها بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظن به ظن السوء »[٣].

ويقول السعدي: « البراهين الدالة على البعث كلها تبطل أصول الملحدين، وقد استدل تعالى على البعث بقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[٤]، وبأنه كما بدأ الخلق من العدم فإنه سيعيدهم للجزاء، وبإحياء الله الأرض بعد موتها، واستدل بكمال قدرته، واستدل بحكمته، وأنه لا يليق به أن يترك الخلق سدىً ... »[٥].

وقد أجمع العلماء على تكفير من قال بتناسخ الأرواح، وردُّوا عليهم، وأبطلوا زعمهم.

---

(١) سورة ق الآية ٥.

(٢) انظر: كتاب الفوائد ص٦-٧.

(٣) زاد المعاد ٣/ ٢٣٠.

(٤) سورة غافر الآية ٥٧.

(٥) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين ص١٠٠-١٠١.

يقول ابن حزم في معرض رده على القائلين بهذه العقيدة: « أما الفرقة المرتسمة باسم الإسلام فيكفي من الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي ﷺ أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة، ثم بالجنة أو بالنار في موقف الحشر فقط، إذا جمعت أجسادها مع أرواحها التي كانت فيها ...

ويكفي من هذا أن قولهم إنما هو دعوى بلا برهان ...، وكل قول لم يوجبه برهان فهو باطل، ولم يأت هذا القول قط عن أحد من الأنبياء، وهؤلاء القوم مقرون بالأنبياء عليهم السلام، فلاح يقيناً فساد قولهم »[(١)].

ويقول في موضع آخر عن الأرواح: « ولا تنتقل إلى أجسام أخر...، ومن قال بانتقال الأنفس إلى أجسام أخر، بعد مفارقتها هذه الأجساد فقد كفر »[(٢)].

ثم قال بعد ذلك: « وأما من زعم أن الأرواح تنقل إلى أجساد أخر فهو قول أصحاب التناسخ، وهو كفر عند جميع أهل الإسلام »[(٣)].

وفي كتاب آخر قال: « واتفقوا .....أن الأنفس لا تنتقل بعد خروجها عن الأجسام إلى أجسام أخر البتة »[(٤)].

---

(١) الفصل ١/ ٩١-٩٢.

(٢) المحلى ١/ ٢٤.

(٣) المحلى ١/ ٢٦، وانظر: مراتب الإجماع ص١٧٦.

(٤) مراتب الإجماع ص١٧٦.

ويقول القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ): « وكذلك نقطع على كفر من... قال بتناسخ الأرواح، وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص، وتعذيبها أو تنعمها بحسب زكائها وخبثها ..فهو كافر بلا ريب »(١).

ويقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في حديثه عن الفلاسفة: « وهؤلاء الفلاسفة لا يقرون بمعاد الأبدان، ولهم في معاد النفوس ثلاثة أقوال ...، منهم من يقر بمعاد الأنفس مطلقاً، ومنهم من يقول: إنما معاد النفوس العالمة دون الجاهلة ...، ومنهم من ينكر معاد الأنفس كما ينكر معاد الأبدان، وهو قول طوائف منهم، وكثير منهم يقول بالتناسخ.

وليس شيئاً من ذلك إيماناً باليوم الآخر »(٢)، فإن اليوم الآخر هو الذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾(٥)، وغير ذلك من الآيات الكثيرة في كتاب الله تعالى.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٦٠٦-٦٠٧.

(٢) كتاب الرد على المنطقيين ص٤٥٨.

(٣) سورة آل عمران الآية ٩.

(٤) سورة الواقعة الآيتان ٤٩-٥٠.

(٥) سورة التغابن الآيات ٧-٩.

وذكر أحمد بن محمد العدوي الدردير (ت ١٢٠١ هـ) أن القول بتناسخ الأرواح ردَّة عن الإسلام، وقال الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) في حاشيته على كلام الدردير: « الردة كفر المسلم بصريح من القول، أو ...، أو قول بتناسخ الأرواح، بمعنى أن من مات فإن روحه تنتقل إلى مثله، أو أعلى منه إن كانت من مطيع، فإن كانت من عاص انقلب إلى مثله أو أدنى ككلب أو هر، وهكذا، إلى غير نهاية، وقيل إلى أن تصل الأولى إلى الجنة والثانية إلى النار، فهم ينكرون البعث والحشر، وما ثبت عن الشارع من القيامة وما فيها ».

ثم شرح محمد بن أحمد الملقب بعليش (ت ١٢٩٩ هـ) كلام الدسوقي، حيث قال: « قوله: « بمعنى أن من مات ...إلخ » هذا تفسير لتناسخ الأرواح، قوله: « وهكذا إلى غير نهاية » أي فيستوفي الروح جزاءها من خير أو شر في القالب الذي انتقلت إليه، ولا حشر ولا نشر، ولا جنة ولا نار، على هذا القول وهو تكذيب للشريعة، قوله: «وقيل» أي في معنى تناسخ الأرواح، قوله: « إلى أن تصل الأولى » أي روح المطيع، أي أنها تنتقل بعد موت صاحبها لمماثل له، أو أعلى، وهكذا إلى أن تصل للجنة، وقوله: « والثانية » أي روح العاصي تنتقل بعد موت صاحبها لمماثل، أو أدنى، وهكذا إلى أن تصل إلى النار، وقوله: « فهم » أي القائلون بتناسخ الأرواح، على القول الثاني «ينكرون البعث والحشر» أي ولا ينكرون الجنة والنار، وهذه طريقة من ينكر البعث الجسماني، ويثبت الروحاني، وأما على

القول الأول فينكرون البعث والحشر والجنة والنار، وهي طريقة من ينكر البعث من أصله، سواءً كان روحانياً أو جسمانياً، ولا شك أن ذلك تكذيب لما ثبت عن الشارع »[١].

ويقول أبو البقاء: « والنصوص القاطعة من الكتاب والسنة ناطقة بخلاف عقيدة التناسخ ...، والعقل يحكم بأنه لو كان واقعاً لتذكرت نفسٌ ما أحوالاً مضت عليها في البدن السابق، والقول بالمعاد ينفيه »[٢].

* * *

(١) انظر: كلام الدردير والدسوقي وعليش في كتاب: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وبالهامش شرح عليش ٦/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) الكليات ص٣٠٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعان على كتابة هذا البحث،وإنهائه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

وبعد.

فقد توصلت خلال بحثي هذا إلى نتائج أهمها:

١ – عظم منزلة الإيمان بالغيب، وأهميته، وتبين ذلك من خلال ثناء الله تعالى على المؤمنين بالغيب، وقرنه سبحانه بين الإيمان به، والإيمان باليوم الآخر .

٢ – أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة، التي من أنكرها أو أنكر أحدها فقد كفر بالله تعالى .

٣– تضمن الإيمان بالغيب لأمور كثيرة، من أهمها الإيمان بالبعث و المعاد والحشر والحساب والجزاء في اليوم الآخر، وغير ذلك من الأمور العظيمة التي سبق ذكرها .

٤ – أن النسخ في اللغة له معان، أهمها نقل الشيء من مكان إلى مكان.

٥ – انتشار عقيدة تناسخ الأرواح في ملل وفلسفات كثيرة، ثم تأثر بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام بهذه العقيدة الباطلة.

٦ – وجود اختلاف يسير في مفهوم التناسخ عند بعض الفرق، مع اتفاقهم على الاستدلال ببعض الأدلة النقلية على عقيدتهم.

٧- استدلال الفرق القائلة بتناسخ الأرواح ببعض الآيات القرآنية على عقيدتهم من أجل أن يتقبلها العامة والأتباع .

٨- استدلال الفرق القائلة بتناسخ الأرواح ببعض الأحاديث النبوية على عقيدتهم .

٩- أن تفسيرهم للآيات،وكذا شرحهم للأحاديث النبوية التي استدلوا بها على عقيدتهم، هو تفسير وشرح لا يؤيده الكتاب ولا السنة ولا اللغة العربية، ولم يقل به أحد من المفسرين ولا العلماء المتبعين، وأن حقيقته تحريف للكلم عن مواضعه، وإبعاد له عن مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ .

١٠- أن القول بتناسخ الأرواح هو إنكار صريح لليوم الآخر، ولذا أجمع العلماء على كفر من اعتقد هذه العقيدة الباطلة .

وأخيراً أسأل الله أن يخلص نياتنا ويصلح أعمالنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المصادر والمراجع

١- الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات، عزت زكي، دار الجيل للطباعة، القاهرة.

٢- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، عبد الرحمن الناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٣- الإسلام في مواجهة الباطنية، أبو الهيثم، هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤- الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت .

٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣.

٦- البدء والتاريخ، ابن طاهر المقدسي، طبعة ١٩١٦م.

٧- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، أبو الفضل عباس بن منصور السكسكي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٦هـ.

٩- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٠- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، بهامش تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١١- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ.

١٢- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

١٣- التقمص، أمين طليع، منشورات عويدات، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

١٤- تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار العلوم الحديثة، بيروت .

١٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر .

١٦- تناسخ الأرواح أصوله وآثاره، محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

١٨- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٩- جامع الفرق والمذاهب الإسلامية، ع. أمير مهنا وعلي خريس، المركز الثقافي العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢ هـ.

٢٠- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ.

٢١- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد الدسوقي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٢- حركة الحشاشين، محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة .

٢٣- حركة الغلو وأصولها، نظلة الجبوري، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٤- خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان، محمد صديق حسن خان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٥- دائرة المعارف، بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت .

٢٦- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت .

٢٧- الرد على المنطقيين، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار ترجمان السنة، باكستان، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.

٢٨- الروح، ابن قيم الجوزية، مكتبة المنار، الأردن –الزرقاء، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٣١- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، دار الدعوة، إستانبول ١٤٠١هـ.

٣٢- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الدعوة، إستانبول ١٤٠١هـ.

٣٣- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٣٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، مكتبة الفارابي دمشق، مؤسسة علوم القرآن، دمشق .

٣٥- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة، إستانبول ١٤٠١هـ.

٣٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٣٧- صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٣٨- صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، نشر توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض .

٣٩- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري، دار الدعوة، إستانبول ١٤٠١هـ.

٤٠- عقائد بعض التيارات الفكرية المعاصرة، سهير محمد علي الفيل، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت .

٤٢- الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي، عبد الرؤوف المناوي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٣- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت .

٤٤- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٤٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٣٨هـ.

٤٧- القرامطة، عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ.

٤٨- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، عالم الكتب، بيروت .

٤٩- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٥٠- كنز الولد، إبراهيم الحامدي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٦م.

٥١- لسان العرب المحيط، ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت .

٥٢- مؤامرات وتاريخ وحقائق، فؤاد الأطرش .

٥٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب ابن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض .

٥٤- المحلى، ابن حزم الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت .

٥٥- مراتب الإجماع، ابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت .

٥٦- مزاج التسنيم، إسماعيل بن هبة الله، المجمع العلمي ،غوتيغن .

٥٧- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله النيسابوري الحاكم، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

٥٨- المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٨م.

٥٩- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت .

٦٠- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٦١- معالم السنن، أبو سليمان حمد الخطابي، دار المعرفة، بيروت .

٦٢- معجم الفرق الإسلامية، شريف يحيى الأمين، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦٣- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، النهضة المصرية ١٩٦٩م.

٦٤- الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٦٥- المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت .

٦٦- الموت والخلود في الأديان المختلفة، عزت زكي، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة .

٦٧- نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

* * *

ملخص البحث

الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب التناسخ عرضها ونقض استدلالهم بها

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وهو من الإيمان بالغيب، الذي أثنى الله على المؤمنين به بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر أموراً كثيرة منها:

الإيمان بالبعث والحشر والحساب والجزاء، وهذا ما أنكره بعض الفلاسفة وأصحاب الملل المنحرفة، ومن هؤلاء من آمن بتناسخ الأرواح، تلك العقيدة التي تعني أن الجزاء يكون في هذه الدنيا، فالأرواح الصالحة تنتقل بعد موت أبدانها إلى أبدان شريفة وفاضلة، أما الأرواح الكافرة والعاصية؛ فإنها تنقل بعد موت أبدانها إلى أبدان وضيعة وموحشة، وهكذا يستمر تنقل الأرواح في الأبدان بحسب أعمالها الصالحة أو الفاسدة.

وقد تسربت هذه العقيدة إلى بعض المنتسبين للإسلام، وتأثرت بها بعض الفرق المنتسبة للإسلام.

هذا وقد حرصت هذه الفرق القائلة بتناسخ الأرواح على الاستدلال على عقيدتها التناسخية بأدلة نقلية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ لتجد هذه العقيدة قبولاً عند العامة والأتباع.

وقد قمت في هذا البحث بجمع الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب التناسخ، وعرضتها مبيناً كيفية استدلالهم بها، ثم نقضت استدلالهم؛ مبيناً أن تفسيرهم للنصوص الشرعية مخالف لمراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ، ولا تؤيده اللغة العربية، ولم نقله أحد من علماء المسلمين، بعد ذلك ذكرت القول الحق في تفسير تلك النصوص الشرعية.

ثم ذكرت في نهاية البحث حكم القول بتناسخ الأرواح، موضحاً إجماع العلماء على تكفير من اعتقد هذا القول؛ لمخالفته للكتاب والسنة، ولأنه إنكار لليوم الآخر وما فيه من أمور غيبية أخبر بها الشارع كالبعث والحشر والحساب والجزاء والجنة والنار.

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *